تاريـخ البليـــن

الماضي والحاضر



دكتور

إدريس أبو بكر إبراهيم جميل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد عليه الصلاة وأزكى التسليم، وبعد، إنّ دراسة المجموعات البشرية تعد من أصعب الدراسات الاجتماعية خاصة في المجتمعات التي تعتمد النقل الشفهي للتاريخ، مع إنّه يعد من أهم مصادر كتابة التاريخ، شأن قبائل البلين في ذلك شأن الأقوام الآخرين في المنطقة، إذ إنّ تاريخهم وحركتهم الاجتماعية والثقافية لا تزال تعتمد على النقل الشفهي، وعلى الحدس والاستقراءات التقريبية، والإيعازات الخبرية القديمة، لفهم مساراتهم التاريخية، وتنوعاتهم البشرية في الرقعة الجغرافية التى عرفت بهم وعرفوا بها. كما أنّ أصول قبائل البلين ومنحدرهم السلالي والموطني، في الغالب، يعد من باب الظنيات والتقديرات كباقي الأقوام والجماعات الأخرى في المنطقة، لأنّها ما زالت في حاجة إلى سند علمي يوثقها ويؤكد صحتها، وبناءً عليه فإنّ موطن قبائل البلين الأصلي، وأصولهم العرقية قد عرفا افتراضات مختلفة عزت نسبتهم إلى هذا الأصل تارة أو ذاك تارة أخرى، دون أن تتوافر لتلك الافتراضات شواهد أو سند يوثق ويؤكد حقيقتها.

من هنا تأتي أهمية دراسة حركة تاريخ قبائل البلين وواقعهم الاجتماعي والثقافي، وما يشكلونه من تلاقح مع عناصر البيئة ومكوّناتها من أرض وبشر، وما نشأ بينهم وبين الآخرين من وئام وصراع كبقية المجموعات الإثنية الأخرى التي تشغل مواقع التواجد الحالي معهم. وهذا ليس من باب التفاخر المذموم، ولا الاجترار للماضي وإنّما الهدف الاستفادة من دروس وعبر التاريخ، وهذا لا يتم إلا بتمليك المعلومات الصحيحة، وحقائق التاريخ للأجيال المتعاقبة في المستقبل، وخاصة نحن اليوم أمام تغيّرات وزمن تلعب فيه التطوّرات التكنولوجية، وآلتها الإعلامية الضخمة أدواراً كبيراً في صياغة الأفكار، والتأثير الكبير في الوعي الجمعي بناءً على مصالح النخب التي تقف وراءها، ثم تعمل لاحقا على التحكم فى اتجاهات الرأي العام عبر لعبة الإقناع والتواصل. ومن الصعب على المرء أن يصمد أمام تلك التحديات ما لم يكن

متسلحا بمعلومات صحيحة عن ماضيه ومكتسباته التاريخية، ويعمل على توظيف الجوانب المضيئة منها، ويتلافى الجوانب السلبية منها في عملية تقويم الحاضر وبناء المستقبل.

الأهمية الثانية أنّ هذا الموضوع لم يحظ بدراسات علمية ما عدا دراسات قليلة تناولت بعض أجزائه مثل اللغة والشعر والأغاني والأعراف سواء بأقلام إرترية أو أجنبية، وهذه الكتابات قد غطت جوانب وتركت أخرى كثيرة، وللتوضيح فقط فإنّ قبائل البلين[1] ينقسمون إلى فرعين رئيسين هما الترقي[2] ومركزهم التاريخي مقارح، والطوقي ومركزهم التاريخي حلحل (دكا). وأنّ غالبية نقاط ارتكاز تلك الكتابات قد كانت في مركز مقارح وليس مركز حلحل، بعبارة أخرى كانت تعكس ثقافة الترقي (السنحيت) ولا تتناول ثقافة بيت طوقي إلا يسيراً، وهذا أمر طبيعي لأنّ غالبية المهتمين بدراسات البلين كانوا من المبشرين الأوروبيين ابتداءً، وبعدهم رجال الدين المسيحيين والأكاديميين من السنحيت، ولم أقف حتى الآن على أيّ دراسة من أبناء بيت الطوقي.

من هنا قرّرت بقدر الإمكان أن أساهم في سد هذا النقص بتسليط الضوء على تاريخ قبائل البلين بشكل عام مع التركيز على تاريخ بيت طوقي. وبناءً عليه فهذه الدراسة حاولت التنقيب عن أصل وموطن قبائل البلين القديم وتاريخها، وامتداداتها وأنسابها، وأصولها وفروعها، وأساطيرها التي توارثها البلين أبا عن جد عبر التاريخ، وما تعرضوا له من هجمات وغارات من وراء الحدود ومن الجيران وما نشب فيما بينهم من نزاعات داخلية. وما شهدته منطقتهم من تطوّر في ظل الإدارة المصرية بقيادة باشا مونزنجر من تأسيس مدينة كرن، ووضع اللبنات الأولى للمصالح العامة فيها، والاستقرار الأمني، والانتعاش الاقتصادي، والتطوّرات التاريخية للبلين في ظل الفترات الاستعمارية الثلاثة (الإيطالية، الإنجليزية،

---

١ هذا هو الاسم المعروف لهذه المجموعة لكن هناك من أطلق علهم من الباحثين في القديم اسم الأجويين أوالبقوصيين

٢ وجدت الكتابات القديمة تستخدم ترقي دون ذكر النقد و أخرى كتابات حديثة تستخدم الاسمين (الترقي والنقد) و إنّ البلين بيت طوقي والمجموعات الأخرى المجاورة لهم يطلقون عليهم أيضا اسم السنحيت، وستستخدم هذه الدراسة الأسماء الثلاثة (الترقي. أو الترقي والنقد أو السنحيت) كل في سياقه والمقصود به هي نفس المجموعة. – وتستخدم الدراسة أيضا مصطلح حلحل – بقوص وهي تقصد بذلك أرض البلين.

الإثيوبية) وما لحقهم من ذلك إيجاباً وسلباً. كما تطرقت الدراسة إلى دور أبناء البلين في العملية السياسية في إرتريا في مراحل النضال السياسي، والكفاح المسلح، ومرحلة الدولة.

كما تتبعت الدراسة بشئ من التفصيل المصادر الاقتصادية، والأنماط المعيشية، والنظم الاجتماعية، مع الإشارة إلى الشخصيات الدينية، والقيادات التقليدية، والواجهات الاجتماعية والثقافية، والزعامات السياسية.

ومن بعده سلطت الدراسة الضوء على قضايا مهمة أخرى، مثل: دور المرأة في مجتمع البلين، وتعداد البلين، والدين، واللغة، والعادات والتقاليد والأعراف، والقوانين المنظمة للحياة. وفي نفس الوقت حاولت الدراسة التعرف على مكامن قوة البلين، وبالمقابل أيضاً اهتمت بكشف التحديات الذاتية والموضوعية التي واجهها ويواجهها البلين إلى يومنا هذا، ومن ثمّ حاولت التماس طرق لمعالجتها.

طبيعة هذه الدراسة هي توثيقية في المقام الأول، وتحليلية بدرجة أقل متى ما اقتضى الحال ذلك مستخدمة المنهج التاريخي التحليلي، لتتبع واستنطاق أهمّ المعلومات الواردة في هذا الموضوع. تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وسبعة فصول، ينقسم كل منها إلى عدة عناوين، طبقا للتسلسل الزمني والموضوعي وبناءً على المناقشات والتحليلات انتهت الدراسة بسرد الاستنتاجات والخلاصات التي توصل إليها.

إنّ فكرة هذا الكتاب بالأساس جاءت من الأخوة القائمين على منتدى أبناء بيت طوقي، فقد أولوا الأمر اهتماما فوقفوا مع الباحث في جمع المادة، وبالتشجيع المستمر، فلهم من الشكر أجزله، والباحث قد قام بتنفيذ المشروع من البداية إلى النهاية على مسؤوليته الشخصية، وتحمل جميع تكاليف المشروع المالية، وبالتالي فهو يتحمل مسؤولية كل ما جاء في هذا الكتاب، وما يترتب عليه من غرم وغنم، كما أشكر جميع الإخوة الذين لمست فيهم الاهتمام، والتفاعل الكبير بالموضوع طيلة مراحل هذه الدراسة. وإنّ أنسى لا أنسى شكر الأخ

إبراهيم عافة الذي كان معي متواصلا باستمرار مشجعاً ومساعداً في جمع المادة فله مني جزيل الشكر والتقدير. ولا يفوتني هنا أيضاً أن أشكر أولئك الذين أمدوني بالوثائق والمعلومات المهمة التى احتجت إليها في هذه الدراسة، وأخص منهم بالذكر كلا من محمد جمعة إسماعيل طلوق، موس آدم قبري، د. كفلي ماريام حمدي، تكئ علي بخيت، فطوم أسفها، صالح على بخيت كسوراي، د. محمد إبراهيم نقاسي، عبد الله إسماعيل آدم، علي عبد القادر، برهان جابر، حامد محمد إبراهيم وآخرين. فكانت تلك المواد خير معين لي فجزاهم ربي خيراً. كما أتقدم بالشكر للأخ جمال محمود هنقلا الذي صمم الغلاف وساعدني في ترتيب بعض مواد الدراسة، وجمعة إدريس نافع الذي أمدني بصور وبعض مواد الدراسة.

الشكر أيضاً موصول لكل من محمد نور حاج، سعيد أري فرج اللذين أفاداني في توثيق الأحداث المهمة التي مرّت بها هذه المنطقة منذ خمسينيات القرن الماضي، وكنت ألجأ إليهما كل ما استشكل عليّ أمر، كما أنّني أعبر عن فائق شكري لكل من أ.د جلال الدين محمد صالح، د. محمد إبراهيم نقاسي، د. عمر عبده زرآي، الأستاذ عبد الله إسماعيل آدم، الأستاذ حامد عمر إزاز، الأستاذ محمد جمعه إسماعيل، لقراءتهم مسودة هذا الكتاب واستدراكاتهم القيّمة، والشكر والعرفان أيضاً لزوجتي وأبنائي إسراء، فايد، نيسر، لتهيئتهم لي أجواء البحث والكتابة وتشجيعهم المستمر لإنجاز هذه الدراسة، وصبرهم عليّ كثيراً أثناء الإعداد على حساب زمنهم. لكل هؤلاء وآخرين لم تذكر أسماؤهم لهم مني جميعاً جزيل الشكر والعرفان لإسهاماتهم البالغة في إنجاز هذا الدراسة. وأخيراً أرجو من كل من يجد في هذه الدراسة خطأً أو نقصاناً أن يعذرني ويهدي إليّ تلك العيوب فإنني عملت ما استطعت فعله لكن في الأخير سيبقى جهدي عملاً إنسانياً يلازمه الخطأ والنقصان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف

لندن ١-٤-٢٠١٨

الفصل الأوّل

الحقائق الجغرافية والبشرية في الحبشة التاريخية.

- الحقائق الجغرافية في الحبشة التاريخية.
- الجغرافية البشرية للحبشة.
- أصل البلين بين الواقع والافتراض
- بداية ترحال البلين

الحقائق الجغرافية في الحبشة التاريخية.

إنّ الحقائق الجغرافية وتفاعلاتها في أيّ بلد لها تأثير كبير في أنماط الحياة المعيشية، ودواعي الأمن والاستقرار فيها، وتساعد في تتبع مجريات الأحداث والدوافع التى تقف وراءها، كما تساهم في فهم وتفسير الطبائع والسلوكيات المتحكمة في الشعوب التى تقطن تلك البقعة، وفي الغالب تتعدد فيها سبل البحث عن الأصل والمنشأ الذي يثير إشكالات متعددة في سبر أغواره لا سيما إذا كان المقصد يتعلق بإبراز أحوال روحية وفكرية أو نفسية جماعية، تميز جماعة ما عن الأخرى، وتكرس وجودها على رقعة من الأرض عرفت به وعرفوا بها.

بلاد الحبشة التاريخية تتكوّن من سلسلة هضاب وجبال شاهقة تتخللها أودية عميقة طويلة أو قصيرة، وسهول منقسمة بين صحراويّة قاحلة، ومساحات شاسعة مكسوةً بالغابات الكثيفة ذات المرعى الخصيب. ويتراوح متوسط ارتفاع الهضبة الحبشية بين ٧٠٠٠ و٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر، وفي بعض المرتفعات والجبال يصل الارتفاع إلى ١٤,٠٠٠ قدم[٣].

تتميّز بلاد الحبشة بشدة الوعورة وصعوبة المسالك مما جعلها في كثير من الأحيان في عزلة عن العالم، ومن ناحية أخرى كانت هذه الحواجز الطبيعية الوعرة تشكل صداً منيعاً من هجمات الغزات لها عبر التاريخ[٤]. وتتفنن الطبيعة في بلاد الحبشة وتعطيها جمالاً طبيعياً رائعاً متنوّع الأشكال قلّ أن يوجد مثيل له في بلد آخر "فتجد فيها آكاماً ونجاداً وجبالاً مكسوةً بالخضرة وأنواع الزهور، ومتعممة بالثلوج صيفاً وشتاءً. وتجد فيها سماء ملبدةً بالغيوم طول العام، ووهاداً حارةً تنبت فيها نباتات المناطق الحارة، وتجد فيها صحراء تعصف فيها الرياح الشديدة، كما تجد فيها بحيرات تحتل مساحات شاسعة على مرتفعات شاهقة"[٥].

---

٣ فتحي غيث. *الإسلام والحبشة عبر التاريخ*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د-ت. ص ١٠-١١

٤ المصدر السابق. نفس الصفحات

٥ أبو أحمد الإثيوبى. *الإسلام الجريح فى الحبشة*، د-م، د-د، ١٩٦٤. ص١٤-١٥.

تتدرج فيها الحرارة حسب الارتفاع والانخفاض، فتنخفض مؤشرات الحرارة في المرتفعات، وترتفع درجتها في المنخفضات الشرقية والأودية، وتعتدل جواً في المناطق المتوسطة. وتسقط الأمطار فيها خلال شهور مارس وإبريل ومايو، وتزداد غزارة من يونيو إلى منتصف سبتمبر الذي تفيض فيه مياهها عن حاجة البلد وتتدفق بكميات كبيرة عبر أنهارها إلى دول الجوار[٦]، وتنبع من بلاد الحبشة أنهار كثيرة كالنيل الأزرق أهم روافد نهر النيل، وأومو، وابي شبيلى الذي يصب في المحيط الهندي بعد عبور الأراضي الصومالية، ونهر تكزي (سيتيت) ونهر أواش الذي يتلاشى في صحراء جيبوتي، ونهري الرهد والدندر، ووادي القاش، ووادي بركة، ونهر أباي ونزي الذي يغذي بحيرة تانا إحدى أشهر الظواهر الطبيعية في الهضبة الحبشية. هذه أهم الأنهار الأساسية في الحبشة والبلاد تعج بأنهار كثيرة أصغر حجماً من تلك المذكورة آنفاً. إنّ هذا التنوع في التضاريس واعتدال الجو على مدار السنة في الهضبة، وكثرة الأمطار، ووجود تربة الطمي الذهبي فيها جعل الحبشة من إحدى أكثر البلاد خصوبة وصالحة للزراعة والرعي، مما جعلها محط اجتذاب المهاجرين إليها عبر التاريخ.

الجغرافية البشرية للحبشة

أمّا عن جغرافيتها البشرية وأصل سكانها فلا أحد يعرف عن أصل سكان المنطقة ما قبل التاريخ على وجه الدقة، لكن الشواهد المتوفرة حتى الآن والاستقراءات التقريبية لها تشير إلى أنّ سكان منطقة الحبشة ينتمون إلى سلالات تنحدر من أصول ثلاثة نيلية، وحامية، وسامية.

المجموعة النيلية

يعتقد أنّ أوّل من سكن هذه المنطقة هم المجموعة النيلية والتي كانت في البداية تعتمد على التقاط ثمار الغابات والصيد في معيشتها اليومية ولاحقا مع تغيّر الأحوال البيئية

---

٦ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. *رفع شأن الحبشان*. دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب فضل، القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع. ٢٠٠٧. ص ١٧. وغيث، مصدر سابق. ص١٢

بدأ أفرادها ينتقلون إلى ممارسة الزراعة، وبما أنّ الهضبة الحبشية[٧] كانت منطقة خصبة وصالحة للزراعة أصبحوا يستقرون فيها حتى مجيء المجموعة الحامية التي دفعتهم إمّا إلى الاختلاط معهم أو النزوح إلى خارج تلك المنطقة أو التقوقع في مناطق محدودة فيها.[٨] واليوم يوجد العنصر النيلي في دول شرقي أفريقيا في السودان، أوغندا، وكينيا، وتنزانيا،و إثيوبيا، وإرتريا. ففي إرتريا يتمثلون في قبائل الباريا والبازا في مناطق القاش.

المجموعة الحامية

المجموعة الحامية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية عبر باب المندب من حضرموت، وظفار، وهي امتداد للشعوب التي استوطنت جنوب شبه الجزيرة العربية. وهنالك من يقول إنّ القبائل الحامية نزحت إلى هذه المنطقة من القوقاز عن طريق مصر والنيل عبر موجات متعاقبة ما بين الألفية الخامسة والثالثة قبل الميلادي بسبب الجفاف الذي ضرب مناطق هذه المجموعة، وكانت المجموعة الحامية تمتلك الحيوانات التي تستطيع التأقلم مع حياة الصحراء القاسية. كانت هذه المجموعة متطوّرة في الفن المعماري والموسيقى، ويظهر هذا الفن في بناء الأهرامات في الجيزة في مصر وفي شمال السودان وميناء عدوليس في إرتريا وغيرها.[٩]

كانت ديموغرافيا هذه المجموعات منتشرة في المنطقة الممتدة من مصر إلى شمال كينيا، فالفراعنة في مصر، والنوبة في المناطق الواقعة من جنوب مصر إلى شمال السودان، والبجة على طول الساحل الغربي للبحر الأحمر وغربا حتى النيل والأجو في الهضبة الحبشية

---

٧ من حيث الموقع تنقسم الهضبة الحبشية إلى ثلاثة هضاب الشمالية وتشمل هضبة تجراي وإرتريا، والوسطى وتشمل مرتفعات ولو و شوا وبحر دار وجبال سمين الشاهقة ومنحدرات بجمدر أي أرض البجة، والجنوبية وتشمل هضبة أرومو وجما وجوجام في الغرب وجنوبا حتى الحدود الكينية

٨ غيث، مصدر سابق. ص ١٩ – ٢٠ . ومحمد سعيد ناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. د-م، د –ت، ص ٢٩. والنقيرة، محمد عبد الله. *انتشار الإسلام في شرق إفريقية ومناهضة الغرب له*. الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٢. ص٢٤

9 Tamrat, Taddesse. *Process of ethnic Interaction and Integration in Ethiopian History: The case of agaw*. The Journal of African History. Special Issue in Honour of Roland Olover, 29(1). 1986: 5-18

من حلحل بقوص إلى شمال شوا والساهو والعفر والصوماليين في مناطق الساحل ابتداءً من جنوب مصوع وصولا إلى المناطق المعروفة اليوم بشمال شرق كينيا، و السيداما والأرومو في مناطق الوسط الجنوبي للهضبة الحبشية.[١٠] هكذا كانت الخارطة السكانية للمجموعات الحامية قبل مجيء المجموعة السامية إلى المنطقة وسيطرتها بحكم تسلحها بتراث حضاري أصيل من ثقافة ولغة مكتوبة وآليات متطوّرة في الزراعة الأمر الذي سهل لهم التأثير في السكان الأصليين وبمرور الزمن السيطرة عليهم. ومن سيرورة التدافع بين المجموعات الحامية والسامية وخاصة بين الأجو من المجموعة الحامية والمجموعة السامية نتجت ثقافة ولغة جديدة تطوّرت لاحقا إلى ثلاث لغات: التجري، والتجرنية، والأمهرية، وأصبحت لغة الأجو تنكمش أكثر فأكثر حتى انحصرت في مجموعات قليلة ومناطق محدودة. كما أنّ تأثير الثقافة واللغة السامية لم يكن متوقفاً على الأجو فحسب بل امتد إلى مناطق المجموعات الأخرى مثل العفر والأرومو والبجة، فعلى سبيل المثال إنّ لغة التجري السامية أصبحت هي المسيطرة على السهول الشرقية والشمالية الشرقية والمرتفعات الشمالية والسهول الغربية لإرتريا وامتداداتها في شرق السودان. وهكذا تغيّرت الخارطة الديمغرافية بعد مجيء المجموعة السامية القوية إلى المنطقة، الأمر الذي أدى إلى سيطرة المجموعات السامية القادمة وتراجع حضارة السكان الأصليين في تلك المنطقة. على العموم يمثل المجموعة الحامية الكوشية اليوم في القرن الإفريقي الصوماليون والأروموا وسيداما والعفر والساهو والبجة والأجو والبلين وغيرهم.[١١]

المجموعة السامية

عند انهيار سد مأرب في اليمن بقرن قبل الميلاد تقريبا[١٢] نزحت كثير من قبائل تلك المنطقة عبر باب المندب وجزيرة دهلك إلى المناطق المعروفة اليوم بإرتريا وإثيوبيا، وبحكم

---

10 Ibid, p , 5-18

11 Michael Ghaber. The Blin of Bogos , Baghdad , 1993. P, 57

12 Ibid, P.24

أنهم كانوا قادمين من مناطق مرتفعة ومعتدلة المناخ لم تستطع هذه القبائل تحمل الحرارة في الساحل ولذا انتقلوا إلى الهضبة الحبشية، واستوطنوا فيها واستطاعوا أن يفرضوا وجودهم فيها مع قلتهم العددية مقارنة بالشعوب الحامية والنيلية التي كانت مستقرة قبلهم في هذه المنطقة، نظراً لما كانت تتمتع به هذه المجموعات "من كنوز لا تقدر بثمن من التراث الأصيل، ومعالم حضارية عريقة متمثلة في اللغة المكتوبة، والمهارات الزراعية المتقدمة، والأساليب المتطورة للتحكم في مياه الأمطار عن طريق إنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال، وزراعتها بالمحاصيل والأشجار المثمرة، كما حملوا معهم فنونهم المعمارية وبراعتهم في النحت على الحجر، وبناء السدود الضخمة الثابتة لحجز المياه التي اشتهرت بها مدينة مأرب التاريخية".[١٣] إضافة إلى ذلك أنّهم كانوا غير مستعدين للدخول تحت حكم المجموعات الأصلية ويتضح ذلك من إخضاع الآخرين لحكمهم بالقوة. ويمثل المجموعة السامية اليوم في المنطقة الأمهرا والجوراقي والناطقون بالتجرنية والتجري بالإضافة إلى أقوام آخرين في المنطقة.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يوجد اليوم في المنطقة أيّ فواصل واضحة بين هذه المجموعات الثلاثة، أي المعروف في علم الأنثروبلوجيا الأصول البشرية الطبيعية صافية العرق بل إنّها مجموعات لغوية أصبحت تتكلم لغات من النوع النيلي، والحامي، والسامي، واعترتها تداخلات وتحولات من مجموعة إلى أخرى. يقول نايدل في ذلك "لا التجمع السامي، ولا التجمع الحامي يشكل عناصر صافية العرق، إذ أنّ هذه التجمعات قد تطعمت، على مر الأجيال، من دم بعضها البعض وامتزجت بالتجمع الزنجي، إلى جانب مصادر أخرى يصعب تحديدها. وهكذا يتضح أن كلمة عنصر، لم يعد لها معنى كبير الأهمية"[١٤]

١٣ ناود. *العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي*. مصدر سابق، ص ٣١

١٤ س.ف. نايدل. *التركيب السكاني في إرتريا العناصر والقبائل*. ترجمة جوزيف الصغير، بيروت: دار المسرة، ١٩٧٧. ص ١٣-١٤

ومن هنا يمكن القول بأنّ سكان هذه المنطقة قد تشكلوا عبر فترة من الزمن من عناصر منحدرة من الأصول الثلاثة تكوّن منها في المحصلة النهائية هذا الخليط البشري المعروف بالعنصر الحبشي في منطقة القرن الإفريقي.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ درجة الاختلاط تتفاوت من مكان لآخر، فكلما انحدرت من الهضبة الحبشية نحو الجنوب والجنوب الغربى تجد العنصر النيلى هو الغالب، بينما يبدو العنصر الحامى أكثر وضوحاً في الشمال حيث قبائل البجة، والبلين، وقبائل الساهو والعفر، في السهول الساحلية الجنوبية والوسطى من الساحل الغربي للبحر الأحمر، وقبائل الأجو في الهضبة، وسيداما في الجنوب، كما أنّه يبدو أن العنصر الحامي غالباً في قبائل الصومال والأرومو.

أمّا العنصر السامى فكان أكثر هيمنة في أعالي الهضبة وهي تشمل مناطق المرتفعات الإرترية الجنوبية وهضاب التجراي، وشوا، وقوجام. وهذه المقاطعات مجتمعة أسست مملكة أكسوم التاريخية، وأصبحت لها صولات وجولات، امتداداً وانكماشاً عبر التاريخ في المنطقة. وأصبحت المسيحية فيها الديانة الرسمية من القرن الرابع الميلادي[١٥]، وظلت مملكة أكسوم العاصمة الدينية في المنطقة لمدة طويلة، وأصبح ملكها حامي حمى النصرانية في المنطقة.

كان على رأس كل مقاطعة ملك وعلى رأسهم جميعا ملك الملوك، وربما كانت مملكة أكسوم ترى أن اليمن جزء من مناطق نفوذها بحكم قدوم المجموعات التي أسست مملكة أكسوم منها، وهو ما يفسر سبب كثرة تدخلها في اليمن فقد ظلت ترسل الحملات العسكرية المتعاقبة لإخضاعها والتي وصلت على الأقل إلى ست حملات وتأتي على رأسها حملة عيزانا في منتصف القرن الرابع الميلادي وحملة إرباط ومعه أبرهة الأشرم في النصف الأول من القرن

---

١٥ ناود، محمد سعيد. **العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي**. مصدر سابق، ص ٦٦ و

Trimingham, J, Spencer. *Islam in Ethiopia*. Great Britain: Frankcass &company limited, 1952. P22

السادس الميلادي[16]. واستمر نفوذ مملكة أكسوم في المنطقة على تلك الحالة لزمن طويل إلى أن تعرضت للهزيمة في اليمن على يد الفرس وعلى يد قبائل البجة شديدة المراس في القرن الثامن الميلادي التي زحفت من الشمال إلى أراضي مملكة أكسوم وأجبرتها على الانتقال إلى الجنوب بعد سقوط أكسوم، ودخلت بعدها مملكة أكسوم في عزلة تامة لقرون عديدة استمرت من القرن التاسع الميلادي إلى عام ١٢٧٠م[17] وقد قامت على أنقاضها مرة أخرى المملكة الأجوية بقيادة أسرة زاقوي من شمال الحبشة. يجدر بنا هنا إعطاء خلفية عن الأجو أو المتحدثين باللغة الأجوية بحكم العلاقة اللغوية والتاريخية مع البلين قبل الحديث عن البلين. إذاً من هم الأجو؟

الأجـو

الأجو من الشعوب الحامية الكوشية المعروفة بالمجموعات الكوشية الوسطى ويعتبرون من السكان القدامى في هذه المنطقة يعود تاريخ وصولهم إليها إلى ما قبل خمسة أو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد كما سبقت الإشارة إليه. استقرّ بهم المقام في شمال ووسط الهضبة التي عرفت لاحقا بالهضبة الحبشية وبالمسميات الحالية هي الهضبة الممتدة بين إرتريا وإثيوبيا، وكان لهذه المجموعة الريادة والسيادة في تلك المنطقة بل إنّ سلطانها في بعض الأوقات كان يمتد حتى بلاد النوبة إلاّ أنّ قوة سيطرتهم بدأت تتراجع بعد قدوم المجموعة السامية القوية من جنوب شبه الجزيرة العربية التي استطاعت التفوق عليهم حضاريا وثقافيا ومحاولة صهرهم في الوسط الجديد بالقوة.

وبما أنّهم كانوا أهل سلطة وسيادة قبل مجئ المجموعة السامية إلى هذه البلاد لم يقبلوا بالوضع الجديد بالسهولة ودخلوا في صراع معهم، لكن في نهاية الأمر حسمت المعركة

---

١٦ ابن سعد. *الطبقات الكبرى* ج١، بيروت: دار صادر، د-ت، ص ٩١. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك*** ج٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص ١٠٥

١٧ فتحي غيث. مصدر سابق، ص ٤١

لصالح الساميين كما جاء في أحدى مخطوطات عدوليس والتي أشارت إلى موطنهم القريب من نهر تكزي وجبال سمين، ولاحقا في القرن السادس الميلادي تكامل جزء كبير منهم مع مملكة أكسوم بل إنّ حاكم أجو أصبح مستأمنا من قبل مملكة الأكسوم في طريق تجارة الذهب في المنطقة من أجو إلى نهر تكزي والمناطق الواقعة غرب النهر[١٨] وعندما ضعفت مملكة أكسوم أعاد الأجو الكرة مرة أخرى لحكم الحبشة بقيادة أسرة زاقوي الأجوية من شمال الحبشة وحكموها لما يقارب ثلاثمائة عام وحافظوا على مكتسبات الحضارة الأكسومية بل ساهموا في تطويرها بشكل أكبر[١٩].

مرة أخرى فقد الأجو الحكم في عام ١٢٧٠م، ومنذ ذلك التاريخ لم تقم للأجو قائمة في حكم الحبشة وتعرضوا للضغط الشديد من الأمهرا والتجراي بشكل مستمر حتى العصر الحالي، والدفع بهم للانصهار في الوسط الجديد فمنهم من خضع للانصهار ومنهم من حافظ على ثقافته إلى يومنا هذا، على العموم إنّ المتحدثين بلغة الأجو اليوم ينتشرون في أربع مناطق معزولة ثلاثة منها في إثيوبيا وواحدة في إرتريا.

أجو الشمال وهم البلين الذين يسكنون في حلحل بقوص في إقليم عنسبا في إرتريا. وأجو الغرب هم كويمانت وكوارا (Qemant and Qwara) في قوندر إقليم أمهرا. وأجو الشرق هم كامير (Khmir) ويسكنون في سكوتا مقاطعة أمهرا حاليا، وولو سابقاً. وأجو الجنوب أونجي (Awngi) وكونفال (Kunfal) في جنوب غرب وشرقي بحيرة تانا[٢٠].

بما أنّ موضوع هذه الدراسة هم البلين دون المجموعات الآخرى أكتفي بهذا القدر وأبدأ بطرح السؤال الآتي من هم البلين؟ أصلهم ومنشأهم وموطنهم؟

---

18 Tamrat, Op.Cit. p.8-9

19 Adhana Mengstaab, *The Strategic Position of Keren in the Massawa- Khassala trade route: in Eritrean Studies Review, V5. 2007: 89-112.* p.91

20 Tamrat, Op.Cit, p ,8-9

أصل البلين بين الواقع والافتراض

إذا كان أمر الأصول الأولى للأقوام والجماعات ومنحدرهم السلالي والموطني يعد من باب الظنيات والتقديرات، لأنّها دوماً بحاجة إلى سند علمي يوثقها ويؤكد صحتها، إذ إنّ تاريخ الإنسانية وحركتها لا يزالان يعتمدان على الحدس والاستقراءات التقريبية لبقايا آثار الحفريات، والإيعازات الخبرية القديمة التي لا يمكن أن تكون وحدها مرشداً موثوقاً لفهم المسارات التاريخية، والتنوع البشري الذي عرفه هذا الكون، فإنّ شأن البلين في هذا هو شأن الشعوب قاطبة. فمن المؤكد أنّ البلين وموطنهم كغيرهم قد عرف افتراضات مختلفة عزت نسبهم إلى هذا الأصل تارة، أو ذاك تارة أخرى، دون أن تتوافر لتلك الافتراضات شواهد قطعية، أو أي سند موثق يؤكد صحتها، ولعل ذلك يعود إلى تغليب وجهة النظر التي ترى فيهم مجموعة عرقية، وليست مجموعة لغوية يتنوع فيها العرق.

يعتقد الباحث حتى الآن أنّ أوّل من تناول البلين من المؤرخين باسمهم هو الإدريسي (١٠٩٩-١١٦٦م) في القرن الثاني عشر الميلادي عند حديثه عن أسوان، إذ يقول: "وربما أغار على أطرافها خيل من السودان المسمّين بالبليين، ويزعمون أنهم روم، وأنهم على دين النصرانية من أيام القبط وقبل ظهور الإسلام، غير أنّهم خوارج في النصارى يعاقبة، وهم متنقلون فيما بين أرض البجة وأرض الحبشة، ويتصلون ببلاد النوبة، وهم رحالة ينتقلون ولا يقيمون بمكان مثل ما تفعله لمتونة الصحراء الذين هم بالمغرب الأقصى"[٢١] وفي موطن آخر يقول "بين أرض النوبة وأرض البجة قوم رحالة يقال لهم البليون ولهم صرامة وعزم، وكل من حولهم من الأمم يهادونهم ويخافون ضرهم، وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبي،

---

٢١ محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالإدريسي، ***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق***، ج١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ج١، ١٩٩٤، ص ٤٠.

وكذلك جميع أهل بلاد النوبة والحبشة وأكثر أهل البجة نصارى خوارج على مذهب اليعاقبة"[٢٢]

ومثل الإدريسي تناول البلين الشاعر المعروف بابن القلاقس (١١٣٨-١١٧٢م) وهو عاش تقريباً في نفس الفترة مع الإدريسي، ولد ابن القلاقس في الإسكندرية في مصر، وعاش في القاهرة وصقلية، كما سافر للتجارة إلى عدن وزبيد ففي عام ٥٦٥ هـ ١١٦٩م دخل عدن ثم غادرها بحراً، وفي أثناء العودة هاج البحر وتعرضت السفينة التي كان يستغلها للغرق؛ فالتجأ إلى جزيرة دهلك وأسعفه سلطانها مالك أبو الشداد. كتب ابن القلاقس من دهلك إلى المملوك خطاباً يقول فيه "المملوك يقبل البساط الشريف.. ولما كان في هذه المدة حدث بالجانب المتملك عليه البليني -؟- من خرق حرمة الإسلام وهدم مساجده.. ومنع الوصول إلى السواحل بما كانت العادة جارية به من الغلال وغيرها من الأطعمة، كل ذلك برأي المطران الواصل إليها من الديار المصرية حماها الله.. ولم يخرج المطران الذكور (المذكور) إلا بعد أخذ المواثيق عليه من البطرك، بأن لا يحدث حادثا من إلجاء المسلمين إلى التنصر ولا يهدم مسجداً، ولا يخرج عن الطريقة المعهودة من مثله.. والرغبة إلى المجلس السامي، أدام الله ملكه، أمره المطاع إلى البطرك المقيم بظله الشريف بتنفيذ مطران ثان عوضا من المطران الأول، وتجديد المواثيق والعهود عليه.. وأن يكون طريقه على ثغر دهلك.. لمقابلته؟"[٢٣]

بعدهما أورد ابن الوردي (١٢٩٠-١٣٤٨م) معلومات عن البلين في كتابه خريدة العجائب وفريدة الغرائب عند حديثه عن ميناء عيذاب، إذ يقول: "وبين البجة وبين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عز وشجاعة، يهابهم كل من حولهم من الأمم، ويهادونهم وهم

---

٢٢ المصدر السابق. ص ٤٧

٢٣ خير الدين الزركلي، *الأعلام، في قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين*، بيروت: دار الملايين، ط ١٦، ج٨، ٢٠٠٥، ص٢٦. اسم المخطوطة ترسل الأعز أبي الفتوح نصرالدين بن عبدالله بن عبد القوي المعروف بابن القلاقس، كتبت برسم الخزانة المولوية السيدية سنة ٥٩٢هـ.

نصارى خوارج على مذهب اليعقوبي"[٢٤] ويبدو أن ابن الورد اعتمد في معلوماته عن البلين على الإدريسي؛ لأنّ المادة التي أوردها عن البلين تتطابق مع ما أورده الإدريسي عنهم.

وذكر الرحالة إوستيتووس (St. Ewstatewos) عام١٣٤٣م في مذكراته أثناء رحلته من إثيوبيا إلى بيت المقدس أنه مرَّ ببلاد البقوص والماريا التي تقع شمال سراي[٢٥].

في بداية القرن الخامس عشر الميلادي نجد المؤرخ المعروف شمس الدين السخاوي الذي صنف كتباً كثيرةً ومن أشهرها كتابه الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي، ترجم فيه للعلماء، والقضاة، والرواة، والأدباء، والشعراء، والخلفاء، والملوك، والوزراء، رجالا، ونساء، ممن توفوا في نفس القرن، أو تأخروا إلى القرن العاشر، وقد أورد في هذا المصنف من أعيان القرن التاسع الهجري تراجم لشخصيات من البلين، مثل سعيد بن المفلح البليني، الذي كان قائداً مع السيد بركات صاحب مكة الذي وافته المنية عام ٨٤٨هـ -١٤٤٤م، وعلى بن محمد المفلح الحبشي البليني، القائد الذي مات في ذي الحجة سنة٨٦١هـ (١٤٥٦م)[٢٦].

يفهم من هذه النصوص الأمور الآتية:

- أنّ البلين حسب الإدريسي وابن الوردي كانوا يعتنقون الديانة النصرانية على مذهب اليعاقبة منذ العهد القبطي مثل النوبة والحبشة وأكثر البجة، والمعروف أن الحبشة اعتنقت المسيحية على المذهب اليعقوبي من القرن الثالث الميلادي، والنوبة من القرن السادس الميلادي، ومن كلام بن القلاقس أيضاً يفهم أن البلين كانوا على الديانة النصرانية على المذهب الأرثودوكسي إذ يقول وهو يتحدث عن حادثة هدم المساجد: "كل

٢٤ ابن الورد، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، *القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية*، ٢٠٠٨م، ص،٣٧٤

25 Michael Ghaber ,Op.Cit. p,3

٢٦ شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي، ***الضوء اللامع لأهل القرن التاسع***، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي ج٣ ص ٢٥٦، ج٦، ص، ٣٢،٢٤

ذلك برأي المطران الواصل إليها من الديار المصرية حماها الله.. ولم يخرج المطران المذكور الا بعد أخذ المواثيق عليه من البطرك بأن لا يحدث حادثا من إلجاء المسلمين إلى التنصر ولا يهدم مسجداً ولا يخرج عن الطريقة المعهودة من مثله...."[٢٧].

- جاء في النصوص على أنّهم من اليعاقبة الخوارج وكان يطلق هذا المصطلح على الطائفة الموحدة من المسيحيين الذين كانوا لا يؤمنون يالتثليث ويقولون إنّ عيسى ذو طبيعة بشرية، وجراء ذلك تعرضوا للتضييق من الدولة الرومانية فاحتموا بالقبائل الصحراوية التي كانت تسكن إلى الجنوب الشرقي من مصر، ومثلهم كان مسيحيو الحبشة على هذا المذهب أيضاً.
- وضحت النصوص أيضاً ما يتمتع به البلين من صفات وأوصاف كالصرامة والشجاعة وقوة الشكيمة، وشدة المراس عند اللقاء، كما جاء في النصوص منها "ولهم صرامة وعزم وكل من حولهم من الأمم يهادنونهم، ويخافون ضرهم"
- كانوا أسياداً في مناطقهم يسمحون ويمنعون المرور بها وقت ما يريدون. ولذا يشير ابن القلاقس إلى حدوث المنع للوصول إلى السواحل من الجانب المتملك عليه البلين.
- في الحالات العادية كانوا على علاقة جيدة مع من يجاورنهم ويتبادلون معهم المصالح والهدايا "تشير النصوص إلى العلاقة التي كانت قائمة بين القبائل في المنطقة، فرغم المنافسة الطبيعية بين القبائل البدوية على أماكن المياه والكلأ إلا أن علاقة البليين بجيرانهم كانت تتسم أيضاً بالطيبة وحسن الجوار، يدل على ذلك الهدايا التي كانت تصلهم من جيرانهم، ولا بدّ أنّهم كانوا أيضاً يهادونهم"[٢٨] كما أنّ قوافل التجارة كانت تمر بأراضيهم بسلام دون أن يتعرض لها أحد في الحالات العادية.

---

٢٧ الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ص، ٢٦

٢٨ أحمد إلياس حسين. *من هم سكان السودان قبل ظهور المسميات القبلية الحديثة*. مقال منشور في الصحافة بتاريخ ٣٠ يوليو ٢٠١١ م العدد ٦٤٧٩. ص، ٣

- أشارت النصوص إلى جيران البلين "بالأمم المجاورة لهم" والمقصود بالأمم المجاورة لهم هنا هم البجة والحبشة والنوبة.
- وجود علاقة لهم بالروم والمقصود بالروم هم البيزنطيون الذين حكموا مصر قبل الإسلام والذي ورد ذكرهم في القرآن.
- إنهم قوم من السودان، ولم يشر إليهم على أنهم قوم من العرب، أو الأقباط، أو الحبش، أي ما يعني أنّهم من السكان القدامى في المنطقة
- يعود وجودهم في هذه المنطقة إلى الفترة التي سبقت ظهور الإسلام كما جاء في نص الإدريسي "وأنهم على دين النصرانية من أيام القبط وقبل ظهور الإسلام"[٢٩] أيّ ما يعني أنّهم كانوا موجودين في هذه المنطقة قبل القرن السابع الميلادي.
- بينت النصوص أيضاً مناطق انتشارهم في المناطق الواقعة بين الحبشة والبجة، ويصلون إلى النوبة؛ إذ حدّد الإدريسي في نص رقم (١) منطقة البلين بأنّها بين أرض النوبة وأرض البجة، وهي نفس الحدود التي ذكرها ابن الوردي، وذلك يدل أنّ امتداد حدود البلين شرقاً كان يصل إلى ميناء عيذاب، وغربا إلى حدود مدينة أسوان حيث كانوا يغيرون على أطرافها[٣٠]. وأمّا ابن القلاقس فيتحدث عن الطريق البري المؤدي إلى مصوع والمسيطر عليه البلين، وإوستيتووس الذي قال بوجودهم شمال سرايي، والمعروف أن كرن كانت طريق القوافل التجارية البرية عبر التاريخ، ونقطة التقاء التجار القادمين من سواكن في الشمال ومصوع في الشرق، وسنار في الغرب، ومن مناطق داخل الحبشة وغيرهم كما سيأتي تفاصيل ذلك لاحقا. وبناءً عليه فإنّ هذه النصوص قد حددت مناطق تجوال البلين ما بين أسوان غربا وعيذاب شرقا ومناطق حلحل بقوص جنوبا.
- هم قوم رحل يتنقلون من مكان إلى آخر مثل قبيلة لمتونة القوية التي كانت تنتشر في المغرب الأقصى وحتى نهر السنغال جنوبا، والتي أقامت في القرن الحادي عشر الميلادي

---

٢٩ الإدريسي، *نزهة المشتاق في احتراق الآفاق*، مصدر سابق، ج١ ص ٤٧

٣٠ أحمد إلياس، مصدر سابق، بشيء من التصرف، ص ٢

دولة المرابطين في الأندلس والمغرب العربي. ووجه المقارنة بين القبيلتين أن كلا القبيلتين كانتا تتميزان بالقوة والشجاعة، كما أنّ أنماط معيشتهما تتشابهان، فالأولى كانت تنتشر في الصحراء الواقعة بين مصر والنوبة والحبشة، بينما كانت الثانية تنتشر في الصحراء الواسعة في المغرب العربي حتى نهر سنغال، وكان الإدريسي على علم بقوة قبيلة لمتونة بحكم أنه عاش في صقلية والأندلس والمغرب العربي ؛ فمقارنته البلين بلمتونة لا بدّ أن تكون قبيلة البلين آنذاك قوة كبيرة ومؤثرة في أماكن وجودها كاللمتونة في المغرب الأقصى،[٣١] ويفهم أيضاً ذلك من كلام ابن القلاقس إنّ البلين كانوا قوى لها إمكانية تمنع الوصول إلى السواحل عبوراً بأراضيها في الحالات غير العادية. ويفهم أيضاً من كلامه في الحالة العادية أنّ هذه المناطق كانت تمر عبرها القوافل المحملة من الغلال والأطعمة بسلام دون أن يتعرض لها أي أحد.

- تشير النصوص أيضاً إلى أنّ الدواب التي كان يستخدمها البلين للركوب وللإغارة على جيرانهم كانت الخيل.
- ويفهم أيضاً من صاحب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع الهجري أن البلين كان لهم دور التأثر والتأثير في الدولة الإسلامية مترامية الأطراف آنذاك.
- يمكن هنا الإشارة إلى أنّ اهتمام المؤرخين بهذه المنطقة في تلك الحقبة ربّما يعود إلى تحول طريق الحج نحو الجنوب أي إلى هذه المناطق بسبب احتدام الحروب الصليبية في العالم الإسلامي آنذاك.

إجمالاً حددت هذه النصوص أنّهم قوم من السودان وأصحاب خيل وديانتهم النصرانية، ووضحت حدود بلادهم ومناطق تجوالهم وأوصافهم قوةً وشجاعةً، وأنماط حياتهم ترحالاً واستقراراً، وعلاقاتهم بجيرانهم سلماً وحرباً. وعلى الرغم من ذلك ما زال السؤال المهم قائماً. من هم البلين أو البليون في نص الإدريسي وابن قلاقس وابن الورد؟

---

٣١ المصدر السابق، ص، ٢-٣

هل المقصود بتلك النصوص قبيلة البلين أم قبيلة البلي؟

تعددت آراء الباحثين في تحديد من هم البلين في نص الإدريسي؟ فمنهم من ذهب إلى أنّ المقصود في هذا النص قبيلة البليميين، ومن ذهب إلى هذا الاتجاه كيروان و أ. بول، ومصطفى مسعد.[٣٢] و فريق آخر يرى أنّ الإدريسي كان يتحدث عن قبيلة قائمة بذاتها وليست البليميين وربطوا بينها وبين قبيلة بلين بقوص، مثل كراوفورد الذي يرى أنّ البلين هو الاسم الذي يطلقه البقوصيون في منطقة كرن على أنفسهم، ويرجح كونتي روسيني وجود البلين في هذه المنطقة في القرن العاشر الميلادي، ويذكر الإدريسي مناطق انتشارهم حتى حدود الحبشة وبناءً عليه يُفترض أنّ بلين الإدريسي هم بلين كرن [٣٣]، وأمّا شوقي عطا الله الجمل يرى "هم من أصل حامي نزلوا بالصحراء الشرقية، وكانوا يتنقلون فيها شمالا وجنوبا طلبا للكلأ لإبلهم وماشيتهم ولعلهم من قبائل البجة المعروفة في السودان الشرقي."[٣٤]

يميل الباحث إلى الرأي القائل: إنّ الإدريسي يتحدث عن البلين لا عن البليميين، وذلك للمؤشرات الآتية:

- أن المختلف عليه بين العلماء هو نص رقم (٢) للإدريسي ولم أجد حتى الآن من تناول بالتفصيل النص رقم (١) للإدريسي، كما أنني لم أجد من تناول مخطوطة ابن القلاقس وهي مكتوبة في نفس الزمان، وهي واضحة أكثر من نص الإدريسي. فهي تحدد موطن البلين وهو موطنهم الحالي بقوله وجود البلين في الطريق البري المؤدي إلى دهلك. ومتى ما صحت هذه المخطوطة فلا معنى لتلك الخلافات فيما أورده الإدريسي.
- أن الباحثين في التراث المحلي القديم للمنطقة قد وجدوا في تراث قبائل البجة ما يؤكد علاقة اتصال بينها وبين البلين وخاصة بين قبائل البلو والحدارب والبلين. وقد يقول

---

٣٢ المصدر السابق، ص، ٤

٣٣ المصدر السابق. ص، ٤

٣٤ الجمل، شوقي، **تاريخ سودان وادي النيل**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م ج١، ص١٨٦

قائل: إذا كان كذلك كيف ومتى أضمحلت القوى التي ذكرها الإدريسي للبلين في القرن الثاني عشر؟ إنّ تقلص نفوذ البلين ربما جاء بالتدرج كغيرهم من القبائل الأخرى في المنطقة التي تحولت منها عوامل القوة إلى المجموعات الأخرى لأسباب مختلفة، وبدأ أفراد البلين يدخلون تحت التجمعات والوسط الجديد وحافظ البعض منهم على كيانه كما ظهر في مناطق حلحل بقوص.

- يرى كونتي روسيني أنّ وجود البلين في منطقة بقوص يعود إلى القرن العاشر وأنّهم بالتأكيد كانوا في هذه المنطقة في القرن الرابع عشر كما جاء في رواية الرحالة إوستيتووس (St. Ewstatewos) عام ١٣٤٣م، ومتى ما صحت رواية روسيني فإنها أقرب إلى الرواية القائلة إنّ بلين الإدريسي وابن القلاقس هم البلين وليس البليميين وذلك لإتفاق هذه الرواية معهما في زمن ومكان انتشار البلين وخاصة توجد إشارة قوية في كلام ابن قلاقس لمناطق تواجد البلين الحالية.
- إذ يذكر يلندورف (Ullendorff) زحفت قبائل البجة في القرن الثامن الميلادي إلى الهضبة الحبشية وساحل البحر الأحمر وفرضت سيطرتها على تلك المناطق ووصلت مملكة أكسوم إلى أقصى درجة الانحطاط. ولم تضعف سيطرة قبائل البجة على المرتفعات الإرترية، إلّا عندما فرضت قبائل البلين هيمنتها على تلك الأجزاء من المرتفعات الإرترية تقريبا من القرن العاشر الميلادي[٣٥] ويفهم من هذا النص أنّ قبائل البلين كانت قوية وشديدة المراس لذا تغلبت على القوى البجاوية التي كانت متجذرة في تلك البقعة. وأن عددهم لا بدّ أن يكون كبيراً للتغلب على المجموعات البجاوية القوية للسيطرة على تلك الأجزاء، وأن مسألة العدد كانت حاسمة للحروب في تلك العصور. وأنّ الأوصاف التي ذكرت تصريحا وتلميحا في هذا النص من قوة وشجاعة وكثرة عدد وفرض سيطرة على أرض الواقع تتفق مع ما ذكره الإدريسي وابن القلاقس في النصوص السابقة.

35 Ullendorff. *The Ethiopians: An introduction to country and people*. London, 1983. p, 60-61.

- ويذكر أيضاً البيرتو بوليرا في بداية القرن الرابع عشر غزو الأجو لمناطق سراي بقيادة امرأة تسمى بلين سابا، وبعدها بعشرات السنين الذي كان يحكم تلك المناطق يطلق عليه الغازي بلين سجد[36] ولعل هذا ما يبرر وجود أسماء خالدة بلغة البلين في مرتفعات إرتريا حيث لا يستوي أن تترك مجموعة عابرة في القرن العاشر أو الرابع عشر الميلاديين كل هذا الإرث في منطقة كانت خاضعة للحضارة السامية المتقدمة.

- أما أدحنة منقستآب أحد الباحثين المعاصرين في تاريخ بقوص فيقول: إنّ تاريخ وصول البلين إلى بقوص حتى الآن لم يتأكد من ناحية علمية وفي حاجة إلى مزيد من البحث والتدقيق إلا أنّ بعض المؤشرات تدل على أنّ البلين ربما قد عبروا نهر تكزي إلى المناطق المعروفة اليوم بإرتريا في الفترة ما بين القرن الثالث و التاسع الميلاديين بسبب الصراع الذي كان قائما بينهم وبين مملكة أكسوم المسيحية التاريخية التي حاولت صهرهم بالقوة في سلطانها، ومع أنّ هذا الرأي يحتاج إلى مزيد من البراهين الا أنّه يعتبر رأياً وجيهاً، ومن المعروف أنّ مملكة أكسوم في تلك الفترة قد تقوّت وبدأ يمتد نفوذها إلى المناطق الأجوية و التي واجهت فيها مقاومة شرسة منهم إلاّ أنّ المعركة في النهاية حسمت لصالح الأكسوميين، في ظل تلك الظروف الصعبة إنّ نزوح بعض الأجويين إلى المناطق المعروفة اليوم بإرتريا ما قبل القرن التاسع الميلادي يعتبر أمراً مقبولاً.

- من المؤشرات أنّ البلو تركوا بقوص بسبب قدوم البلين إليها، ويعتقد أن ذلك كان في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، وهو ما يعني أنّ البلين كانوا قد وصلوا إلى بقوص في ذلك التاريخ أو قبله.

- في النص الأول أورد الإدريسي عند حديثه عن أسوان القول "ربما أغار على أطرافها خيل من السودان المسمِّين بالبليين" ويلاحظ في هذا النص أنّ كلمة البلين مكتوبة بالنطق البليني فالبلين ينطقونها Blin والناطقون بالتقرايت ينطقونها Blen وبالتجرينية ينطقونها

---

[36] البيرتو بوليرا، أصول الشعب الإرتري، ترجمه إلى اللغة التجرنية، أبا يسحاق قبريسوس، مطبعة حيدري .د-ت- ص ١٧٢

Bilen وكذا اللغات البجاوية الأخرى. وإذا كان هذا النطق محصوراً للمتحدثين بالبلين فلا يعتقد الباحث أنّ هذا التطابق قد جاء من قبيل الصدفة بل هناك احتمال كبير أخذه الإدريسي من المتحدثين بالبلين آنذاك وبهذا يكون هو يتحدث عن البلين وليس البليمين كما ذهب البعض.

- وإذا اعتبرنا أنّ بلين الإدريسي هم البليميون فمن أين أتى بلين كرن بهذا الاسم وهم يطلقون هذا الاسم على أنفسهم على الأقل من القرن العاشر كما ذهب إليه كونتي روسيني والإدريسي وابن القلاقس من القرن الثاني عشر الميلادي والجدير بالذكر أنّ هذه الاسم لا يوجد إلا في هذه المنطقة حسب علم الباحث.
- أنّ لغة البلين من حيث الأصل والبناء هي من عائلة اللغات الكوشية الوسطى التي اعتبرها علماء اللغات من أحد أقدم اللغات في المنطقة ويعني هذا أنّ أهلها أيضاً من أقدم السكان في هذه المنطقة، يقول سبي: "تعتبر لغة البلين إحدى لهجات الأقو التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الكوشية القديمة. يتحدث المتكلمون بالبلين حول كرن بالتجري والتجرينية أيضاً بسبب حاجتهم إلى التعامل مع جيرانهم الأكثر عدداً."[٣٧]
- إنّ البلين كانوا قد استقروا استقراراً كاملاً في بقوص كما جاء في مراسلات ابن القلاقس في القرن الثاني عشر وفي القرن الرابع عشر كما جاء في مذكرات الرحالة إوستيتووس (St. Ewstatewos) عام ١٣٤٣م في رحلته من إثيوبيا إلى بيت المقدس إذ يقول إنّه مرَّ ببلاد البقوص والماريا التي تقع شمال سراي[٣٨].

بداية ترحال البلين

على الرغم من المقاربات السابقة فإنّ المسألة لم تحسم بل إنّ تلك المناقشات تقودنا إلى سؤال آخر مهم وهو، هل كان ترحال البلين من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى

---

٣٧ عثمان صالح سبي، **تاريخ إرتريا**، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٨٤، ص، ٢٣٠

38 Michael Ghaber, Op.Cit. p,3

الشمال؟ أم كانت المناطق من بقوص إلى لاستا مناطق انتشارهم إلى أن جاء السيل السامي فقطع أوصالهم؟ في سياق الإجابة على هذه الأسئلة وردت ثلاث روايات:

الرواية الأولى تشير إلى أنّهم انحدروا من إقليم لاستا الواقع اليوم في أثيوبيا، وكانوا يتحركون في المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر. وإنّ سلطان الشعوب الأجوية كان يمتد في بعض الأوقات حتى حدود مصر، وعاصروا فترة الفراعنة وممالكهم التي كانت تنشط في استخراج المعادن النفيسة من الذهب والأحجار الكريمة وغيرها؛ مما جعلهم يصطدمون معهم في تلك المناطق[٣٩] إلاّ أنّ هذا النفوذ بدأ يتقلص عند وصول المجموعة السامية إلى المنطقة وقطع بين أطراف الشعوب الأجوية، وبالتدريج امتزج أفرادها مع التجمعات القبلية الأخرى في المنطقة بينما بقي بعض أفرادها متماسكاً ومحافظاً على كيانهم تحت اسمهم القديم ومازالوا موجودين بهذا الاسم إلى يومنا هذا في لاستا في إثيوبيا.

من وجهة نظر هذه الرواية فقبائل البلين هي فرع من فروع الأجو في لاستا هاجرت إلى حلحل بقوص من هناك وإنّ انتقال الفوج الأوّل منهم إلى المنطقة ربما تمّ في المرحلة الأولى عند فقدان الأجو الريادة وانتقال حكم الحبشة إلى الأكسوميين، والفوج الثاني من الأجو جاء إلى إرتريا عند فقدان أسرة زاقوي الأجوية الحكم في القرن الثالث عشر الميلادي. أصحاب هذه الرواية يستندون على وجود مشتركات كثيرة بين الأجو في إثيوبيا والبلين في إرتريا من تقارب في اللغة والتشابه في العادات والتقاليد والمسمّيات وغيرها، يقول مكئيل قابر: وهو من البلين "عندما تحدثت مع بعض الأجويين في تمبين في إثيوبيا استطعت أن أفهم لغتهم بسهولة، ويضيف اللهجات الأجوية في منطقتي تمبين وسكوتا هي أقرب إلى لغة البلين"[٤٠]. إنّ هذه الرواية تعتمد على وجود تماثل في الأسماء وتقارب في اللغة وتشابه في العادات والتقاليد كما

---

٣٩ جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث*. لندن، المنتدى الثقافي الإرتري، د-ت، ص ٤٠

40 Michael Ghaber, Op.Cit. P, 9

سبق آنفا، ورغم صعوبة نفي هذه الحقائق أو تجاوزها إلا أنّها لا تسعف الباحث على كشف الأصل عن الفرع، بعبارة أخرى إنّها لا تحمل أجوبة قطعية عن الأسئلة مثل:

هل موطن البلين الأصلي هو لا ستا في أثيوبيا أم حلحل بقوص في إرتريا؟ وأيّهما هاجر إلى الآخر؟ أم كانت المنطقة الواقعة بين بقوص في إرتريا ولاستا في إثيوبيا مناطق تجوالهم حتى مجيء الجحافل السامية وأحدثت قطيعة بين الطرفين حالت دون تواصلهم؟ أم أنّ هناك هجرات جزئية تمت لمجموعة بعينها من الجنوب إلى الشمال أو العكس؟

يقول مكئيل قابر: حتى الآن لا يستطيع أحد أن يعطي أجوبة شافية لهذه الأسئلة[41]، كما لا تتوفر لدى الباحثين الآخرين حتى الآن حسب اطلاعي أدلة تفصل في تلك المسائل، بل إنّ أغلب إحالاتهم تستخدم عبارات الشك والتضعيف مثل: يعتقد ويقال أو تدّعي هذه المجموعة الانتماء إلى إقليم لاستا وغيرها من العبارات التي إن لم تثر الشك فإنّها لا تؤكد الحقيقة، ويصعب الأخذ بها مع تسليم الأخذ بها إذا ثبتت صحتها، فما الذي يضير أن يكون الأصل من ذلك الإقليم أو غيره. أقول ذلك لأنني أقابل بعضاً من أبناء البلين يتحسسون من هذا الانتماء ولعل ذلك نابع من خلط هذا الموضوع بالانتماء الديني والسياسي فوجود اختلاف فى الاعتقاد الديني أو المصلحة السياسية لا ينفي أن يكون الأصل من ذلك الإقليم.

إضافة إلى ما سبق هناك أسئلة مهمة أخرى لم تجب عنها هذه الرواية، منها: كيف بمجموعة قليلة تقطع آلافاً من الكيلومترات من لاستا إلى بقوص وتنجوا من الأمراض التي كانت تفتك بالناس في تلك الأحراش؟ وكيف تسامحت معها المجموعة القوية التي عبرت مجموعة البلين بأراضيها وأقصد هنا المجموعة السامية التي كانت لها الهيمنة في الهضبة الحبشية؟ كيف استطاعت أسر قليلة بعد وصولها من طرد السكان الأصليين من البقوص؟ كيف تترك مجموعات عابرة أسماء قرى وأماكن خالدة في الهضبة التي كانت تسيطر عليها المجموعات السامية القوية آنذاك؟ ولماذا لم تشر المصادر إلى هجرة مجموعة بيت موسى

---

41 Michael Ghaber, Op.Cit. p,3 &11

التي يعتقد أنها سبقت الترقي والطوقي إلى هذه المنطقة؟[٤٢] وإلى أن نجد الأجوبة الكافية لتلك الأسئلة وغيرها فإنّ هذه الرواية هي محل تساؤل وغير مسلم بها على الأقل حتى الآن، ولا تساعد في فهم مسارات وترحال البلين في المنطقة.

أمّا الرواية الثانية فتذهب بأنّ اتجاه حركتهم جاء من ناحية الشمال من المناطق المعروفة بمناطق النوبة والبجة إلى لاستا وليس العكس، ويستدلون على ذلك بالآثار التي أقاموها في لاستا وهي صورة مصغرة للمعمار الفرعوني، ويعتبرون هذا التفوق المعماري دليلاً على قدومهم من تجربة إنسانية متقدمة خلافاً على ما كان سائداً في الإقليم[٤٣] إضافة إلى أنّ المؤرخين دوماً يشيرون إلى عدم رصدهم لهجرات جماعية من الجنوب (لاستا) إلى الشمال بما فيها إرتريا بل بالعكس إنّ الهجرات التي رصدوها كانت من الشمال إلى الجنوب. مما يعني أنّ البلين أصلهم في الشمال وأنّ الأجو في الجنوب هم فرع منهم وإنّ وجود البلين في هذه المنطقة وجود أصل لا امتداد فرع. وهذه الرواية تبدو وجيهة للباحث لكن تحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق.

أمّا الرواية الثالثة فهي رواية محكية لجزء من البلين وهم بيت طوقي وهي تقول إنّهم من أحد مكوّنات الهضبة الإرترية ولم يهاجروا إليها من المناطق الحبشية الأخرى، وهم ينحدرون من أصل الملك مروني الذي أنجب كالوق وشالوق ومالوق كما تذكر الروايات الشعبية. وإنّ غالبية أصل سكان المقاطعات الثلاثة في الهضبة الإرترية يعود إلى أبناء مروني. ويذكر مكئيل حساما في هذا الشأن من أبناء مروني في حماسين بيت زرؤ وبيت بجل وبيت طوقي وبيت أسقدي وبيت جوك وأتوشم وكارنيشم وغيرهم[٤٤]

---

42 Fitsum Asfaha , The Origin of Blin: an overview, presented on the Blin Democracy and Cultural Day workshop in Stockholm, Sweden in September ,09, 2006, p , 6&7

٤٣ محمد سعيد القدال تاريخ السودان الحديث، مصدر سابق، ص

٤٤ مكئيل حساما ركا، زانتا إرتريا بالتجرنية (تاريخ إرتريا) ط ٤ ، ٢٠١٣، ص. ٦٣-٧٢

أما مونزنجر يقول إنّ بيت طوقي يعتبرون بلين بحكم تحدثهم اللغة، لكن هم من ناحية الأصل ينحدرون من دمبزان وما زالت هناك أراضيهم وأقاربهم في عد تكليزان، وهم ينتمون إلى إحدى البيوتات الكبيرة في حماسين وعلى وجه التحديد في أتوشم، وإنّ أوّل من وصل منهم إلى حلحل هو سمرعين[45] ويقول ساندستروم (Sundstrom) إنّ الشائع بين الناس إنّ طوقي وترقي هما أخوة بينما لهما تاريخ وأصل مختلفين، فإنّ الترقي جاء من لاستا بينما جاء الطوقي من اتجاه البحر ووصل إلى قندر.[46]

هناك من يقول من بيت طوقي: إنّ الملك مروني هو مروان بن عبيد الله بن جحش الأسدي الذي هاجر من الجزيرة العربية مع صحابة رسول الله ﷺ إلى الحبشة لكنه تنصّر وعاش فيها وأنجب مروان ويسميه الحبش مروني والذي أصبح من أهل الحكم والملك في الحبشة. الباحث حتى الآن لا تتوفر لديه أي معلومات أو مؤشرات عن ماهية ربط نسل الملك مروني بعبيد الله بن جحش كما أنّه لم يجد هذا الادعاء من أبناء مروني الآخرين غير بيت طوقي ولذا لم يستطع حسم النقاش في هذه المسألة، عموماً إنّ هذه الرواية لا تتحدث عن هجرتهم لكن تتحدث عن استقرارهم في هذه المنطقة، وتفترض مسألتين. **الأولى** أنّ المنطقة الواقعة بين حلحل بقوص في إرتريا ولاستا في إثيوبيا ربما كانت مناطق انتشارهم إلى أن جاءت المجموعة السامية فأحدثت قطيعة بينهما فبقي البلين في الشمال والأجو في لاستا. **والثانية** أنّ بيت طوقي هم من مكوّنات منطقة الحماسين ابتداءً وليسوا من المهاجرين إليها.

بناءً على ما سبق فإنّ المجموعات الأجوية ربما بدأ ترحالها من الشمال للمناطق المحاذية للنيل وبحر القلزم (البحر الأحمر) وذلك باعتبار أنّ التجمعات السكنية كانت تتركز في مناطق الأنهار والبحار ثم تأخذ في التمدد والانتشار ومنها اتجهت نحو الجنوب حتى وصلت

---

45 Wener Munzinger.Ostafrikanische Studion (1864) Translated from Germany to Tigrinia by Mesghena Zekerias. P,161

46 The Sundstrom Collections, Uppsala, Sweden. The Bet Tawke. Translated from the orginal Tigre to tigrina by ato Gebru Kifle, Uppsala 1997 and Translated from Tigrina to English by Aida Kidane, posted on 09 Jan 2003. P,1

إلى لاستا التي أقامت فيها مملكتها لاحقا. وربما العكس كان الأصل في الجنوب وامتدت إلى الشمال في أوْج قوتها حتى وصل سلطانها إلى مناطق النوبة في جنوب مصر وكانت المنطقة الواقعة بين لاستا والنوبة مناطق انتشارهم وترحالهم عبر التاريخ إلى أن جاء السيل السامي وقطع بين أطرافها فبقي كل طرف في مكانه. وتعزّزت هذه القطيعة مع قيام مملكة أكسوم القوية التي امتدَّ نفوذها حتى مملكة مروي في الغرب وأجزاء من اليمن السعيد في الشرق.[٤٧]

على الرغم من أنّ قبائل الأجو في إثيوبيا وقبائل البلين في إرتريا تشترك في أمور كثيرة لم يقف الباحث حتى الآن على مصدر معتمد يوضح علاقة المجموعتين ومنطق الهجرات المتبادلة شمالاً أو جنوباً. بمعنى آخر هل قبائل البلين في إرتريا هي الأصل أم هي فرع للأجو، إذا كان الأخير هل كلها أم بعضها امتداد لقبائل الأجو؟

إنّ الباحث بعد تحليل المعلومات المتوفرة عنده حتى الآن لا يجزم بصحة الأصل الواحد للمجموعتين إجمالاً وفي نفس الوقت لا ينفي تماماً ذلك لوجود قواسم مشتركة في العادات والتقاليد والتشابه في اللغة والشّكل وتسمية الأماكن بنفس الأسماء. خلاصة القول تبقى هذه المسألة محتاجة إلى مزيد من البحث والتدقيق.

أيًّا من الروايات السابقة لا تنفي الوجود التاريخي وإن اختلفت في اتجاه الحركة، ولا غرابة أن نجد تفاعلهم عبر كل المراحل التاريخية التي غطت تفاصيل المنطقة[٤٨] واختلاطهم مع المجموعات السامية التي هاجرت من جنوب الجزيرة العربية والمجموعات الحامية الأخرى وبمرور الزمن أصبحت قومية البلين مكوّنة من مجموعات لغوية، وليست عرقية كغيرها من شعوب منطقة القرن الإفريقي كنتاج تزاوجات واختلاط بين الشعوب الحامية والسامية ونتيجة للتداخلات العضوية نتج عنه هذا العنصر الخليط المعروف بالبلين الذي يمثله اليوم الطوقي والترقي بمختلف مكوّناتهم، وتشترك المجموعتان حضارةً ولغةً وتشابهاً شكلاً

---

٤٧ إدريس إبراهيم جميل، *الحباب ملوك البحر وأهل السادة*، الدوحة: مكتبة الثقافة، ط ٢، ٢٠١٤. ص ٧٥-٧٦

٤٨ القدال، مصدر سابق، ص.....

ولوناً، وفي الأعراف المتميّزة ومرتبطة في الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والنفسية. كما أنّ قبائل البلين تداخلت مع المجموعات المجاورة لها وأصبح من الصعب التفريق بينهما إلا باللغة حتى إنّ مارتيني لاحظ تشابها بين البلين والماريا والبني عامر إذ يقول: "ويمتاز البقوص (يعني البلين) والماريا وبنو عامر عن أهل الحبشة بشعرهم الطويل الذي يعقص فوق الرأس، وتتدلى أطرافه على الرقبة والخدين. وهذا يساعدهم على حماية رؤوسهم من الشمس. وليس هناك فارق كبير في الملبس"[٤٩].

أمّا جابر سعيد أرض الهرم فيقول: "لابد أن نشير إلى بعض الخصائص التي تميز أبناء الطوقى عن سائر القبائل الإرترية، ذلك أن توجه الطوقى الذي قلما تشاركهم فيه القبائل الإرترية الأخرى باستثناء قبيلتي الطرقى والماريتين تميزهم بفضيلة السبق والمبادرة، ذلكم هو الانفتاح الكبير على معظم المكون الإرترى الذي قد يشكل يوما ما نسيجا إرتريا موحداً من خلال التفاعل في بوتقة تجانس تصهر أصول تتميز بأضلاعها الأربعة، الأصل أبناء طوقى جان، أبناء الماريتين، أبناء الطرقي، حيث إنّ معظم شرايين أغلب أفراد العوائل والأسر بل معظم القبائل الإرترية تسري فيها دماء حرة أصيلة أخرى تخلق هجينا يجمع ما بين الأصالتين (الأصل + طوقي، الأصل + ماريا أو الأصل + طرقى)، والمنتج يكاد يصرخ معلنا بأنّه دماء جديدة تم تهجينها مع دماء، طوقى/ ماريا أو طرقى،، وإنّ هذا الثلاثي المنفتح على الآخر يعتبر القاسم المشترك الذي يجمع معظم الأسر الإرترية على مختلف مشاربها دون أن يلغي الأصل الذي يحمل الاسم والصفات والتقاليد والعادات. والحقائق المحضة التي تسير على أرض الواقع تؤكد أنّ النسل المهجن لهذا الثالوث موجود اليوم في أوساط كافة القبائل الإرترية آخذاً كان أو معطياً، فهم بذلك يعتبرون العناصر الإرترية الأكثر

---

٤٩ فرديناندو مارتيني. *إرتريا في إفريقيا الإيطالية انطباعات وذكريات*. ترجمة جبهة التحرير الإرترية، بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٨٤، ص. ١٥٧.

انفتاحا على الآخر، وهو قطع شك توجه مؤهل للارتقاء بنا إلى مراتب الجمع، وسلوك حميد قد يحقق وحدة هذا الشتات بواسطة هذا التوجه الاجتماعي المنفتح عقلاً وقلباً"[50]

---

٥٠ إعداد جابر سعيد –أرض الهرم وأبوبكر هبتيس ومحمد إبراهيم علي، القرى والمدن الإرترية ما بين الأمس واليوم: تجمع قبائل بيت طوقي، الحلقة الرابعة بتاريخ ٢٨-١ -٥-٢٠٠٥.www.farajat.net

الفصل الثاني

التطوّرات التاريخية للبلين في حلحل - بقوص

- التطوّرات التاريخية للبلين في موقعهم الحالي
- فروع البلين
- البلين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

التطوّرات التاريخية للبلين في موقعهم الحالي

إنّ أياً من تلك الروايات لا تنفي الوجود التاريخي للبلين وإن اختلفت الروايات في اتجاه حركتهم كما سبقت الإشارة إليه ويظهر ذلك من تفاعلهم مع الأحداث والتفاصيل التي شملت المنطقة عبر التاريخ. وما شكّلته قبائل البلين من ملامح كبقية المجموعات الإثنية والعرقية واللغوية الأخرى التي تشغل أماكن التواجد الحالي، وما وجد بينها من ثقافة كنتيجة تلاقح مع عناصر البئية ومكوّناتها من أرض وبشر، وما نشأ بينها والآخرين من صراع ووئام فهم في ذلك مثل غيرهم من الشعوب التي تسكن معهم أو تجاورهم في أماكن تواجدهم الحالية.

على العموم إن قومية البلين تنقسم إلى فرعين رئيسين، هما: الترقي والطوقي "وبالرغم من أن القبيلتين تتكلمان لغة واحدة، ولهما ثقافة وحضارة مشتركة، فإن كلا منهما يعتبر نفسه وحدة منفصلة لها أصولها المستقلة، **فالأولى** تدّعي القدوم من مرتفعات إثيوبيا، **والثانية** تقول إنّها من المرتفعات الإرترية منطقة حماسين حالياً، وتعيش كل قبيلة على حدة في مناطق محددة، بيت ترقي في الجنوب، وبيت طوقي في الشمال الغربي."[٥١]

أما ترافاسكس يقول إنّ "بيت طوقي من الحاميين، جاؤوا من بلاد أجو في إثيوبيا، أما جماعة بيت طرقي فهم من التجري وقد هاجروا من الهضبة، وحمل أبناء بيت طوقي معهم اللهجة الحامية المستعملة في بلاد أجو، اقتبسها عنهم جماعة بيت طرقي، وتطوّرت إلى أن أصبحت لهجة مستقلة"[٥٢]، إنّ ترافاسكس في هذا النص اختلط عليه الأمر فأعطى ما للترقي للطوقي وبالعكس تاريخ الطوقي للترقي، فهجرة بيت ترقي من بلاد أجو في إثيوبيا إلى بقوص فهو الشائع في الروايات المحكية والمصادر المكتوبة حتى الآن، كما أنّ هجرة بيت الطوقي من الهضبة إلى مناطقهم الحالية أمر لا خلاف عليه، وبهذا من الواضح أنّ ترافاسكس حصل له

---

٥١ س.ف. نايدل. *التركيب السكاني في إرتريا العناصر والقبائل*. ترجمة جوزيف الصغير. بيروت: دار المسرة، ١٩٧٧. ص٤٥

٥٢ ج.ك.ف.ترافاسكيس. *إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال١٩٤١ -١٩٥٢*، ترجمة جوزيف صغير. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٨٤، ص، ٢٦

اختلاط في الاسميين و لذا لزم التصويب. فالترقي هم من هاجروا من بلاد الأجو إلى بقوص والطوقي من حماسين إلى حلحل كما سيأتي تفاصيل ذلك.

أما ترمنغهام فيقول هاجر البلين من لاستا وإقليم تجراي إلى منطقة بقوص وأزاحوا السكان الأصلين منها وهم الباريا وقبائل التجري، والقبائل الرئيسية للبلين هما الترقي والطوقي ومعهما مجموعات أخرى، ويسكن البلين على شكل تجمعات صغيرة، وينشطون في الزراعة والرعي، ولهم نظام طبقي ارستقراطي، ومن الناحية الدينية كانوا في السابق مسيحيين أرثودوكس ومنذ القرن التاسع عشر تحول الطوقي إلى الإسلام والترقي إما إلى الإسلام أو إلى المذهب الكاثوليكي، وبقي منهم جزء قليل على المذهب الأرثودوكس"[٥٣].

أما حامد تركي فيقول " وعلى أثر الحروب الضاربة بين القبائل الأقوية بزعامة أسرة زاقوي والقبائل الأمهرية بزعامة الأسرة السليمانية واستيلائها على العرش. انتقلت بعض القبائل الأقوية إلى الهضبة الإرترية فأصبحت أحد العناصر الأساسية في التكوين السكاني الإرتري، وتعرف هذه القبائل في إقليم البوغوص - كرن - باسم البلين"[٥٤] ويواصل في فقرة أخرى حديثه عن البلين فيقول "وبعد أن استقرت قبائل البلين في الهضبة الإرترية الوسطى، في المنطقة - المعروفة باسم سنحيت أو البوغوص وأخيراً باسم كرن - وحافظت على وحدتها في بداية الأمر وزحزحت من المنطقة بعض القبائل البجاوية التي كانت تسكنها إلا أنّها خلال مئات السنين اللاحقة - أي حوالي سبعة قرون - أصبحت تعيش منفتحة بصلات تزاوجية واسعة مع بقية الأسر والقبائل المجاورة لها من البجة وغيرهم. وبمرور الوقت أصبح فرع أسرة زاقوي الأجوية الإرترية نموذجاً لانتماءات القبائل الإرترية الكثيرة، ولم يبق تقريبا من الخصائص الأولى لأسرة زاقوي المهاجرة إلى إرتريا غير اسم القبيلة (البلين) و(اللهجة) بعد أن

---

53 Trimingham, J, Spencer. *Islam in Ethiopia*. Great Britain: Frankcass &company limited, 1952. P. 164-165

٥٤ حامد صالح تركي. *إرتريا والتحديات المصيرية: دراسة وثائقية في الشعب الإرتري وكفاحه المسلح*. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٧٩. ص، ٤٧

اختلفت إلى حد كبير عن أصلها الأجوي. لهذا نجد الآن عدة بطون داخل قبيلة البلين تنتمي إلى القبائل والفروع الإرترية الآخرى مخلوطة بالإقليم"[٥٥]

يبدو أنّ تركي تناول البلين على أنّهم كتلة واحدة ينحدرون من أصل واحد بينما الدلائل تشير إلى أنّ فرعي قومية البلين ينحدران من أصلين مختلفين، وبهذا نجد المؤلف لم يشر إلى تلك الفروقات الموجودة في سائر قومية البلين عبر التاريخ. كما أنّ استقرار البلين سواءً في منطقة حماسين أو البقوص يعتقد كان قبل هزيمة أسرة زاقوي الأجوية في القرن الثالث عشر الميلادي يرجح مجيء مجموعات في تلك الفترة للحاق بأبناء عمومتهم المستقرين هناك.

أمّا محمد صالح ضرار فيقول في كتابه تاريخ الحباب والحماسين بالسودان وإرتريا "البلين هي إحدى قبائل الحماسين التي اتخذت قرية عدوبنة مسكنا لها، وإليها هاجر ثلاثة من جزيرة العرب واندمجوا فيهم ومكثوا معهم حتى ظهور بيت بحايلاي، فلم يطيقوا استبداد بحايلاي وارتحلوا (وهم كارهون) إلى جهة كرن، فاستوطنوا حولها بجوار أبناء تكليس. وأما اللوت AlALOUT فانضمت للعجيلاب وتخلفت في عقيتات، اشتهر البلين بالشهامة والوفاء عميدها شوم إداد ود ركه IDAD WAD RAKA ثم خلفه ابنه شوم محمد الذي كانت أيامه قصيرة بسبب الحروب المتوالية في القرن الماضي. ويرأسها اليوم (سنة ١٩٢٥) شوم قبر سلاسي ابن هاكين والبلين كسائر القبائل يغزون ويغزون وتتأثر أعصابهم بسرعة حتى إنهم إذا رأوا غازيا أو عصابة متجهة إلى جهة ما اتبعوها واشتركوا معها في الغزو والنهب. وقد غزو بيت بعشو في جهة أدوبحا أيام المهدية وقتلوا منها بالرصاص محمود بن مندر موسى، وعجيل بن كميل وكلاهما من بيت الرئاسة. والأخير تمكن من قتل قاتله إذ سقط عقب إصابته بالرصاص، فجاء رئيس البلين ليسلب منه ملابسه فطعنه بالرمح في أمعائه فسقط بجانبه. وتنقسم البلين إلى عائلتين هما حروبة وعد طفح ولكل منهما شيخ مسؤول، وفي أيام المهدية

---

٥٥ المصدر السابق، ص. ٤٧-٤٨

تولى أمارتهما برم بلاس كافل، وقد أسلم على يدي الأمير عثمان دقنه، وسماه الأمير يوسف، وولاه على كرن وما حولها"[٥٦]

يمكن ملاحظة الأمور الآتية في هذا النص:

أولا- أنّ تصنيف البلين كإحدى قبائل الحماسين قد يشمل بيت طوقي ولا يشمل السنحيت.

ثانيا- يفهم من النص أيضاً أنّ أوّل استقرارهم كان في قرية عدوبنه ومنها رحلوا إلى مناطقهم الحالية في كرن وما حواليها. المعروف حتى الآن من التاريخ المدوّن والمحكي أنّ أبناء ترقي قد استقرّ بهم المقام من البداية في قرية طندق عيلابرعد حالياً ومنها توسعوا ومثلهم أبناء الطوقي في حلحل. وبناءً عليه فإنّ قول قرية عدوبنه كانت المنطلق للبلين قول لا تسنده أدلة وبراهين حتى الآن. قد يكون أحد فروع البلين قد وصل إلى قرية عدوبنه من حلحل - بقوص واستقروا فيها مؤخراً وهذا يستنتج من مشاكلهم مع بيت بحايلاي الذين وصلوا إلى هذه المناطق متآخرين بقرون من وصول البلين إلى كرن وضواحيها. وبهذا قد تكون المجموعة التي استقرّت في قرية عدوبنه امتداد فرعي للأصل الموجود في حلحل بقوص.

ثالثا- لم تكن قبائل البلين فقط تنقسم إلى قبيلة عد طفع وقبيلة أخرى سماها حروبة ولعله يقصد عد حربا فإنّهما جزء من الكل.

رابعاً- لم تكن هناك قيادة مركزية لقبائل البلين عبر التاريخ فلكل قبيلة زعيمها فإن هداد ود ركه هو من بيت طوقي لا يمثل ترقي وحتى في الطوقي لا يمثل إلا فرع التسأن ومثله قبر سلاسي هاكين لا يمثل كل البلين فهو من الترقي وفي الترقي أيضاً لا يمثل إلا جزءاً منهم.

---

٥٦ محمد صالح ضرار، *تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وارتريا*، الخرطوم: الدار السودانية، ط ٢، ١٩٩١، ص. ١١٤

خامساً- إنّ قول إسلام برام بلاس كافل في يد عثمان دقنه فهي مسألة تحتاج للتأكد منها فإذا كان كافل من أبناء بيت طوقي فإنّ قبائل بيت طوقي كانت قد أسلمت قبل أربعة عقود من ذلك التاريخ.

- وأمّا الباحث محمود إيلوس فيقول في البلين " تمثل القبائل المتحدثة بلغة البلين قومية كبيرة على مستوى إقليم سنحيت. وينقسم البلين إلى فرعين رئيسيين هما: (بيت طوقي وبيت ترقي)، وقد يطلق على بيت طوقي محليا اسم (طاقرد) وعلى بيت ترقي اسم (سنحيت). ويبدو أنّ إقليم سنحيت الذي كان يعرف سابقا بإقليم كرن قد أخذ تسميته من اسم القبيلة. ورغم أنّ فرعي قومية البلين ذاتا عادات وتقاليد موحدة بجانب تقارب التسمية المتجانسة، إلا أنّهما ينحدران من أصلين مختلفين. ويمارس البلين الزراعة ويعيشون في مستوطنات مستقرة تضم عدة عائلات، كما يعرف البلين بنظم إدارية محلية مميزة في المنطقة"[٥٧]. يمكن الإشارة هنا إلى أنّ اسم هذا الإقليم قد تغيّر عدة مرات من إقليم البقوص إلى كرن ثم السنحيت وأخيراً إلى عنسبا.

ويتفق محمد عثمان أبوبكر مع ما ذهب إليه إيلوس في حديثه عن التنظيم السياسي للبلين فيقول "أمّا التنظيم السياسي لقبائل البلين فيعكس عاداتهم المتحضرة وهو يقوم على أساس المراكز التي توجد فيها هذه القبائل. وفي فترة قريبة كانت كل عشيرة من عشائر بيت طرقي وطوقي تمارس حكمها الذاتي بقيادة زعيمها شوم أو كنتيباي" [٥٨]

فروع البلين

إنّ قومية البلين تنقسم إلى فرعين رئيسين هما الترقي والطوقي، ومجموعات أخرى تسكن معهما، وينقسم كل فرع إلى عشائر كثيرة يمارسون الزراعة والرعي ويسكنون في

---

٥٧ محمود عثمان إيلوس. *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية في حقبة الكفاح المسلح ١٩٦١-١٩٩١*. الخرطوم: شركة المطابع السودانية للعملات المحدودة، ٢٠٠٣، ص، ٤٢

٥٨ محمد عثمان أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر أرضا وشعبا، القاهر: ١٩٩٤م، ص٢٦٩-٢٧٠

مستوطنات دائمة على شكل قرى تضم عدة عائلات.

الترقي

يعتقد أنّ أبناء ترقي أوّل من وصل إلى بقوص ويدّعون أن أصلهم يعود إلى سكوتا في إقليم لاستا في إثيوبيا و يقال إنّ بقوص كانت مسكونة قبلهم من الباريا والبلو فانكمشت الأولى إلى القاش ورحلت الثانية إلى سمهر وما تبقى منهم انصهر في الوسط الجديد وأصبح جزءاً من مكوّنات البلين في بقوص ويعرفون في الروايات الشعبية الشفهية بالبلو والكلو إلى يومنا هذا، و تُعْزَى هجرة الترقي إلى بقوص لسببين **أوّلها** أنّ أحد أبناء الترقي الستة قتل شخصا وهرب مع إخوته خوفا من ثأر أهل المقتول، وهناك من يقول إنّهم هاجروا بسبب غزو مملكة ابن الحموية للأجو من جهة الجنوب[٥٩]. على كل إنّ الروايتين تتفقان أنّ أبناء تركوا بلادهم وهاجروا مجبرين وانتهى بهم المقام في بقوص في إرتريا في "طندق" عيلابرعد حالياً بعد رحلة شاقه أخذت منهم سنين.

وبمرور الزمن تكاثر عددهم وظهرت حاجتهم إلى أراضٍ أخرى وبدأت تظهر خلافات بين الإخوة في من يبقى في طندق ومن يرحل إلى الأراضي الجديدة،[٦٠] والأخوة الستة بحسب مكئيل قابر هم: يغداي، لمطلي، حدي، ساتيفاي، قبرو، حقوص، ويورد محمد نور فايد أنّ الأخ السادس هو دبرو بدل حقوص، وبدأ القوم بالبحث عن مناطق أكثر اتساعاً وملاءمةً لهم وأثناء البحث اكتشف كل من بغداي، ولمطلي، وساتيفاي، أراضي خصبة وتبادلوا المعلومات بينهم لكنهم أخفوها عن بقية إخوانهم حتى لا يشاركوهم في الأراضي الجديدة، وعند ما عرض عليهم إخوانهم الرحيل معهم إلى بركة تظاهروا بالموافقة وتخلفوا منهم وقت الرحيل بدواعي أنّ دوابهم غير قادرة لحمل أمتعتهم ووعدوهم باللحاق بهم. وما أنّ تأكدوا من رحيل المجموعة

---

59 Michael Ghaber, Op.Cit. p, 3 &6

60 Michael Ghaber, Op.Cit. p.6

إلى بركة ذهب كل منهم حيث المناطق التي اكتشفوها. فاتجه بغداي إلى قرية شاركي، واستقر لمطلي في منطقة قريبة من طندق، وساتيفاي في قرية موشى.

يقول محمد نور فايد في ذلك "نجحت مؤامرة الثلاثة فكانت لهم الأرض عند نهر عنسبا حيث بنوا بيوتا من الحجارة والحشيش، وشيّد بقداي معبداً له في قرية شاركي ووضع فيه التابوت، أمّا لمطلي فاستقرّ به المقام في أرض جهة طندق، واستقرّ ساتيفاي في قرية موشى،"[61] أمّا قبرو و هو من المجموعة التي غرّر بها فقد استقرّ به المقام في مقارح التي وجد فيها بعض الأسر من قبائل الكلو وتوغل حدي إلى بركة وسكن في عدة مناطق فيها في المناطق المعروفة اليوم ببركة لعال، من الآثار والشواهد التي تركتها قبيلة حدي في المنطقة المقابر الموجودة غرب مدينة منصورة، وأمّا دبرو فسكن في مرتفعات أدربا[62].

يشير مكئيل قابر أنّ بغداي ولمطلي بقيا في المنطقة الواقعة بين عيلا برعد ومقارح بعد خداع إخوتهم، وأما حقوص فرحل إلى جنوب مناطق غرب حماسين وتعرف ذريته اليوم هناك بشعب ليبان. أما ساتيفاي فاتجه نحو الشمال وسكن في المنطقة الواقعة بين المنسع والبيتجوك لكن ذريته لم تتكاثر وبمرور الزمن انقرضت. أمّا قبرو فرحل إلى المرتفعات المعروفة اليوم برورا بيت قبرو، وحدي توغل إلى بركة في البدء لكنه عانى من الملاريا وشدة الحر، وبسبب صعوبة الحياة في بركة عادت قبيلة حدي وهي كانت أكثر أبناء الترقي عدداً وغزت مناطق بغداي، ولمطلي، الممتدة من عيلا برعد إلى مقارح وانتصرت عليهم واستقرت القبيلة في تلك المناطق كما أنّ جزءاً منها وهي قبيلة سوكنيت أخذت مكان قبيلة ساتيفاي المنقرضة. وأنّ قبيلة حدي بسبب احتكاكها مع النتاب في بركة قبل تراجعها أخذت منهم بعض الأمور التي ترمز إلى الطبقية الاجتماعية كعدم حلب البقر[63] والتي أصبحت لاحقا من صميم العادات والتقاليد الاجتماعية للترقي.

---

٦١ محمد نور فايد. *إرتريا قبسات من ذاكرة وتراث الوطن*، سوريا حلب: الناشرون للثقافة والكتب. ٢٠١١، ص ٦٧

٦٢ المصدر السابق، ص. ٦٧-٦٨

63 Michael Ghaber, Op.Cit. p. 7

فيما يتعلق بنسب ترقي يقول محمد نور فايد "يذكر وجهاء القومية بأنّ ترقي هو ابن بقوص، ولبقوص أخ هو حقوص وكلاهما أبناء هبتماريام بن إبرهم بن زانو بن زاغوي من مملكة الأغو. لهبتماريام أخ هو زرئ ماريام الذي أنجب حربوي. ويقال إنّ حربوي مع أبناء عمه حقوص وبقوص كان يسكن في بلدة حَلْحَلِ الواقعة بين مدينة مندفرا وبلدة دباروه في سراي. ونجد أنّ ذرية حقوص هي الوحيدة التي حافظت على لغتها الأصلية وعاداتها وتقاليدها القديمة وقد هاجرت من حلحل لتستقر بعد مرور الزمن وإلى يومنا هذا في طندق (عيلابرعد) حالياً. أمّا ذرية حربوي التي اتخذت من حَلْحَلِ مستقرا لها فقد تأثرت بلغة التجرينية تاركة لغتها الأصلية وكذلك فعلت ذرية حقوص التي هاجرت لتستقر في منطقة ليبان غرب حماسين".[٦٤]

الديمغرافية البشرية لأبناء السنحيت اليوم تتكوّن من أبناء الترقي و١٢ نقد وقبائل أخرى. وتتكون قبيلة الترقي من "اثني عشر فرعا، سبعة منها لها نظار وهي بيت قبرو ولها ناظران، وناظر لكل من أسقدوم، وسليمون وزمات، وإيدكل، وحديمبس، وسكينايت. أمّا التي ليست لها نظار فهي لمطلي، وبقداي، وقدلوم، وأسكح، ودبرو."[٦٥]

أمّا ١٢ نقد فهم بينو، لقدري، لاوين، متو، كلو، مرير، إخوارارو، طقر، سحرتي، زوال علامة، زوال سليم، فاشل[٦٦] أمّا ناظرهم فكان يوسيف محطون وانتقلت النظارة إلى ذريته بعد موته. أمّا أشهر مدن وقرى الترقي والنقد فهي: كَرَنْ، عِيلَا بَرْعِدْ، حَقَّاتْ، فلادارب فرحين، بَسَكْدِيرَا، حَلِيبْ مَنْتَلْ، درق، حَشَلَا بِلِينْ، عُونَا، مَقَارِحْ، رُورَا بِيتْ قَبْرُو، بَقُّوْ، قِلَاسْ، أَشَرَا، وإِنْطِينَاقْ، وغيرها.

---

٦٤ محمد نور فايد. *مصدر سابق*، ص ٦٧

٦٥ المصدر السابق، ص، ٦٨

٦٦ المصدر نفسه، ص، ٨٠

بيت طَوْقي

إنّ أبناء بيت طوقي كانوا يسكنون في قرية "أبركيا" القريبة من عد تَكّلِيزانْ في حماسين لفترة طويلة قبل رحيلهم إلى حَلْحَلْ ولا يعرف بالتحديد منذ متى كانوا يسكنون في هذه المنطقة؟ وردت في ذلك روايتان **الأولى** أنهم ينحدرون من منطقة كوارا في بجمدر هاجروا منها إلى عد تكليزان في القرن العاشر وذلك للأسباب السياسية التي كانت تعاني منها المنطقة آنذاك وربما المقصود هنا غزو مملكة ابن الحموية لمملكة الأجو من جهة الجنوب أو عند سقوط مملكة زاقو الأجوية في عام ١٢٧٠م. وهناك من يقول : إنّ أسباب هجرتهم كانت بسبب المجاعة التي ضربت منطقتهم في تلك الفترة[٦٧] وكان طريق هجرتهم عبر دَامْبِيَا وتمبين في جنوب تجراي وأخيراً استقر بهم المقام في عد تكليزان في حماسين لزمن طويل ومنها انتقلوا في القرن السادس عشر إلى موطنهم الحالي في حلحل.

الرواية **الثانية** تقول إنّهم أحد مكوّنات سكان حماسين من عهود غابرة ولم يكونوا من المهاجرين إليها من داخل الحبشة، ومن حماسين انتقلوا إلى حَلْحَلْ حيث مستقرّهم الحالي. تقول الرواية الشعبية إنّ سمرعين وعمه بجل وجوين وزَرْؤُ تحركوا من حماسين عبر منطقة شيتل ووصلوا إلى مكان يسمى حتى الآن "بحمرت قوليا "وهي تقع في منطقة سبر القريبة من دبر سالا وأقام فيها قريتهم وبنوا فيها كنيستهم[٦٨] وبعد فترة ولأسباب غير معروفة تحرك الثلاثة (سمرعين وبجل وزرؤ) باتجاهات مختلفة للبحث عن أماكن أكثر ملاءمة لسكنهم، فسمرعين تحرك باتجاه حلحل، وبجل إلى بركة، و زَرْؤُ إلى مرتفعات الماريا. وعند ما عادوا من رحلة الاكتشاف وتبادلوا المعلومات بينهم كان كل منهم قد أعجب بما اكتشف من المناطق فطلب أن يذهبوا معه لكن كل واحد منهم أصرّ على موقفه، فذهب كل منهم حيث المناطق التي اكتشفها، فتوغل بجل إلى بركة وزرؤ إلى الماريا إلاّ أنّ زرؤ دفع إلى الخلف من الماريا لاحقا.

---

67 Michael Ghaber, Op.Cit. p,8

68 Munzinger. Op.Cit. p, 162&163

وسمرعين وجوين توجها إلى مرتفعات حلحل واستقرا فيها ويقال إنّ سمرعين وجوين أخوة من جهة الأم وتذكر الرواية "إنّ طوقي كان قد تزوج من والدة جوين وولدت له ابنه البكر سمرعين، وكان جوين آنذاك فتى يافعا فأعان والدته في تربية أخيه سمرعين عندما تزوج طوقي من إمرأة أخرى وأنجب منها ابنه الثاني وهو إِبْرِهِمْ، ومن عد تكليزان ارتحلا الأخوان إلى حلحل[٦٩]" على كل حال كانا أوّل من وصلا من الطوقي إلى حلحل ووجدا حلحل أرضاً خصبة لرعي مواشيهم. وتذكر الروايات أنّهما وجدا في حلحل رجلان يسكنان في كهف وهما طِنْفَايْ وشباخة حسب الروايات الشعبية فبدأ سمرعين يقدم لهما الحليب ودعاهما أنّ يسكنا معه فاستجاب طنفاي لدعوته وقبلها شباخة بعد تردد مخافة ألا يستولي على أرضهم. والسؤال هنا منذ متى كان طنفاي وشباخة في حلحل ومن أين قدما إليها؟ هنالك إحتمالان: الاحتمال **الأول** قد يكونا من بقية السكان الأصليين الباريا أو البلو المعروفين في الروايات الشعبية بالكلو والبلو، والاحتمال **الثاني** قد يكونا نزحا إلى هذه المنطقة من الهضبة قبل قدوم سمرعين. وعلى الرغم من عدم توفر معلومات كافية لترجيح أحد الروايتين بالجزم إلا أنّ الباحث يميل إلى الاحتمال الثاني القائل إنّهما قدما إلى حلحل من المرتفعات الإرترية قبل فترة من قدوم سمرعين وذلك لسببين **أولهما** أنّ عد طنفاي أنفسهم يقولون إنّ أصلهم يعود إلى المرتفعات وهذا ما لاحظته أيضاً في شجرة أنسابهم[٧٠]

ثانيا لأنّهما أكثر شبها وشكلاً وثقافة وحتى الأسماء لمجتمع المرتفعات كأبناء طوقي أكثر من السكان الأصليين لهذه المنطقة مثل الباريا. على كل حال فإنّ ذرية طنفاي وشباخة اليوم تعد من أحد المكوّنات الاجتماعية في بيت طوقي.

في الوقت نفسه كانت تسكن قبيلة بيت موسي القوية في ضفاف نهر عنسبا في قرية موشي القريبة من سروا وإلى يومنا هذا تسمى تلك القرية بهذا الاسم، وهذه المنطقة كانت

---

٦٩ تعليق دكتور عبدالله جمع إدريس وهو نفسه من الجوين في الحلقة الثالثة من مقالات الباحث في هذا الموضوع في منتدى أبناء بيت طوقي، بتاريخ يوم ٢٣-١٠-٢٠١٧م.

٧٠ الشكر موصول للأخ طاهر عبده ترقي الذي أمدني بشجرة أنساب عد طنفاي.

قريبة من مرتفعات حلحل فكان سمرعين حذراً حتى لا يتعرضوا له بالسوء فأرسل إلى والده طوقي يطلب منه أن يزوره، وبعد فترة جاء والده طوقي ليطمئن على ابنه وبعد أن تفقد أحواله وأحوال من حوله من المجموعات الآخرى التي تشاركه السكن في المنطقة وهم طنفاي وشباخه وبيت موسي، بحكم أنّ سمرعين كان قد توصل إلى اتفاق مع طنفاي وشباخة بنفسه فإنّ طوقي وحارسه قد ذهبا إلى بيت موسي الذين كانوا يسكنون في منخفضات سروا ليطلب التحالف معهم لابنه، وبعد محادثات معهم توصل طوقي إلى إقامة حلف بين ابنه وبيت موسي. وعندما همّ طوقي بالرجوع إلى حلحل طلب منه زعماء بيت موسي التريث حتى عودة فرسانهم حتى لا يتعرضوا له بالسوء دون أن يعلموا من هو إلا أنّه مضى في طريقه ولسوء الحظ صادفه فرسان بيت موسي في منطقة تسمى "دمبايقف" في ضفاف نهر عنسبا فقتلوه وحارسه حالاً، ورواية أخرى تقول إنّهما أصيبا بجروح خطيرة. ففي الرواية الأولى يقول ساندستروم كان مع طوقي أثناء الهجوم عليه ابنه سمرعين وحارسه وقد قتل طوقي وحارسه وأفلت سمرعين من القتل وأبلغ أهله في عد تكليزان بالحادث، واستنجد سمرعين بأهل أم طوقي من الترقي لحمل جنازة طوقي وحارسه، فقاموا بحمل الجنازتين فأوصلوهما إلى قبيلة ساتيفا وهم بدورهم أيضاً أوصلوا الجنازتين إلى بغداي وبغداي إلى لماشلي، ولماشلي إلى أهله في عد تكليزان"[٧١].

أمّا مكائيل حسامه فيقول طوقي وحارسه هما اللذان تعرضا للهجوم وجرحا جروحاً خطيرة وعندما سمع سمرعين بالحادث ذهب هناك وحملهما إلى منطقته و أرسل رسالة سريعة إلى أهله في عد تكليزان ليخبرهم بماحدث ووقعت أخبار تلك الحادثة على أبناء طوقي كالصاعقة فجاؤوا مهرعين فحملوا والدهم وحارسه المجروحين إلى عد تكليزان وعند ما وصلوا إلى منطقة أمبادرهو تحتاي كانا قد فارق الاثنان الحياة، ومن الأساطير الغريبة التي تحكى عند ما فارق طوقي وحارسة الحياة دفنوا الحارس في نفس الموقع وقرروا أخذ جثمان

---

71 The Sundstrom Collections, Uppsala, Sweden. Translated from the orginal Tigre to tigrina by ato Gebru Kifle, Uppsala 1997 and Translated from Tigrina to English by Aida Kidane, posted on 09 Jan 2003. P ,1

طوقي إلى عد تكليزان، الا أنّ جنازته أصبحت ثقيلة وأصبح من الصعب تحريكها من المكان، وهنا قرّر القوم إخراج جثة حارسه وأخذوها معه إلى عد تكليزان ودفنوهما معاً في عد تكليزان ومازال قبرهما موجودين ومعروفين حتى الآن هناك.

بعد إتمام مراسيم الدفن توجه القوم لأخذ الثأر من قاتل والدهم وأخذ كل منهم أربعين حبة من الحصيات ليرمي منها واحدة كل صباح ويوم انتهائها هو إشارة للوصول إلى مناطق بيت موسي،[٧٢] في اليوم المحدد هجمت مجموعة كبيرة من أبناء بيت طوقي وأقربائهم وحلفائهم من قبائل المرتفعات على بيت موسي إلا أنّهم قوبلوا بمقاومة شديدة لأن بيت موسي كانوا قوماً أشداء وعددهم كان كبيراً ويجيدون صناعة سلاح ذلك العصر من الحراب والرماح والسيوف التى كانت في ذلك الزمان بمثابة الصواريخ في الوقت الحالي، استمرت المعركة بينهما ثلاثة أيّام وظهر فيها توازن القوة بين المجموعتين إلى أن انتبه سمرعين لنقطة القوة في بيت موسي وهو الإمداد الخلفي لهم وهو الحداد الذي كان يمدهم بالرماح فسدد إليه ضربة فقتله وبعد ضرب نقطة قوة بيت موسي و نفاد الرماح منهم بدأت تختل موازين القوة وأصبحت تميل لصالح المهاجمين من بيت الطوقي فأبادوا بيت موسي ولم يبق منهم أحد إلاّ إمرأة حامل كانت في مكان آخر كما تقول الروايات المحكية.

وتقول الأساطير الشعبية إنّ الحداد الذي قتله سمرعين دعا عليه حتى لا تتكاثر ذريته وسواءً صدقت أم لم تصدق تلك الأساطير فإنّ ذرية سمرعين إلى يومنا هذا تعتبر أقلية في بيت طوقي مقارنة بأبناء أخيه إبْرِهِمْ وإن الباحث ينحدر منهم من جهة الأم. بعد انتهاء المعركة يقال طلب سمرعين من إخوته حماية ترافقه فرافقه أخوه إبرهم ومعه دَنْقِينْ لاوِينْ، حَمَاسِينَايْ، بهاباي، وَدِّي قَابُولْ، سَحَرْتِي، سَنْجِيتَايْ، و وَاطَايْ.

بالعودة إلى بيت موسي ورواية أنّ بيت طوقي ورثوا منهم اللغة وبعض العادات والتقاليد. **أولاً** من هم بيت موسي ومن أين جاؤوا إلى هذه المنطقة؟ هل هم أحد فروع بيت

---

٧٢ مكنيل حساما ركا، مصدر سابق، ص، ٦٣-٧٢

ترقي؟ **ثانياً** كيف أن المنتصرين من أبناء طوقي يتنازلون عن لغتهم وعاداتهم المحفورة في أعماقهم ليرثوا لغة المهزوم وعاداته؟

على الرغم من عدم توافر معلومات كافية عن أصل بيت موسي وتاريخ هجرتهم إلى منطقة سروا فهناك من يذهب، مثل مونزنجر، إلى احتمال أنهم فرع من فروع بيت ترقي[٧٣] ومثله يرجع مكائيل حسامه أصلهم إلى الأجو[٧٤]. ويميل الباحث إلى الرأي القائل إنهم فرع من الترقي وذلك لسببين **أولا** أنهم كانوا يتحدثون لغة البلين وليس اللغات التي كانت سائدة في المناطق المجاورة لهم في الساحل وبركة، **ثانيا** أنّ المجموعات الأولى من البلين أي الترقي كانت قد استوطنت في بقوص قبل تلك الحادثة بقرون. ومع تلك المؤشرات لا يزال الموضوع بحاجة إلى مزيد من التقصي والبحث لإثبات أو نفي تلك الفرضية.

أمّا أنّ رواية قتل طوقي من قبل فرسان بيت موسي وإبادة أبناء طوقي لبيت موسي تبدو الرواية متواترة في التاريخ المحكي وفي الكتابات القديمة والحديثة التي تناولت تاريخ البلين حتى الآن وبناءً على ذلك في غالب الظن حدثت هذه الحادثة إلا أن هذه الرواية في جزئية وراثة بيت طوقي اللغة وبعض العادات والتقاليد من بيت موسى تعاني من بعض المشاكل البنيوية:

أوّلها- إذا كان قتل طوقي بطريقة غير مقصودة من بيت موسي لماذا كل هذه الحرب؟ قد يكون الجواب بمنطق ذلك الزمن أنّ مجرد القتل كان سبباً كافياً لقيام حرب ضروس، بل كان مما وصلنا من التاريخ أنّ حروباً كانت تقوم لأتفه الأسباب مثل سباق الخيل كداحس والغبراء وغيرهما. وحتى لا يفهم خطأً بأنّ هذا تبرير لما ارتكبه أبناء الطوقي ضد بيت موسي كما أنّه ليس محاكمة لبيت طوقي بمنطق اليوم، بل هو تحليل للمقروء والمحكي من الروايات المتواردة.

---

73 Munzinger , Op.Cit, p.16٤

٧٤ مكئيل حساما ركا، مصدر سابق، ص. ٦٣-٧٢

ثانيها- أنّ بيت طوقي ورثوا اللغة وبعض العادات والتقاليد من بيت موسي بعد إبادتهم. إذاً كيف يستقيم أنّ المنتصر يتنازل عن لغته وعادات آبائه الأولين ليعتمد على لغة المهزوم وموروثه الاجتماعي؟ بعبارة أخرى أنّ الانسان قد يرث الأشياء المادية من المهزوم لكن من الصعب أن يتنازل عن ذاكرته الثقافية العميقة بما فيها اللغة والعادات والتقاليد الموروثة كابر عن كابر بل العكس فالمنتصر القوي دائما يفرض ثقافته وموروثه الاجتماعي خاصة إنّ بيت طوقي كانوا على درجة متقدمة من التنظيم والنضج السياسي والإداري في موطنهم الأصلي أكثر مما كان لبيت موسى.

ثالثا- أنّ هناك مؤشرات لاستقرار مجموعات متحدثة للغة البلين في المرتفعات الإرترية مكان استقرار الطوقي السابق وذلك لوجود أسماء بلغة البلين فيها "كوكي ديبا" "ووكي زاقر" وغيرها ومتى ما صحت هذه الرواية فإنّ قبائل الطوقي كانوا يتحدثون لغة البلين قبل قدومهم من عد تكليزان.

رابعا- أن الرواية تقول إن بيت طوقي أبادوا ذكور بيت موسى وسبوا النساء والأطفال، وتزوجوا النساء، ومن المعلوم أن عدد بيت طوقي آنذاك لم يتجاوز أصابع اليد وبالبحث عن زوجاتهم لم نجد من تزوج من نساء بيت موسى، على سبيل المثال زعيم بيت طوقي إبرهم زوجاته الثلاثة من قبائل معروفة في المرتفعات الإرترية كما سيأتي تناولهم لاحقا وقد يقول قائل إن الذين تزوجوا نساء بيت موسي من الطوقي هم الجيل الثاني أو الثالث وهذا مستبعد لفارق الزمن، ثمّ ما المانع ألاّ يتزوج منهم الجيل الأول ؟، وأين ذهب أطفال بيت موسي الذين تم سبيهم هل هناك من ذريتهم في وسط بيت طوقي؟ إن هذه المسألة بسهولة يمكن معرفتها في مجتمع قبلي مثل طوقي إذا كانت هناك أسر يعود أصلها إلى بيت موسى. وهناك رواية أخرى تقول لم يبق من بيت موسي إلا إمرأة حامل كانت موجودة في مكان آخر أثناء الحرب وربما كانت في منطقة ترقي وهذا ما يبرر وجود بعض الأسر منهم وسط ترقي إلى اليوم، فمن من تعلم أبناء بيت الطوقي اللغة؟ وكيف انتقلت إليهم العادات والتقاليد؟ لأنّ هذه الأمور تحتاج

إلى المعايشة الطويلة لاكتسابها والمتتبع للدراسات الاجتماعية التي تهتم بالعادات والتقاليد يجد أنّ التغيير في البنية القبيلة لا يحدث إلا بالقدر اليسير، وذلك إمّا بحكم اختلاط القبيلة مع القبائل الأخرى، أو نتيجة لتحول في نمط حياة القبيلة من حياة الرعي إلى الزراعة أو إلى الصناعة وغيرها، بالتالي فإنّ أفرادها يكتسبون عادات وتقاليد جديدة طبقا لتلك التحولات لكن هذه التحولات لا تحدث بين عشية وضحاها بل تحتاج لتراكمات زمنية طويلة.

من كل هذا يبدو أنّ مسالة القتال بين بيت موسي وبيت طوقي كما سبقت الإشارة إلى ذلك قد تكون حدثت إلا أنّ اعتماد بيت طوقي على لغة وموروث بيت موسي المهزوم فتلك مسألة غير وجيهة للباحث للأسباب السابقة.

على كل إنّ أبناء طوقي وطنفاي وشباخاي والمجموعات التي قدمت معهم استقروا في حلحل وضواحيها، وأنّ بجل الذي جاء مع سمرعين وهو أخ لطوقي من عد تكليزان سكن لفترة في حمرت قوليا في منطقة سبر وبعدها توغل إلى بركة وتوجد اليوم مجموعات من سلالته في مناطق البركة لعال والقاش وهناك قرى مسماة باسمهم كقرية بيت بجل التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة أغردات. أما زرؤ فقد أخرج من مناطق الماريا وتنتشر ذريته اليوم في مناطق عنسبا وعيلابرعد وأجزاء من الساحل وغيرها.

تذكر المصادر أنّ الابن الأصغر لطوقي يسمى تكليزان لم يرحل من أرض الأجداد وبقي في دار والده وأنجب سرايات سقدي، ومنه كل من تكليهيمانوت وفريمحق، ومن سلالتهما الزعيمين المعروفين كفلي قرقيس، وإيلوس، اللذان تنافسا في إدارة دمبيزان، ومنهم الزعيم دجيات حدقمبس الذي قاوم الاحتلال الإيطالي عند مجئيهم إلى إرتريا، ويعرف أهل دمبيزان بالزمات الخمسة وهم مشهورون بالشهامة والشجاعة وشدة البأس عند اللقاء، ويعتزون بأصلهم ولهم دراية باستحقاق السلطة وطرق ممارستها[٧٥]

---

٧٥ مكئيل حساما ركا، مصدر سابق، ص، ٦٣-٧٢ . و محمد نور فايد مصدر سابق، ص، ٧٦

أما سمرعين منذ وصوله إلى حلحل فقد استقرّ في قرية ماي أوالد التاريخية وبنى فيها كنيسته[٧٦]. ويعتقد أنّ آثار القرية بما فيها الكنيسة التي وجدت في منطقة عراتوخ مؤخراً هي نفس المكان الذي أقام عليه سمرعين قريته عند وصوله إلى حلحل وما زالت ذريته تسكن في هذه المنطقة وما حولها. أمّا إبرهم فقد استقرّ به المقام في حلحل وأقام فيها قريته وبنى فيها كنيسة تسمى القديس يعقوب[٧٧] ويعتقد أنها كانت في منطقة "قسلت"، عند ما تكاثر أبناء إبرهم وزاد عددهم فضاقت عليهم تلك المنطقة فبدؤوا بالتوسع، فغالبية أبناء تسأن ذهبوا إلى عنسبا، فأنشأ أبناء قايم قرية حبوب، وعد كلب قرية واليكو، ووعد تخلطون قرية زرون، وعد فايد قرية سروا، ويقال أيضاً إنّ أبناء تسأن أنشؤوا كنيسة خاصة بهم تسمى قدست ماريام[٧٨]. بقي في حلحل أبناء يعقوب، قَبْشَا، وطَفَعْ، ولاَمْدِيرِيْ إلا أنّ طفع لاحقا انتقل إلى قَبَيْ أَلَبُو، أمّا بقية أبناء إبرهم فمنهم من ذهب مع تسأن إلى عنسبا ومنهم من بقي في حلحل.[٧٩]

يقال إنّ أبرهم كان قد أنجب اثني عشر من الأبناء إلا أنّهم جميعهم و زوجته قد توفوا نتيجة لمرض عضال ضرب المنطقة آنذاك وبقي إبرهم وحده، وقد أصابه الحزن والأسى لفقدان أفراد أسرته، وهمّ بالانصراف عن الدنيا وملذاتها والانقطاع تماما للعبادة في صومعة، وهو ذاهب إلى ذلك قابله في الطريق رجل وسأله إلى أين يذهب فقصّ عليه قصته كاملة، فنصحه الرجل أن يعود إلى قريته و يذهب في الصباح إلى مكان معروف ويقطع الشجرة الكبيرة هناك فإذا هوت الشجرة جهة الغرب إذهب إلى ما فكرت فيه، وإن هوت اتجاه الشرق فاستقر في قريتك وتزوج. في الصباح قطع إبرهم الشجرة فهوت الشجرة شرقاً، فعدل عن تفكير الرهبانية وتزوج وبدأ حياته من جديد فأنحب أثني عشر من الذرية من ثلاث زوجات وهن جنقنيت ولامدريت، ودانشيمايت، وإنّ سلالته اليوم هم أكثر أبناء بيت

---

76 Munzinger, Op.Cit, p.16٤

77 Ibid. P.164

78 Ibid. P.164

٧٩ أنظر لمزيد لتفاصيل هذه القرى وأسماء الكنائس للمصدر السابق ، ص ١٦٤-١٦٨-١٦٩

طوقي. الملاحظ أنّ هذه الرواية متناقلة من جيل إلى جيل وسمعها الباحث كثيراً من كبار السن في بيت طوقي مع اختلافات بسيطة في طريقة الرواية هنا أو هناك. كما هي مذكورة في كتاب مكائيل حسامه بالتجرنية "زانتا إرتريا" وهذا يعني قصة متدوالة وليست غريبة في محكيات الطوقي. أمّا عن مدى صحتها، فقد تكون حدثت وقد تكون من الأساطير وفي كلا الحالتين هي جزء من التاريخ المحكي لبيت طوقي. هل بالإمكان قبول هذه الرواية منطقيا؟ الجواب هو بنعم ففي عناصر القصة لا توجد استحالة لوقوع تلك الأحداث، فالمرض والموت أمران ملازمان للحياة، والزواج مرة ثانية وإنجاب الأطفال مرة أخرى أمر طبيعي ومكرّر في حياتنا اليومية. وقد يأتي هنا سؤال آخر كيف تزوج بثلاثة وهو مسيحي؟ إن الباحث لا يملك معلومات للإجابة على هذا الموضوع يذكر فقط ما يراه ويعتقد من الاحتمالات، والاحتمال الوارد هو قد لا يكون تزوجهم جميعا في آن واحد، وقد يكون كان مسيحيا اسمياً، وقد يكون منع التعدد ابتداع لاحق في الكنيسة الأرثودوكسية وقد تكون هناك أمور أخرى يجهلها الباحث.

مهما يكن من الأمر فإنّ بيت طوقي من ذلك التاريخ قد فرضت سيطرتها في المنطقة المعروفة اليوم بحلحل وضواحيها وتكاثروا وتوسعوا في المناطق الواقعة بين الماريتين من الشمال والسنحيت من الجنوب وبني عامر من الغرب وبيت جوك وعد تكليس وتماريام من الشرق، إنّ قبيلة بيت طوقي تتكوّن من أبناء طوقي عد سمرعين، وذرية إبرهم، وهم من ثلاث زوجات:

من جنقنيت هم قركتوس، بيطروس عبكة، وإمبارك

ومن لامديت هم شوم أحنس، تايدوس، أتو، نقدي، هددي، قددي،

ومن دانشيمايت، هم تسأن، ودرئ إبرهم، وميناب.

كلهم تركوا ذرية ما عدا هددي وقددي أمّا عن ميناب فإنّ الباحث غير متأكد إذا كان ترك ذرية أم لا.

وهناك عشائر أخرى من غير أبناء طوقي: طنفاي وحَرَبَا، وجنقرين، ودانشيم وجوين، ولاوين ودنقين وكخين، واطوت، قابول أو قدب وكوازين، وسحرتي. وأسر أخرى مثل قباش، والعقر، المعقبو والزاقر وسب لعاليت، وأسر من الماريتين، الحباب، زاول، شار، وكنانة، قوريتا وأسر من آل الشيخ حامد وعد معلم، عد ولدي سلاسي، وغيرهم. اختلطت هذه المجموعات ببعضها حيث أصبح من الصعب أن تجد شخصاً ليس له رحم من أب وأم أو خالة أو جدة في تلك القبائل، وهكذا خلقت هذه القبائل مجتمعة تاريخا مشتركا وعاشت في وئام وانسجام وتدير شؤونها الداخلية بواسطة الأعراف والقوانين المحلية المعروفة بقانون أو عرف بيت طوقي.

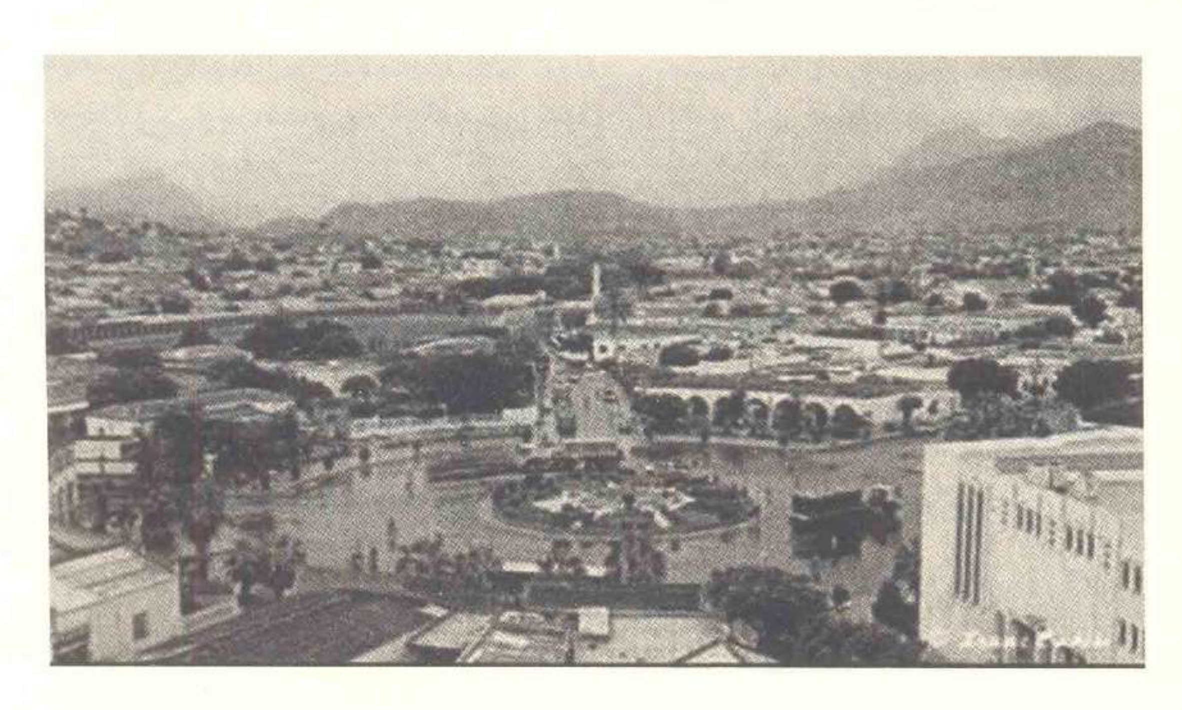
وإنّ الهياكل السياسية والاجتماعية لقبائل بيت طوقي كان منقسماً على عشائر كل عشيرة تمارس الحكم الذاتي بواسطة زعيمها (سيم) وإنّ كان لا يعرف متى بدأ هذا النظام، وكيف استحق هذا فرع دون الآخر الزعامة في البداية إلا أنّها لاحقا أصبحت استحقاقا وراثيا، "تسمى العمودية بالبلين (جبت)، والعمدة "سيم" ويلقب بكنتيباي عند البلين والحباب والبيت جوك والماريا والمنسع، وهو منصب يتم بالتوارث وعادة أكبر أولاد العمدة هو الأولى بالعمودية إلا إذا وجدت ظروف خاصة تقدر بقدرها ويتم تنصيب العمد في موكب مهيب يسمى "كبكب" يحضره عامة الناس ووجهاء وأعيان وعمد البلين والقبائل المجاورة. كان للعمدة هيبة واحترام وتقدير عند كل الناس وكان صاحب الأمر والنهي في القبيلة بلا منازع وكل المناصب والألقاب دونه"[٨٠] والعمودية بدورها تنقسم إلى حصص وهي تأتي في الأهمية بعد العمودية. والحصة تكون من حق كل فخذ أو أسرة وصل عدد رجالها البالغين

---

٨٠. محمد جمعة إسماعيل عثمان طلوق، التسلسل الهرمي لبيت طوقي في إصدار الأحكام وفصل المنازعات، مقال منشور، في ملتقى أبناء بيت طوقي بتاريخ ٩ سبتمبر ٢٠١٢.

إلى أربعين رجلا. والحصص يعتبرون نواباً للعمدة في أُسرهم أو فخذهم ويساعدونه في شؤون القبيلة المختلفة من جمع الدية والضرائب وفي فصل المنازعات وفي شؤون القبيلة الأخرى.

أمّا مدن وقرى بيت طوقي منها حلحل: وهي المقر الأساسي للقبيلة ويحيطها قرى كثيرة أراس وسروا، متكلأبي، مايأوالد، شيكا عد حزباي، جنقنيت، قبي ألبو، سبر، طروم، مأتوت، معركي، إردا، فانشبكو، فانا، والقرى المجاورة لها، بركنتيا، ليبنا، حبوب، أفطروق، مرجن، عمر أمير، دو العقدة، طعدا كرخ، قيسو، قربعل، ششا، أبلبا، شنقورونتلا، دادو زرون، قارسقر، قلجبا، توفالبوا، أزرقت وغيرها.



كرن عاصمة البلين في الوقت الحالي

البلين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

استقرّ البلين في منطقة حلحل بقوص التي يحاددها، بمفاهيم ذلك الزمان، مجموعات قوية كالتجرنية من اتجاه الجنوب، البني عامر من الغرب، الماريا من الشمال، الحباب من الشرق. وقد أورد مونزنجر في القرن التاسع عشر بعض تفاصيل عن خارطتهم السكانية وزعاماتهم آنذاك وخاصة البيت طوقي يقول: إنّ أبناء قايم يسكنون في حبوب ومعهم جنقرين ومجموعات أخرى وعددهم ٣٥٠ فرداً وزعامتهم كانت في يد هداد ود ركا

وإدريس نور الدين. وفي منطقة واليكو كانوا يسكنون عد كلب ومعهم مجموعات من عد تكليس وحباب وعددهم ٥٠٠ شخص وزعماؤهما كانوا شكر بئمنت ودافلة تماريام. وعد تخلطون يسكنون في قرية زرون وعددهم ١٠٠ شخص وزعيمهم ود فزع. وعد فايد يسكنون في قرية سروا وعددهم ٢٠٠ شخص وزعيمهم هو تكروراي تيدروس. وعد قبشبا يسكنون في حلحل ومعهم مجموعات أخرى من أبناء الطوقي وعددهم ٣٠٠ شخص وزعيمهم هو نصور، وعد تسي في منطقة متكلأبي وعددهم ١٠٠ شخص ولم يشر إلى زعيمهم، وعد طفع ومعهم مجموعات من الماريا وآخرون يسكنون في قرية قبي ألبو وعددهم ٤٥٠ شخصاً وزعيمهم هو أسفداي أديب ولعله يقصد أسفداي أبيب، كما أشار إلى عد حزباي وعددهم يقول ١١٠ شخص، وجنقرين وعددهم ١٠٠ شخص دون أن يشير إلى قراهم وزعمائهم، ولم يشر إلى عدد عد سمرعين وأبناء أبرهم الباقين والسكان الآخرين في المنطقة.

كما تناول النظام الطبقي بين التقري والشماقلي والأعراف والقوانين وأشار أيضاً إلى وجود عملية الرق بأعداد متفاوتة بين قبائل بيت طوقي، كما تناول صفات قبائل الطوقي من قوة وشجاعة وإقدام وشدة مراس في حالة الحرب وحسن التعامل مع الآخر في الحالات العادية، وفي نفس الوقت يقول لتلك القوة جانب سلبي لأنّها كانت تستخدم في قتال بعضهم البعض الأمر الذي تسبب في ضعفهم[٨١] ويمكن هنا الإشارة إلى ملاحظتين فيما سطرّه مونزنجر عن طوقي.

الأولى أنّ كتابه هذا قد لا يصنف ضمن كتب التاريخ بل قد يعتبر من كتب أدب الرحلات التي يركز مؤلفوها في الانطباعات والمظاهر التي يشاهدونها دون التعمق فيما وراءها، ولذا نجد أنّ مونزنجر أعطى انطباعاته حول بعض قبائل الطوقي وترك الأخرى.

ثانيا أنّه يبالغ في عملية الرق وسط قبائل الطوقي والمعروف أنّ هذه الظاهرة في بيت طوقي كانت أقلّ مما كان موجوداً في المجموعات المجاورة لهم ولذا فإنّ الأسر التي مرّت بعملية الرق

---

81 Munzinger. Op.Cit. p,168-169

وسط الطوقي واعتقت لاحقا أسر قليلة جداً وهي معروفة وسط الطوقي إلى يومنا هذا. وإذا كان عددهم كبيراً مثل ما ذهب إليه مونزنجر فأين ذهبوا بعد تحريرهم هل غادروا المنطقة وإلى أين؟ وفي عهد الانتداب البريطاني (١٩٤٢ - ١٩٥٢م) يقال طلب الإنجليز من كوليري عبي تحرير الرقيق في قبيلته فرد عليهم بعدم وجود رقيق بين أفراد قبيلته. هذا وأمور أخرى مما سجّله مونزنجر عن قبائل الطوقي وقراهم عند زيارته للمنطقة في الفترة ما بين ١٨٦١-١٨٦٢م.

من ناحية علاقتهم بالمجموعات المجاورة لهم فإنّ البلين كسائر القبائل في المنطقة آنذاك كانوا يغزون ويغزون إلا أنّ وقوعهم وسط تلك المجموعات القوية التي تفوقهم عدداً وعتاداً أنّ الغزوات والحروب ضدهم كانت أكثر، فعلى سبيل المثال أنّ الهجمات على الترقي كانت تأتي من الأحباش وخاصة الإقطاعيين الإثيوبيين والبني عامر، بينما كانت هجمات الحباب والماريا كانت تكثر على الطوقي بحكم القرب الجغرافي.[٨٢] من ناحية أخرى إنّ حلحل بقوص كانت تقع في طريق القوافل التجارية البرية من وإلى البحر الأحمر ومن أكسوم وبلاد البونت من جهة ومملكة مروي ومصر والشام من جهة أخرى، كما كانت طريق الحجاج المسيحيين إلى القدس والمسلمين العابرين إلى مكة عبر مصوع، فعلى سبيل المثال أحد الطرق والمسالك المعروفة كان يبدأ من دباروا مرورا بأسمرا، بلازا، عدي نيفاس، إمبادرهو، كرن، حلحل، ماريا، رورا بقلا، توكر، سواكن، قصير، سيناء، القاهرة، القدس[٨٣]، وغيرها هناك طرق أخرى كثيرة تمر ببلاد حلحل بقوص.

ازدادت أهمية حلحل بقوص لدى القوى الدولية والإقليمية خاصة بعد أن أصبحت كل من مدينتي مصوع وسواكن الساحليتين مدناً مهمة تتصارع فيها القوى الدولية والإقليمية إبتداءً من الدولة العثمانية والبرتغالية مروراً بالإدارة المصرية وصراعها مع المملكة الحبشية

---

82 Michael Ghaber, Op.Cit. p,18

83 Adhana Mengstaab, Op.Cit, p.98-99

وانتهاء بصراع القوى الأروبية.[٨٤] بعبارة أخرى منطقة حلحل بقوص أصبحت منطقة جيو - سياسية وجيو - اقتصادية للقوى الإقليمية والدولية المتصارعة وذلك لوقوعها في الطريق الرابطة بين مصوع والتاكا من ناحية، ومصوع وسواكن من ناحية أخرى، لهذا السبب نجد ورود ذكرها باستمرار في المراسلات الدبلوماسية والاستراتيجيات العسكرية للقوى الدولية والإقليمية عند حديثها عن تلك المناطق وخاصة في مراسلات القنصلين البريطاني والفرنسي في مصوع في القرن التاسع عشر.

إدراكاً لموقعها الاستراتيجي فالدول الأروبية بدأت ترسل من ذلك التاريخ إلى بقوص مبشرين ومستشرقين لدراسة أحوال سكانها، وما تملكه من ثروات طبيعية تمهيداً لاستعمارها، فعلى سبيل المثال الأب استيلا لم يكن فقط مبشراً دينياً بل كان ناشطاً في السياسية والدفاع عن البلين وخاصة الترقي في حالة تعرضهم للهجوم من القوى المحيطة بهم، لكن في نفس الوقت كان يسعى أيضاً لإدخال هذه المنطقة تحت الاستعمار الأوروبي بحجة طلب الحماية لبقوص. في هذا السياق ناشد وخاطب الإنجليز والفرنسيين لحماية بقوص من الأتراك والمصريين ولم يجد منهما استجابة وعندها توجه عام ١٨٦٧م إلى الإيطاليين و جاء بثلاثين إيطالياً في مزرعته في منطقة شيتل التي لا تبعد كثيراً من كرن وكان ذلك في عهد مونزنجر ليكونوا نواة الاستعمار الإيطالي في المنطقة إلا أنّ هذا المشروع لم يكتب له النجاح من الناحية الاقتصادية بسبب أمور تتعلق بمصاعب مالية وقلة الإنتاج إلا أنّه من الناحية السياسية كانت تجربة وخبرة مهمة بالنسبة للإيطاليين استفادوا منها أثناء شروعهم في استعمار إفريقيا.[٨٥] فمثلا سابيتو الذي كان في صحبة الأب أستيلا هو الذي ذهب عام ١٨٦٩م إلى عصب لشراء قطعة أرض لشركة الملاحة الإيطالية والتي كانت نقطة بداية استعمار إيطاليا لإرتريا كما سيأتي تفصيله لاحقا.

---

84 Wolbert G. C. Smidt , Discussing ethno history : The Blin between periphery and International Politics in 19th century. p. 134

85 Michael Ghaber, Op.Cit. p,26 ,47,48

حلحل بقوص وغزوات الأحباش

إنّ حلحل بقوص كانت تتعرض لهجمات من ملوك الأحباش عبر التاريخ على سبيل المثال في النصف الثاني من القرن السابع عشر إنّ إياسوا العظيم (١٦٨٢ - ١٧٦٦م) من ملوك قندر غزا بقوص وهو في طريقه لمقابلة زعيم الحباب كنتيباي ناود وتشير المصادر أنّه زار عام ١٧٦٠م دير طادامبا (Tsadamba) الذي يبعد عن كرن ٣٠ كيلو متراً باتجاه الجنوب وأقام عليه حفل أحد الطقوس الدينية.[٨٦] بعده أرسل مكئيل ساهول حملتين لغزو حلحل بقوص وورورا بقلا ومناطق بيت اسجدي. ومثله غزت قوى من هادقا حلحل بقوص لكن المصادر لم تشر إلى تاريخ هذه الغزوة كما يقول مونزنجر.

قبل انتهاء عهد الأمراء في الحبشة تعرضت حلحل بقوص والمناطق المجاورة لها لثلاثة حملات كارثية لم تشهد المنطقة مثلها في التاريخ بقيادة وبي الأمهراوي (wibe) وابنيه كوكب (Kokab) وايشاتو ((Ishatu وكانت هذه الحملات عام ١٨٤٤، ١٨٤٩، ١٨٥٠م، قاد هذا الثلاثي الحملة على مناطق حلحل بقوص لخمسة أعوام، بدأت الحملة بمنطقة طندق عيلابرعد حاليا ضد عد زمات بقيادة هاكين ابن مدين أحد أقوى زعماء الترقي آنذاك واستطاع عد زمات أن يقاوموا القوى الغازية لثلاثة أيام إلا أنّهم في الأخير هزموا بعد قتل هاكين وكثير من رجاله وأُخذت أخته عيداب سبايا مع الآخرين.

تقدمت القوى المهاجمة عبر ثلاثة اتجاهات جناح اليمين باتجاه أدفا فرحين آيببا وقرى من مناطق المنسع ولم يواجهوا مقاومة إلا من عد برهانوا في فلا دارب لعدة أيام وكانت حصيلة القتلى من أهل البلد أربعين شاباً وقوع عدد منهم في الأسر، وإنّ القوى الغازية كانت كبيرة ولذا لم يستطيعوا الصمود أمامها إلا عدة أيام فهزم عد برهانوا كأبناء عمومتهم عد زمات وبعدها توغلت القوى الغازية إلى مناطق البيت جوك، وعد تكليس، وبعدها اتجهت إلى

---

86 Michael Ghaber, Op. Cit. p,10. وانظر أيضاً محمد نور فايد مصدر سابق، ص٨٤

حلحل[٨٧]. وأما جناح اليسار فتقدم عبر دقي وجوفا إلى مقارح، والوسط دخل إلى المقارح عبر حليب منتل ليلتقي هناك مع اليسار هكذا حسمت القوى الغازية المعركة في بلاد السنحيت لصالحها في أيام قليلة، كانت مشكلة السنحيت تكمن في عدم توحدهم في صد العدو فكانت كل عشيرة تقاتل لوحدها الأمر الذي عرضها للهزائم بصورة سريعة. بعدها تقدمت القوى الغازية إلى حلحل من طريقين عبر مناطق البيت جوك وعد تكليس، وأخرى عن طريق مقارح وقد واجهت مقاومة شرسة من أبناء بيت طوقي وتشير المصادر إلى أنّ عددا كبيراً قتل من فرسان بيت طوقي من الشيب والشباب في تلك المعركة إلا أنّ القوى المهاجمة كانت تتفوق عليهم عدداً وعتاداً ولذا تغلبت عليهم وعسكرت في حلحل لبعض الوقت وبعدها عادت إلى حماسين.

تركت هذه الحملة دماراً كبيراً في المناطق التي غزتها فقد قتل من البلين أعداد كبيرة في المعارك كما يقول مونزنجر وأخذ منهم سبايا وأحرقت قراهم ونهبت مواشيهم وسلبت مزارعهم وأهلكت ما تبقى منها وخاصة عند وصول الغزات إلى حلحل كان الوقت موسم الحصاد[٨٨]. وأغاروا عليهم مرة أخرى عام ١٨٤٩م أو ١٨٥٠ م حتى وصلت القوى الغازية إلى إيْرَا في مناطق الماريا لكن سكان حلحل في هذه الحملة كانوا حذرين فهربوا إلى الغابات والجبال ولذا الخسائر في الأرواح كانت قليلة. وعند زيارة مونزنجر للمنطقة بعد عشر سنوات من تلك الحملة يقول إنّ الغنى وتراكم الثروة أصبح يعود إليها بالتدرج[٨٩].

في عام ١٨٥٩م هاجم جيش من الأمهرا مناطق عنسبا: حبوب، واليكو، زرون، سروا وقتل الكثير من فرسان عد تسأن في هذه المعركة دفاعا عن أرضهم وعرضهم ونهبت الكثير من بهائمهم ودمرت مزارعهم. وأنّ عد قبشبا وعد طفع قبلوا دفع الأتاوة لرؤس الحبشة مخافة ألاّ يكون مصيرهما الدمار كإخوتهم عد تسأن، وفي عام ١٨٦١ م فرضت على بيت

---

87 Michael Ghaber, Op.Cit. p. 13-14

88 Munzinger. Op.Cit. p,165-166. & Michael Ghaber, Op.Cit. p,15

89 Munzinger. Op.Cit. p,165-166

طوقي مجتمعين دفع ضريبة لرؤوس الحبشة لأوّل مرة في التاريخ[90] وكان ذلك لسببين: الأول أنّ كل عشيرة كانت تقاتل لوحدها ولذا كان يسهل للعدو أن يكسّرها آحاداً واحدة تلو الأخرى ويحسم المعركة لصالحه في أيام معدودة، لا شك أنّ الأمر كان سيختلف لو أنّ هذه القبائل قاتلت العدو ككتلة واحدة.

الثاني أنّ قبائل بيت طوقي كانت غارقة في الحروب البينية التي سيأتي تفصيلها لاحقا الأمر الذي جعلها لا تصمد أمام أيّ هجوم خارجي عليها.

ويمكن إرجاع كثرة غزوات الأحباش إلى مناطق البلين إلى عدة أمور منها:

- متاخمة مناطق البلين لحماسين وهذا القرب كان مضراً بالنسبة للبلين ومكافئاً للقوى الغازية لها بسهولة الغارات إليها.
- قلة عدد البلين مقارنة بالقوى التي كانت تغزوهم وأنّ عدم توازن القوة كان دائماً يجعلهم هدفا سهلا دون الخوف من أيّ قوة رادعة.
- إنّ مناطق البلين والمجاورة لها كانت غنية بالزراعة فكانت مقصداً للنهب والسلب من القوى الغازية.
- رفض البلين وخاصة الطوقي دفع الضريبة سنوية من حصادهم للقوى الحبشية المعسكرة في منطقة حماسين كما يقول مونزنجر.

يفهم من ذلك أنّ هدف هذه القوى من غزو مناطق حلحل بقوص الغنية بالمزارع هو النهب والسلب، وتعريضها للدمار والخراب والقصد من ذلك إخضاع أهلها حتى يقبلوا بدفع الأتاوات السنوية المفروضة عليهم وليس هدفها السيطرة والبقاء في المناطق التي استولت عليها، لذا تعرض البلين أثناء تلك الحملات لأبشع الجرائم التي لم يسبق لها مثيل إذ يقول

90 Ibid, p,166

محمد نور فايد : وهو يتحدث عن الجرائم التي ارتكبها رأس وبي ضد البلين "لك أن تعرف أنّ عصاباته كانت تربط ثدي النساء بشعر البغال حتي لا يرضعن أولادهن وكان من نصيب الأطفال الذكران أن تقطع أعضاءهم التناسلية لحرمانهم من التوالد، انتقاما لعدم انصياع الأهالي لأوامر الغزاة في دفع الجزية والضرائب، وكان جدي سمبرّا شقيق جدي حمبرا ممن أصابهم هذا الظلم فعاش حياته محروما من الزواج. وهكذا صار اسم (وبي) عند البلين لعنة، فقد يقول قائلهم عند الغضب (وبي قرطنكت) قاصداً الدعاء على مغضبه أن يقطعه (وبي)"[91]

لم تكن غزوات وبي متوقفة على مناطق البلين بل عانت منها أيضاً مناطق الماريا والبني عامر في بركة والحباب في الساحل ومثله المنسع وبيت جوك كما سبقت الإشارة إليه كما أنّها أرهقت سكان حماسين بالضرائب والأتاوات الباهظة الأمر الذي أدى إلى رحيل بعض سكان حماسين لمناطق أخرى بسبب المجاعة[92].

بالعودة إلى السبايا الذين أخذوا من مناطق البلين أثناء تلك الحملات وخاصة عيداب أخت كنتيباي هاكين مدين لا يتوفر لدا الباحث معلومات عما حدث لهم إلا أن هناك بعض المعلومات عن عيداب مدين تفيد بأنّها أصبحت إحدى نساء وبي، وأنّ عمها عقبى كرستوس ذهب ليبحث عنها إلى سمين مناطق تجراي وقندر حالياً. ويقال إنّها طلبت من زوجها أن يجعل أخاها حاكماً لبقوص إلا أنّ أخوها آنذاك كان صغيراً فتولى الأمر عمه عقبى كرستوس إلى أن يصل أخوها هبتي سلاسي إلى سن الرشد إلا أنّ المنية قد وافته قبل أن يصلها.

عند انتهاء عهد الأمراء (الرؤوس) بصعود نجم تيدروس وسيطرته على الحبشة هزم وبي من قبل تيدروس ١٨٥٥م وأدخل السجن ومات فيه ولا يعرف مصير زوجته عيداب بعد

---

٩١ محمد نور فايد، مصدر سابق، ص ٨٣

٩٢ تكئي على بخيت، مادة أعدها لراديو بلينا الذي يبث من الولايات المتحدة وأذيعت المادة بلغة البلين بتأريخ ٥-١١-٢٠١٦

موته[٩٣] و أنّ حلحل بقوص مرة أخرى لم تكن لها علاقة حسنة مع ممثل تيدروس وخاصة البيت الطوقي الذين كانوا يرفضون دفع الإتاوات لحاكم حماسين الذي كان يمثل تدروس في المنطقة، لذا جهز حاكم حماسين عام ١٨٥٩م حملة خاطفة ضد البلين لإجبارهم على دفع الضريبة السنوية له[٩٤] كما سبق الإشارة إليه على كل حال فالفترة الواقعة بين ١٨٤٤-١٨٦٠م أكثر الفترات التي تعرض فيها البلين لهجمات شرسة من قبل حكام الحبشة والمصريين وأيضاً من القبائل المجاورة لهم من بني عامر والماريا منفردين أو متحالفين هاجموا حلحل و مناطق عنسبا كما استفحلت في تلك الفترة الخلافات والصراعات الداخلية وسط فروع بيت طوقي بشكل عام وبين فرعي عد قبشا وعد طفع أبناء يعقوب بشكل خاص وسأعتمد على ما ورد في كتاب مونزنجر في سرد هذه الأحداث لأنّ مؤلفه يعتبر من المعاصرين والمتابعين عن كثب لتلك الأحداث الأليمة بحكم وجوده في المنطقة آنذاك وعلى حسب علمي هو أوّل من كتب عن تفاصيل تلك الأحداث حتى الآن يقول في عام ١٨٣٦م أنّ قبيلة عد طفع بالتحالف مع الماريا والألقدين أغاروا على عد قبشا في حلحل وأحرقوا قراهم. في عام ١٨٣٧م عد طفع وعد على بخيت من قبائل بني عامر تحالفوا لمهاجمة أبناء طوقي في المنخفض يقصد عد تسأن في عنسبا، ويبدو أن قبيلة على بخيت هاجمت مناطق التسأن وحدها ونهبوا المنطقة وعند رجوعهم انتظرتهما في الطريق قبيلتا عد طفع حليفتهم السابقة وعد قبشبا وأبادوهم.

في عام ١٨٣٨م تحالف مرة أخرى عد طفع مع عد علي بخيت وهاجموا عد قبشبا إلاّ أنّه في هذه المعركة تمت هزيمة التحالف وكان النصر حليف عد قبشبا، ويقال إنّ عد قبشبا في هذه المعركة قد وجدوا دعما كبيراً من بعض قبائل الطوقي في حلحل وخاصة من اللامديري.

---

٩٣ المصدر السابق

94 Michael Ghaber, Op.Cit. p. 21.

في عام ١٨٤٣م أعاد التحالف الكرة لمهاجمة عد قبشبا وأحرقوا قراهم، وفي عام ١٨٤٧م وصل فرعا عد قبشا وطفع إلى تفاهمات واتفقا على مهاجمة أبناء تسأن ودخلوا في حرب طاحنة مع عد كلب في واليكو، ومع فروع عد فزع الأخرى في حبوب، وهذه الغارات أدت إلى إحراق تلك القرى وتدمير كل ما فيها حسب رواية مونزنجر.[95] في عام ١٨٥١م انتكست العلاقة بين قبشبا وعد طفع بسبب قتل أفراد من الأخيرة زعيم عد قبشبا إزوز وهو نائم وكان لذلك وقع كبير على أبنائه، وأن ابنه نصور تحالف مع عد تكليس وهاجم عد طفع ثأراً وقتل قاتل أبيه، وبعدها استقرّ مع أهل أمه من الترقي في منطقة دباق، وحينها يقول مونزنجر تعرف على نصور عن قرب وكان شاباً في الخامسة والعشرين من عمره، إلاّ أنّ طريقة تفكيره كانت أكبر من عمره، ويصفه بأنّه رجل أسمر كثيف اللحية طويل الآنف، يتميز بالشجاعة ورجاحة العقل، و لذلك فكّر من البداية تفكيراً جدياً في التصالح مع كل الذين كانت بينه وبينهم خلافات وثأرات متبادلة، فتصالح مع أبناء عمومته عد طفع الذي كان تاريخ الصراع بينهما قد تجاوز ٤٠ عاماً آنذاك، وتصاهر مع الماريا، وتعامل مع أبناء قبيلته بحكمة وطريقة سلسة[96] وبهذا التصرف الحكيم لعب نصور دوراً كبيراً في إطفاء نار الحروب الأهلية، واستقرار السلم الاجتماعي بين أبناء الطوقي أنفسهم من ناحية والقبائل المجاورة لهم من ناحية أخرى. إنّ تلك التصرفات تعكس مدى نضج نصور ومعرفته لاستحقاقات السلطة وما تطلبه من دهاء وبروغماتية ومعرفة القائد لما له وما عليه من الحقوق والواجبات. لذا فإنّ قبيلة عد قبشبا قد شهدت في عهده تطوراً ملحوظاً، وعلى المستوى الشخصي أصبح نصور رجلاً محبوباً وسط قبيلته، وأصبح أيضاً أحد أشهر رجالات بيت طوقي.

مثل نصور كان هناك زعيم آخر من رجالات بيت طوقي في تلك الفترة يشار إليه بالبنان ألا وهو كنتيباي هداد ود ركه زعيم التسأن وهو من جهة الأم ينتسب مثل نصور إلى ترقي فرع

---

95 Munzinger, Op. Cit, p, 166 & 167.

96 Ibid, p, 167 & 168

عد دمات[٩٧] وهذا الزعيم عرف بالدهاء السياسي وفي الوقت نفسه بالشهامة والحكمة والفروسية وبنفوذ اجتماعي وحضور سياسي واسع بين قبائل بيت طوقي وكان صاحب بعد نظري وحنكة سياسية تبهران كل من يقابله، حيث قال عنه فرديناندو مارتيني إنه يتمتع بنفوذ كبير في عشيرته ولدى العشائر الأخرى و يعتبر أحد أبرز رجالات بلده وأذكى زعيم من الذين قابلهم وأكثرهم حكمة وسياسة وتواضعا مع أهله ورجالاته ولم يلاحظ مارتيني فارقاً فكرياً بينه وبين كنتيباي هداد.[٩٨]

بالعودة إلى الحروب الداخلية بين بيت طوقي كانت هناك أيضاً حروب أخرى بين فترة وأخرى غير التي سبقت الإشارة إليها بين مختلف فروع بيت طوقي، وكانت لهذه الحروب البينية وخاصة بين أكبر ثلاثة فروع في بيت طوقي (طفع، قبشا، تسأن) آثار سلبية على السلم الاجتماعي والتماسك الداخلي، وهم في هذه الحالة من الوهن والضعف تعرضوا إلى غزو كارثي من القوة القادمة من الحبشة بقيادة وبي الأمهراوي الذي سبق تناوله ولم يستطيعوا مقاومة القوى الغازية التي عسكرت في حلحل بعد غزو عموم بلاد بلين ومناطق أخرى، وأهلكت الزرع والضرع والأرواح البشرية فيها. إنّ أحد عوامل فشل بيت طوقي في مقاومة وبي، التنازع فيما بينهم ذهب بريحهم، ولشدة حالة الضعف قبل زعماء بيت طوقي ١٨٦١م بدفع الضريبة السنوية لرؤوس الحبشة لأوّل مرة، والمزارعين من بيت طوقي في المناطق المحادة للبني عامر أصبحوا يدفعون إتاوات سنوية من الحصاد لزعيم البني عامر حتى يأمنوا شرّهم، كما تعرضت قبائل التسأن للضغط والتهديد من السنحيت والمجموعات الأخرى المجاورة لها ولهذا بدأوا الاتصال بنواب الأتراك في السمهر للتحالف معهم[٩٩]، هكذا وصل الأمر بالطوقي من الوهن والضعف بما كسبت أيديهم، وهذا درس لا ينسى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

٩٧ انظر للمزيد محمود بره، حديث الذكريات (١) كنتيباي هداد، مقال منشور في منبر البلين الحر

٩٨ فرديناندو مارتيني مصدر سابق، ص. ١٦١

99 Munzinger, Op. Cit, p, 167 & 168

الفصل الثالث

حلحل بقوص وعلاقتها بالإدارة المصرية.

- حلحل بقوص قبل وبعد دخولها تحت الإدارة المصرية

- حاكم حلحل بقوص ويرنر مونزنجر وعلاقته بالبلين

- تحالف الإدارة المصرية مع رأس ولد مكائيل

- انسحاب الإدارة المصرية وصراع الثورة المهدية ورأس ألولا في حلحل بقوص

حلحل بقوص قبل دخولها تحت الإدارة المصرية

قبل تناول علاقة المصريين بحلحل بقوص لا بد من الإشارة إلى علاقة الدولة العثمانية التي تواجدت في الساحل الارتري، وأسست ولاية الحبش من منتصف القرن الخامس عشر في هذه المنطقة. المعلومات عن علاقة العثمانيين ببقوص شحيحة إلا أن هناك بعض المؤشرات توحي باهتمامها بهذه المنطقة وجمع الضرائب منها دون أن يكون لها وجود فعلي فيها، والاتصالات التي كانت تحصل بين بعض قبائل البلين ونواب الدولة العثمانية في السمهر كالتواصل الذي حصل بين النواب وأبناء تسأن من الطوقي في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وغيره، عند تنازل الباب العالي للإدارة المصرية عن مصوع وسواكن مقابل ضريبة سنوية تدفعها الأخيرة ورد اسم هذه المنطقة ضمن المناطق التي آلت إلى الإدارة المصرية، والمناطق هي : مرتفعات بقوص، زيلع، مصوع وسواكن، التاكا.

إنّ تأثير المصريين غير المباشر في المنطقة يعود إلى النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي عبر الطرق الصوفية المدعومة منها وخاصة الطريقة الختمية التي أثرت في زعامات البني عامر كما استطاعت أن تدخل في الإسلام قبائل الماريا ١٨٢٠-١٨٣٥م والحباب ١٨٣٨م وبلين بيت طوقي ١٨٤٩م. إنّ رواية نشر الإسلام في هذه المناطق في تلك الفترة هي رواية المراغنة أنفسهم وهي تحتاج إلى التأكد منها لأنّ هناك مؤشرات تدل على وصول الإسلام إلى تلك المناطق قبل تلك الفترة وإن كان إسلاماً شكلياً ولم يتمكن الإيمان في قلوب الناس، ولذا كانوا يخلطون بين الخرافات والتدين وتعاليم الديانات الأخرى، وهذا ما لاحظه مونزنجر حتى لاحقا عام ١٨٦١-١٨٦٢م إذ يقول على الرغم من أنّهم دخلوا إلى الدين الإسلامي إلا أنّ بعض الشعائر الدينية المسيحية ما زالت تمارس عندهم"[١٠٠].

بعد أنّ وطّدت الإدارة المصرية سلطتها في التاكا والتي تشمل كسلا والمناطق الغربية لإرتريا بالمسميات الحالية توغل حاكم التاكا آنذاك إلياس بك و كان في جيشه عدد كبير من

100 Michael Ghaber, Op. Cit. p,17

أبناء الألقدين والبني عامر وهاجموا بقوص إلا أنّهم واجهوا مقاومة شرسة من فرسان البلين وفي النهاية هزم المهاجمون وكان ذلك عام ١٨٥٠م[١٠١]، هذا النصر خلده أبناء البلين في كثير في الشعر الشعبي وفي الروايات البطولية إلّا أنّ هذا النصر لم يدم طويلا ففي ١٥ مارس ١٨٥٤م عاود حاكم التاكا الجديد خسرو بك الكرة وهاجم بقوص بجيش كبير قوامه من البني عامر ومجموعات أخرى. وكان الهجوم مباغتا بالنسبة للبلين في هذا الوقت وقد قتل من البلين كثير من فرسانهم. وقد وصلت القوى الغازية إلى مقارح التي كانت تعتبر آنذاك حاضرة بقوص وأحرقتها وأخذت ٣٤٠ شخصا من النساء والأطفال كسبايا وأعداداً كبيرة من المواشي وعادوا إلى التاكا. يقول محمد صالح ضرار عن هذه الحادثة: "اقتفى أثره خسرو بك ومعه خيالة ممن كانوا من بني عامر وقاتلهم، فصمد لقتاله بعض شجعانهم، لكن الرصاص حصد منهم خمسين شاباً، فتقهقروا وتعقبتهم السواري حتى وصلت عاصمتهم مقاراح MOGARA فجعلوا عاليها سافلها وأحرقوا كل ما وجدوه. ومنعوا النساء من الهروب، فأسروا منهن مع أطفالهن نحو أربعمائة نفس، وساقوا معهم سبع مراحات من البقر وستين مراحا من الغنم."[١٠٢]

أمّا بلودن القنصل البريطاني آنذاك في مصوع فيقول إنه زار منطقة بقوص بعد أسبوعين من غزو حاكم التاكا لها وشاهد الدمار والخراب الذي لحق بها، وطلب منه سكانها الحماية وإعادة المخطوفين، وعندها يقول سافر إلى كسلا بهدف التفاوض مع حاكم التاكا لإعادة المخطوفين ولإقناعه بعدم تكرار الهجوم على هذه المنطقة مرة أخرى لكنه لم يفلح في إقناعه وعندها يقول أرسل تقريراً إلى مسؤوله السيد إيرل بتاريخ ٢٩-٤-١٨٥٤م.

في ٣٠ يونيو أرسلت الحكومة البريطانية عبر قنصلها في القاهرة طلبا إلى الإدارة المصرية لإعادة المخطوفين من بقوص وتغيير حاكم التاكا وبالفعل استجابت الإدارة المصرية

---

101 Ibid, p. 17

١٠٢ محمد صالح ضرار، مصدر سابق، ص، ١١٦

لهذا الضغط وأمرت بإخلاء سبيل المخطوفين وعاد منهم إلى بقوص ٢٠٣ أشخاص بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٥٤ حسب تقرير بلودن[١٠٣] ولا تذكر المصادر ما مصير الباقين من المخطوفين هل تم بيعهم في سوق النخاسة أم لقوا حتفهم بسبب سوء الأحوال؟ على كل حال صدرت التعليمات من الإدارة المصرية بطلب حضور خسرو بك إلى القاهرة "فلما وصل إلى القاهرة حكم عليه بالسجن، ودفعت الحكومة سبعمائة جنيه تعويضا للبلين عما أصابهم في النفوس والمواشي وأحراق الديار"[١٠٤] ومثله أشار أيضاً الكاتب الإيطالي سميدت (Smidt) إلى دفع الحكومة المصرية التعويضات للبلين بضغط من الحكومة البريطانية[١٠٥] إلا أنّ الغارات المصرية لم تتوقف بل استمرت ففي عام ١٨٦٠م هاجم الجيش المصري بقوص بجيش قوامه ألفا جندي وقتل من البلين ٤٩ شخصا وأخذ منهم سبايا ما يزيد عن ٢٠٠ شخص من النساء والرجال و٣٠٠٠ رأس من المواشي، ومرة أخرى أغاروا على بقوص عام ١٨٦٣ وقتلوا تسعة أشخاص من البلين وأسروا ٩٠ شخصا ونهبوا ٣٠٠ رأس من المواشي، وفي عام ١٨٦٤م أغار المصريون على بقوص ثلاث مرات بجيش قوامه ٢٧٠٠ جندي وكانت حصيلة القتلى من البلين ٩٩ شخصا وأخذ منهم كسبايا ١٩٧ شخصاً رجع منهم ٩٩ شخصا لاحقا وتم نهب ٤٨٦٠ رأسا من المواشي رجع منها ٤٣٠ رأسا، في عام ١٨٦٥م وقعت أيضاً ثلاث غارات على البلين كانت حصيلتها قتل ٢٦٠ منهم وأخذ ١٠٠ شخص منهم كسبايا ونهب ٤٢٠٠ رأس من المواشي[١٠٦] وفي الفترة ما بين ١٨٦٦-١٨٧٠ توقفت هذه الغارات وذلك بتغيير السياسية المصرية تجاه هذه المناطق بعد أن رأى جعفر باشا الحاكم العام للسودان وقتها عدم جدوى كل هذا الإنفاق للدولة المصرية في هذه المنطقة الفقيرة.

---

103 Michael Ghaber, Op. Cit. p,18

١٠٤ محمد صالح ضرار ، مصدر سابق، ص ١١٧

105 Smidt , Op.Cit , p.137

١٠٦ تكئي على بخيت مادة أعدها اعتمادا على كتابات موزنجر ومكائيل قابر وأدحنة منقستآب لراديو بلينا الذي يبث من الولايات المتحدة وأذيعت المادة بلغة البلين بتأريخ ٣١-١٢-٢٠١٦

الناظر إلى تلك الغارات على مناطق بلين يجد أنّ الحكام المصريين في التاكا كان هدفهم جمع المال بأيّة طرق، مثل نهب الأموال وأخذ الناس كسبايا من النساء والأطفال وغيرهم وبيعهم في سوق النخاسة وكل هذه التصرفات تخالف الشرائع السماوية والقوانين الإنسانية والأعراف المحلية وإنّ الإدارة المصرية كانت تعرف أنّ حكامها في تلك المنطقة كانوا يرتكبون هذه الجرائم والدليل على ذلك عند ما طلب منهم الفرنسيون والإنجليز إعادة من اختطفوهم من بقوص في بعض الأوقات أعادوا من تبقى من المخطوفين ودفعوا تعويضات للبلين إلّا أنّ المصريين سرعان ما يعودون لنفس الفعل عندما كان يخف عنهم ضغط تلك الدول.

وإنّ زعماء البلين والمنسع والبيتجوك كانوا واعين لقدرة فرنسا وإنجلترا للضغط على الإدارة المصرية ولذا أرسلوا رسائل عدة على الأقل حتى الآن وجد منها أربع رسائل يطلبون فيها الحماية من تغول الحكام المصريين الذين كانوا يحكمون التاكا تحت إمرة الباب العالي. وللتوضيح هنا سوف أترجم مضمون الرسائل الأربعة من الإنجليزية إلى العربية[١٠٧] وإنّ هذه الترجمة ليست ترجمة رسمية بل هي محاولة مني.

الرسالة الأولى

من زعماء بقوص إلى ليجين (القنصل الفرنسي في مصوع) بتاريخ ١-١-١٨٦٣م

من بقوص إلى سعادة القنصل الفرنسي في مصوع.

كيف حالك وأحوالك، نتمنى لك الصحة.

بعد أن غادرتنا، فوجئنا ليلا بهجوم مباغت من الباريا والبني عامر بألفي جندي، فقتلوا من بيننا ٤٩ شخصا وأخذوا أكثر من ١٠٠ شخص من الأطفال والنساء و١٣٠٠ رأس من المواشي. وإن الباريا والبني عامر هما من رعايا الأتراك ويدفعان لهم الضرائب، ونحن لا نعرف أحداً يساعدنا في أزمتنا هذه إلا ملك فرنسا، وبناءً عليه نناشد عبرك ملك فرنسا المساعدة لإعادة المخطوفين والأموال المنهوبة منا، وإدخال

---

107 Sven Rubenson , Correspondence and treaties 1800-1854 , 1987 , p, 205, 235,237&309 , Document No 119, 144, 144, & 203.

منطقتنا تحت حمايته ويعتبرنا رعاياه، وسوف تصل إليك هذه الرسالة مع الأب جيوفاني (أبونا يوهنس) الذي يعرف أحوالنا.

الموقعون - أدق فضيل، إزوز مندر، بره ردئي، قبري سلاسي هاكين، قندر أرعدوم.

الرسالة الثانية

كانت في أبريل عام ١٨٦٤م وهي رسالة شكر لتجاوب الملك نابليون الثالث مع مطالبهم ومساعدتهم لإعادة ما أخذ منهم من البشر والمواشي.

رسالة من أراضي المعانات، كرن، جوفا، أشرا، تنتاروا إلى ملك فرنسا نابليون الثالث، بفضل قوتكم وبمساعدتكم لنا، عادا إلينا ما كان قد أخذ منا من البشر والممتلكات، ونحن إذ نشعر اليوم وكأننا بعثنا من القبر، وكتبت لنا حياة جديدة بفضل مساعدتكم، نشكرك على كل ما قدمته من أجلنا، بارك الله فيك وفي مملكتك. الموقعون: إزوز زعيم كرن، وبره زعيم جوفا، وأدق زعيم أشرا، وإداد زعيم تنتاروا

الرسالة الثالثة

من زعماء بقوص إلى نابليون الثالث (إبريل ١٨٦٤م)

إن زعماء المسيحيين في عنسبا، بقوص، منسع، بيت جوك، عد قايم يعتقدون أن ملك فرنسا هو ملك الملوك والقوة المنتصرة وحامي المسيحية في الشرق، من قبل ٢٠٠ عام كنا تحت رعاية ملك الحبشة، وكان قادراً على حمايتنا من المسلمين حولنا. في فترة المملكة السنارية الأمور كانت عادية وكان لا يظلمنا أحد. أصبحنا الآن بدون حماية وبعد سيطرة الأتراك على سمهر وبركة أصبحنا عرضة للنهب منهم عدة مرات وقد أخذوا منا نساءنا وأطفالنا ونهبوا مواشينا، وكان الغرض من ذلك إدخالنا في الإسلام بالقوة. وإن جوارنا من الماريا وحلحل والحباب خضعوا لتلك القوة وتحولوا إلى الإسلام، ونحن نرفض ذلك وفضلنا أن نبقى على ديننا بحرية. في المرة الماضية عندما تعرضنا إلى النهب من الأتراك قام ملك فرنسا بمساعدتنا والآن أيضاً بما تتمتع به فرنسا من قوة وما تقوم به من الأعمال الجليلة للذين يعيشون تحت حمايتها للعيش في سلام، نرجو من الملك نابوليون أن يجعلنا نحن ومنطقتنا أحد المقاطعات المحمية بقانون المملكة الفرنسية وأن يوضح حدود منطقتنا لجوارنا حتى لا يقوم المسلمون بمضايقتنا بأي شكل من الأشكال. يبارك الله في الملك ومملكته.

الموقعون: إزوز وبره زعماء كرن وجوفا، أدق وقبري سلاسي زعماء عد زمات، قلايدوس وتكروراي عد شبوت، إدريس عد قايم، كنتيباي درار وتيدوروس منسع، أمحراي بيت جوك، أسفداي وميكال زعماء قبي ألبو.

الرسالة الرابعة

من زعماء بقوص إلى إدوار ستانتون، أكتوبرعام ١٨٦٦م

السيد القنصل العام

هذه الرسالة من زعماء بقوص إلى القنصل العام البريطاني في الأسكندرية.

كيف حالك، نتمنى أن تكون في صحة جيدة.

بعد تعرضنا لنهب من قبل القوات المصرية في كسلا ومعهم قبائل البركة والباريا، كان السيد بلودن القنصل البريطاني في مصوع قد ساعدنا في إعادة الأفراد المختطفين والمواشي المنهوبة، ومنذ تلك الفترة كنا نعيش في سلام، وبعد موت القنصل بلودن أيضاً زارنا القنصل الجديد كابتن كامرون ووعدنا باستمرارية الحماية، ومنذ فترة وجدنا أنفسنا دون أي حماية، لذا نرجو من القنصل العام أن نكون تحت حمايته. فخلال العامين الماضيين تعرضنا إلى مضايقات وسرقة الأطفال والمواشي من رعايا المصريين في بركة وقبائل الباريا، ونحن نرجو مساعدتك لإعادة ما سرق منا من الأطفال والمواشي، إضافة إلى ذلك نطلب ونرغب من كل قلوبنا أن تكون منطقتنا تحت حماية بريطانيا. ونحن لا نعترف بأي قوة غيركم. وإن حامل هذه الرسالة يعرف أحوالنا وأحوال منطقتنا جيداً.

الموقعون: قرقيس زعيم كرن، بره زعيم جوفا، عمر زعيم تنتاروا، درار زعيم كودا، أدق زعيم أشرا، قندر زعيم دقي، بيرق زعيم فرحين، على بخيت زعيم بيت أبرهي، قلايدوس زعيم عونا، أمحراي زعيم بيت جوك، نصور زعيم عد قبشا.

وبالنظر إلى تلك الرسائل يلاحظ المرء الأمور التالية:

الملاحظة الأولى في تلك الرسائل أنّ غالبية موقعيها كانوا من بلين السنحيت، وفي البعض منها كان معهم زعماء أو وجهاء من المنسع والبيتجوك وفي البعض الآخر جزء من زعماء بلين بيت طوقي

الملاحظة الثانية يصعب معرفة ما إذا كانت اللغة الأولى التي كتبت بها هذه الرسائل هي الأمهرية-لأنني وجدت البعض منها مكتوب بها - ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، كما يصعب معرفة من الذي قام بذلك؟ وكذلك إذا كان البعض منها قد كتب من البداية بالفرنسية أو الإنجليزية؟

الملاحظة الثالثة أنّ طلب الحماية من المصريين كان حتى لا يجبروا على الدخول في الإسلام كما جاء في مضمون الرسالة الثالثة ويعتقد أنّ هذا الأمر لم يكن من اهتمامات الزعماء المسلمين من بيت طوقي والبيتجوك والمنسع الذين سبق لهم الاقتناع بالإسلام، ربما كانوا جزءاً من تلك المطالب بمفهوم الحماية العامة وليس الخوف من الإسلام وإنّ تحوير الرسائل إلى تلك الطريقة ربما كان الهدف منه استعطاف الفرنسيين والبريطانيين.

الملاحظة الرابعة يفهم من مضمون الرسائل أنّ التركيز كان على الغزوات التي يشنها المصريون والخوف من إجبار البلين المسيحيين على اعتناق الإسلام دون الإشارة للغزوات الحبشية التي كانت تهدد وجود البلين على السواء. وللحق أن المصريين ارتكبوا جرائم ضد البلين وخاصة السنحيت وأنّ المخاوف منهم كانت حقيقية ومبرّرة لكن المخاطر الحبشية لم تكن أقل خطراً منها في تهديد وجود البلين. بناءً على ذلك يتساءل المرء هنا هل كان الأمر طلب الحماية من المخاوف التي يبديها البلين مسلموها ومسيحيوها؟ أم كان الأمر يخص الطرف المسيحي من البلين في الأساس ولذا كان غالبية الموقعين في الرسائل منهم؟ أم كان هذا سعي من المبشرين الغربيين الموجودين مع السنحيت بهدف إدخال منطقة حلحل بقوص تحت الاستعمار الأوروبي بحجة طلب الحماية لها؟ وعلى الرغم من صعوبة الجزم في حقيقة هذا الأمر إلا أنّ المؤشرات المستنبطة من مضمون الرسائل وطريقة كتابتها والجهة المرسلة إليها يميل الباحث إلى القول أنّ دور الإرساليات التبشيرية كان هو الأساس فيها.

الملاحظة الخامسة أنّ الطريقة التي كتبت بها هذه الرسائل توحي أنّ كاتبها شخص متمرس في الكتابة يؤدي رسالته بوضوح ويجيد أسلوب الخطاب واللغة الدبلوماسية ويعرف عقلية

المخاطب الأمر الذي يؤشر إلى أنّ هناك دوراً لشخصيات غربية في كتابة هذه الرسائل وخاصة الإرساليات التبشيرية الأوروبية ومن أشهر رجالاتها الأب جيوفاني أستيلا الذي لم يكن رجل دين فقط بل كان ينشط في السياسة كما تذكر المصادر والذي كانت تشتكي الإدارة المصرية باستمرار من نشاطاته السياسية في بقوص. وقد يكون هناك دور للقنصلين الفرنسي والإنجليزي المقيمين آنذاك في مصوع في كتابة تلك الرسائل.

الملاحظة السادسة من طلبوا الحماية لم يكونوا البلين وحدهم بل كان معهم أيضاً المجموعات المجاورة لهم بل هناك أيضاً من قام منهم بذلك بمفرده لأنّ في تلك الفترة كانت قد راجت تجارة البشر في المنطقة وكان القوي يأكل الضعيف فالمسألة كانت آنذاك مسألة وجود أن تكون أو لا تكون.

مهما يكن الأمر يصعب على الباحث الفصل في هذه المواضيع بالجزم كما سبق لكن من تحليل مضمون الرسائل وأسلوب وطريقة كتابتها والجهة المرسلة إليها وغالبية موقعيها من زعماء السنحيت. يميل الباحث إلى أنّ المهندسين الأساسيين وراء هذه الرسائل هم إرسالية بقوص التبشيرية إلا أنّ هذا الموضوع ما زال في حاجة إلى مزيد من البحث لمعرفة حيثياته. ويتساءل المرء لماذا لم تنجح مساعي زعماء البلين والقبائل المجاورة في توفير الحماية لهم من الغارات القادمة من التاكا كسلا حالياً والإجابة ربما تعود إلى استراتيجية تلك الدول وخاصة إن الفرنسيين والإنجليز كانوا في صراع للسيطرة على تلك المنطقة، لذا فإنّ كل منهما كان يسعى للتعاون مع القوى الإقليمية الحبشية والإدارة المصرية لإيقاف تمدد كل منهما ضد الآخر ومن هنا كان كل منهما غير مستعد للدخول في صراع مع الحبشة والإدارة المصرية من أجل حلحل بقوص والمناطق الأخرى.

حلحل بقوص تحت الإدارة المصرية

بعد ما يقارب ثلاثمائة عام تنازلت الدولة العثمانية عن رحيتا ومصوع وبقوص وسواكن والتاكا للإدارة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل باشا مقابل ضريبة سنوية تدفعها الإدارة المصرية لها. وبمساعدة بريطانية وقعت المعاهدة بينهما عام١٨٦٦م وبموجبها تحولت جميع ممتلكات الدولة العثمانية في إرتريا إلى الإدارة المصرية. وكان وقوف الدولة البريطانية وراء مصر في تلك الخطوة مدفوعا لإبقاء فرنسا خارج تلك المنطقة الحيوية والتى كانت قد تزايدت أطماعها فيها بسبب موقعها الاستراتيجي وخاصة بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩م[١٠٨].

كانت هذه المناطق بالنسبة للدولة المصرية هدفا استراتيجياً من الناحية الاقتصادية بعد فتح قناة السويس، وسياسيا لإيجاد نفوذ لها في هذه المنطقة الحيوية. والأكثر من ذلك كان حلم السيطرة على منابع النيل في الهضبة الإثيوبية كان يراود الإدارة المصرية. يقول رجب حراز "إن احتلال مصر لإقليم بجوس قد وضع في يدها معبراً سهلاً إلى شمال الحبشة، إذ كانت كرن قاعدة صالحة للهجوم على إقليم الحماسين الخصب بالإضافة إلى جهات الحبشة الشمالية"[١٠٩] ويضيف حراز أسباب أخرى لضم بقوص إلى الإدارة المصرية، وذلك أن الأحباش كانوا يرسلون الحملات ضد أهالي بقوص لغرض السلب والنهب لمواشيهم ومحصولاتهم وأخذ السبايا منهم وصاروا يتخذونها قاعدة لشن هجماتهم على حدود الدولة المصرية في السودان الشرقي ومن هنا جاءت الضرورة الحربية لضم بقوص لحماية أمن مصر[١١٠] ومثله يرى ترافاسكس أنّ الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به كرن في مدخل الهضبة الإرترية والمرتفعات الشمالية والمرتفعات الإثيوبية البعيدة جعل القوات المصرية ترابط

---

١٠٨ برخت هبتي سلاسي وآخرون، ترجمة: محمد مشموشي. *وراء الحرب في إرتريا*. بيروت: مؤسسة الأبحاث، ص ٣٩ – ٤٠.

١٠٩ رجب حراز، *إرتريا الحديثة ١٥٥٧-١٩٤١م*. جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربوية والثقافة والعلوم. ١٩٧٤، ص ٩٦

١١٠ المصدر السابق، بالتصرف، ص ٣٥٩

فيها.[111] يفهم مما سبق أنّ مناطق حلحل بقوص وما حولها كانت مناطق نزاع ونفوذ بين إثيوبيا ومصر ويتضح ذلك من الرسالة الاحتجاجية التي أرسلها الملك يوحنس إلى المصريين ويحتج فيها على احتلال مصر بقيادة مونزنجر لبقوص ويقول فيها إن مملكته تمتد من تلك البلاد إلى سواحل البحر الأحمر، ويطلب انسحاب القوات المصرية منها[112] وإنّ أهمية بقوص بالنسبة للإثيوبيين مرتبطة بحاجتهم للبحر وبما أنّ ارتباط المنطقتين ارتباط تلازم فلا يمكن أنّ تتحقق السيطرة على أحدهما دون الأخرى، إذ يقول القنصل الأمريكي في مصر (بيردسلي Beardsly) "إن غرض الأحباش لم يكن النهب فحسب، بل امتلاك إقليم بجوس ومد حدودهم إلى ساحل البحر الأحمر"[113] ولحسم تلك الإرادات المتصارعة في بقوص رأت الإدارة المصرية احتلال بقوص وضمها إلى ممتلكاتها في المنطقة، ووجدت الإدارة المصرية في شخصية المغامر السويسري مونزنجر شخصية مناسبة لأن يقوم بذلك ويكون حاكما لها في تلك المناطق الاستراتيجية المهمة وهي مصوع و حلحل بقوص. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا من هو مونزنجر وما علاقته بحلحل بقوص

---

١١١ ج.ك.ف.ترافاسكيس، مصدر سابق، ص ٢٤

١١٢ رجب حراز، إرتريا الحديثة، مصدر سابق، ص ٣٥٣

١١٣ نقلا من جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة: التراث، مصدر سابق، ص٤٣*

ويرنر مونزنجر وعلاقته بحلحل بقوص



هذه الصورة كانت أثناء بداية حكمه لمصوع. المصدر: Wolbert G.C. Smidt

ويرنر مونزنجر من مواليد عام ١٨٣٢م في ألتون بسويسرا وهو ابن جوسيف مونزنجر وزير المالية السويسري المعروف والذي أصبح لاحقا رئيس الفيدرالية السويسرية لدورة واحدة[١١٤] ، و كان مونزنجر الابن منذ صغره مولعا بقراءة أدب الرحلات التي تكتشف الجديد من الثقافات والتاريخ البشري، وبناءً عليه نما عنده الاهتمام بالدراسات الاستشراقية منذ وقت مبكر، فدرس في باريس اللغات بما فيها العربية، وبعد أن أكمل دراسته هناك سافر إلى القاهرة بغرض التعمق في اللغة العربية، ومنها انتقل إلى مصوع عام ١٨٥٣م والتي كانت آنذاك تحت إدارة الدولة العثمانية ومن مصوع توغل إلى بقوص، وبدأ نشاطه في التجارة وخاصة الصمغ العربي الذي كان مطلوبا في الغرب لصناعاته المزدهرة آنذاك[١١٥] ، وفي الوقت نفسه نشط في الحقل البحثي وكان يتميز بعيشه وسط المجموعات والسكان موضوع دراسته وبناءً عليه يجمع معلوماته ويسجل ملاحظاته لذا كانت دراساته أقرب للواقع وليست دراسات فوقية بخلاف أغلب المستشرقين الآخرين الذين كانوا يعتمدون في التقارير أو الدراسات الميدانية السريعة التي لا تعكس الحقائق الكاملة.

---

114 wolbert G.C.Smidt, werner Munzinger An Orientalist and ethnographer-Turned –Politician in Ethiopian – Egyptian borderlands. P.106

115 Ibid, p. 107

بدأ مونزنجر كباحث ينقب ويجمع المعلومات عن السكان الأصليين وخلفياتهم العرقية، لغاتهم، تاريخهم، عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم، فعلى سبيل المثال كتب عن البلين بغزارة ومن أشهرها ما كتب عن عرف وقوانين البلين كما تناول البلين بالتفصيل في كتابه دراسات في شرقي إفريقيا، ويعتقد هو أوّل من كتب عن البلين من المستشرقين الغربيين بذلك التفصيل، إضافة إلى دراسات البلين كتب مونزنجر عدة تقارير عن العفر، الساهو، وعن لغة التقري والمتحدثين بها، النارا والكنامه، إيليت، البجة وعن المرتفعات الإرترية والإثيوبية بالمسميات الحالية[١١٦]، ومن الأمور الملفتة في أعماله وضع خرائط نادرة عن مناطق البلين والمناطق المجاورة لها.

من الناحية الاجتماعية أنّه استقرّ وسط البلين وتزوج عام ١٨٥٤م من أسرة بليناوية معروفة سكن في البداية في مقارح ولاحقا في كرن[١١٧] وتشير الدراسات أنّ البلين كانوا ينظرون إليه كواحد منهم كما أنّه لم يعتبر نفسه غريباً في وسطهم. وبعد أن أصبح خبيراً في عرف البلين أصبح الناس يلجؤون إليه في فض المنازعات الداخلية بينهم وكانوا يرونه قاضياً أو وسيطاً نزيهاً لعدم ارتباطه بأيّ قبيلة أو فرع منهم. وبسبب مكوثه الطويل كباحث في المنطقة دون انقطاع تراكمت عنده معلومات تفصيلية عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلين والمجموعات الأخرى في المنطقة، الأمر الذي جعله مرجعا للقوى المتصارعة في المنطقة وأصبحت تتصل به ليعمل لصالحها، ففي عام ١٨٦٤م أصبح نائباً للقنصل البريطاني في مصوع، في عام ١٨٦٥ عيّن نائبا للقنصل الفرنسي في مصوع[١١٨]، وفي حدود عام ١٨٧١م تم تعيينه حاكماً لمصوع من قبل الإدارة المصرية وكان ذلك في فترة حكم الخديوي إسماعيل باشا الذي انتهج سياسة التوسع في القرن الأفريقي، وحينها اقترح مونزنجر للإدارة المصرية ضم مقاطعات حلحل- بقوص وماريا ويقول : إنّ سكانها يرغبون في الحماية المصرية

---

116 Ibid, p.107

117 Ibid, p.107

118 Ibid, p.108

لا الإثيوبية وإنّ سكانها كانوا ومازالوا في صراع مستمر مع إثيوبيا ويرفضون الخضوع لها ولذا يتعرضون بالاستمرار لغارات متتالية من حكام الحبشة عبر التاريخ.

استدعي مونزنجر في مارس ١٨٧٢م إلى القاهرة للاتفاق على إجراءات ضم حلحل بقوص إلى الإدارة المصرية بعد الاتفاق على الإجراءات أوكلت إليه مهمة التنفيذ وبعد عودته من القاهرة تحرك مونزنجر في يونيو عام ١٨٧٢م إلى حلحل بقوص على رأس قوة تتكوّن من ١٢٠٠ جندي سالكاً طريق مناطق الحباب ودخل كرن في ٢٥ يونيو من نفس العام وأعلن أنّ بقوص هي أراضٍ مصرية، في البداية ضربت قواته خيامها في عونا التي كانت معروفة بمنطقة التبادل التجاري أو ملتقى التجار من سواكن ومصوع ومناطق أخرى لتبادل السلع بينهم ومنها انتقلت القوة المصرية إلى فورتا التي تعتبر منطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية العسكرية لأنّها تشرف على المداخل الأربعة لمدينة كرن من الشمال والجنوب والغرب والشرق. وبعد انتقال القوة إلى فورتا تم أبادة الغابة التي كانت تحيط بها لأغراض عسكرية كما أخذت الحجارة من المقابر في تلك المنطقة لبناء قلعة فورتا[١١٩].

أمّا من ناحية السكان فلم يواجه مونزنجر أي مقاومة تذكر بل إنه أُستقبل بالترحاب منهم وذلك لمعرفتهم السابقة به ولحاجتهم للحماية من الغارات القادمة من حكام الحبشة[١٢٠] كما أن الإرساليات التبشيرية الأوروبية التي كانت تنشط في وسط البلين رأت في شخصية مونزنجر إمكانية التفاهم معه كونه أوروبي مثلهم وله معرفة واسعة بالسكان المحليين وبالقوى الأوروبية المتصارعة في المنطقة وخاصة الفرنسيين والبريطانيين.

حسب ما يذكر رجب حراز بعد وصول مونزنجر لبقوص إنّ كل من قبائل المنسع وأهالي الحماسين وزعماء الدناكل بالمناطق الداخلية والرأس محمد حاكم عايلت طلبوا الدخول

---

119 Adhana Mengstaab, Op.Cit, p.١٠٧-108

١٢٠ Michael Ghaber , Op.Cit.p.32-3 جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث*، مصدر سابق، ص ٤٤-٤٥

تحت الحماية المصرية[١٢١] وبعد سيطرة مونزنجر على بقوص امتدت مناطق حكمه لتشمل مناطق واسعة، يقول رجب حراز " في فبراير ١٨٧٣م عيّن مونزنجر مديراً لعموم شرق السودان، ومحافظة البحر الأحمر، من سواكن في الشمال إلى رهيطة في الجنوب، بما في ذلك إقليم بجوس والتاكا، وصدرت إليه الأوامر بربط موانئ البحر الأحمر بعضها البعض من جهة، وبشرق السودان من جهة أخرى، وذلك بمد خطوط التلغراف من كسلا إلى مصوع، ومن مصوع إلى سواكن، ثم إلى برنيس وإحضار الآلات والأسلاك والمهمات اللازمة لها من أوروبا"[١٢٢].

من الناحية العسكرية تم تقسيم هذه المناطق إلى أربع مناطق عسكرية كرن، رهيطة، سواكن، كسلا، كل منطقة تتكوّن من قوة عسكرية كبيرة فعلى سبيل المثال القوة المرابطة في بقوص كانت تتكون من أربع أورطات (كتائب) كاملة أي ما مجموعه أربعة بكباشية، وأربعة آلاف جندي ومدفعية وفرقة موسيقية[١٢٣]، هكذا بدأ مونزنجر يوطد سلطته في بقوص والمناطق الأخرى بطريقة سلسة وحكيمة وكان لزوجته البليناوية ابناً اسمه كفلي من زواج سابق وقد أعطي لقب بك وأصبح أحد القيادات العسكرية البارزة في جيش مونزنجر، يقال إن زوجة مونزنجر وابنها كان لهما تأثير كبير في سياسات مونزنجر في هذه المنطقة.

بخصوص اسم زوجة مونزنجر فإن اسمها قد ورد في بعض المصادر بملكة وفي مصادر أخرى بنافعة والسؤال هنا أيهما أصح؟ يقول تكئ علي بخيت وهو من البلين بعد البحث والتحقيق والرجوع إلى أبناء فرع كفلي بك الموجودين خارج إرتريا تأكد لي أنّ اسمها الأصل هو نافعة وليس ملكة ولعل اسم ملكة لقب مكتسب كونها أصبحت زوجة رجل مهم هو الباشا مونزنجر[١٢٤] ويبدو ذلك مقبولا، إن اكتساب الألقاب كان وما يزال أمراً متعارفاً عليه

---

١٢١ رجب حراز، ***التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا***، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٠ م، ص، ٩٧، ١٢٢

١٢٢ نقلا من جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث، مصدر سابق، ص٤٦*

١٢٣ رجب حراز، التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا، مصدر سابق، ص ٩٧

١٢٤ تكئ على بخيت الحلقة الثالثة عشر ١٤-١-٢٠١٧

فالمتزوجة بملك تكون ملكة وبأمير أميرة وبرئيس السيدة الأولى إلى آخر الألقاب. تذكر معها المصادر دائما ابنها كفلي بك الذي أنجبته من رجل آخر قبل مونزنجر. إذاً من هو كفلي بك؟ ومن أي فرع هو من البلين؟ ومتى مات؟ وأين دفن؟ وهل ترك ذرية؟ يقول: في ذلك أيضاً تكئ على بخيت معتمداً على ولديسوس عمار ومكائيل حساما وأبناء فرع كفلي بك التالي: اسمه الكامل هو كفلي ماريام تيدروس كفلي قرقيس كان قائداً في جيش مونزنجر توفى في الفترة ما بين ١٨٧٠-١٨٧٥م أقام له مونزنجر عزاء كبيراً حضره أعيان البلد ودفن في داخل كنيسة القديس مكائيل في كرن ولاحقا في عهد هيلي سلاسي نقل إلى خارج الكنيسة ودفن في أرض الكنيسة ومازال قبره موجودا هناك ومكتوب عليه اسمه وتاريخ ميلاده ووفاته، أمّا الذرية فقد ترك أبنا اسمه أمانئيل، وأحفاده ما يزالون يعيشون في منطقة أشرا إلى يومنا هذا[١٢٥].

يفهم مما سبق أن نافعة وابنها كفلي بك هما معروفا النسب والحسب وسط بلين السنحيت وكان لهما دور كبير ومؤثر في سياسات مونزنجر، فعلى سبيل المثال يذكر مكائيل قابر أنّها أفلحت في إقناع زوجها مونزنجر لتحويل زعامة عد حدمبس من فرع دمساس إلى فرع بروت لأنّه كان لنافعة ثأر مع الأول ومثله أيضاً ساعدت زوج أختها حمبرة ليكون زعيم بيت قبرو[١٢٦] ، وغيرها أمور كثيرة لعبت فيها أدواراً مهمة، وكانت تشارك زوجها في حله وترحاله سلماً وحرباً حتى إنّ نهايتها كانت معه في دنكاليا أثناء حملته العسكرية ضد الحبشة، ويتجلى من ذلك أنها كانت امرأة قوية وتعرف استحقاقات السلطة وخبايا السياسة والعمل من خلالها وإلا لما أثّرت على شخصية مونزنجر القادم من بئية مختلفة مزود بخبرات علمية وعملية وشخصية متقلبة سياسياً حسب الطلب، أما ابنها فقد أعطي منصباً عسكرياً رفيعاً في جيش مونزنجر بلقب بك وكان يرأس المجندين من أبناء البلين في الجيش المصري في بقوص.[١٢٧]

---

١٢٥ تكئ على بخيت الحلقة الثالثة عشر ١٤-١-٢٠١٧

126 Michael Ghaber , Op.Cit. p.٣٦-٣٥

127 Ibid,p.36

على العموم إنّ حلحل بقوص في عهد مونزنجر شهدت تطورات مهمة في الجوانب المختلفة السياسية والاقتصادية والأمنية وتحقق فيها السلم الاجتماعي بين مختلف مكوّناتها، فحفرت فيها الآبار، خطّطت المدينة، ووضعت اللبنات الأساسية للمصالح العامة من الدواوين ومرافق الصحة والتعليم، وسمح ببناء دور العبادة، وربط الإقليم بالاتصالات والمواصلات مع الأقاليم الأخرى وأمور إيجابية كثيرة أخرى قد تحققت في تلك الفترة.

نهاية حكم مونزنجر في حلحل بقوص

إنَّ كل ما ذكر أعلاه تحقق في الفترة القصيرة التي حكم فيها مونزنجر بقوص وأن حكمه لمحافظة بقوص انتهى في ٢٤ سبتمبر ١٨٧٥م عندما تحرك نحو دنكاليا على رأس قوة عسكرية قوامها ٤٨٠ جنديا كجزء من الحملة المصرية التي كانت تسعى لاحتلال الهضبة الحبشية وكان مونزنجر قد توصل لاتفاق مع منيليك المنافس ليوحنس في ملك الحبشة لدعم مصر له و أن يهجما معا على يوحنس مستصحبين معهما قبائل الجالة المسلمة التي كانت تكن العداء لمسيحي الأمهرا والتجراي، ضمن هذه الخطة تحركت حملة مونزنجر وعندما وصلت إلى مناطق الدناكل تعرض معسكر الحملة إلى هجوم من الدناكل والعيسى الصوماليين و هزمت الحملة وقتل مونزنجر وزوجته البليناوية و أبيدت قواته ولم ينج منها الا شخص واحد وهو أيضاً فارق الحياة بسبب الجوع عند وصوله إلى تاجوراء. أقول هنا زوجته البليناوية لأنني وجدت في بعض المصادر ما يفيد أن الزوجة التي ماتت معه ليست زوجته البليناوية فمثلا يقول رجب حراز قتل مونزنجر وزوجته الحبشية وأطفاله ومثله يقول جلال الدين محمد صالح إن مونزنجر تزوج من إمرأة تجرنياوية من الحماسين[١٢٨] ويبدو للباحث أن ّما ذكره الباحثان كلاماً غير دقيق وذلك أن المعلومات المتاحة عن مونزنجر حتى الآن أنّه لم يتزوج إلا امرأة واحدة وهي البليناوية وهي التي قتلت معه وهي معروفة الأهل والنسب وسط البلين كما سبق تناول ذلك.

---

١٢٨ جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث*، مصدر سابق، ص٩٤. *أنظر الهامش رقم ٤*

لم يذكر لمونزنجر أطفال بل يقال: كان يشعر بالقلق لعدم وجود ولد له. ولعل هذا ما دفعه لإقامة علاقة مع امرأة أخرى أرومية، كان قد حرّرها من الرق مع آخرين في مصوع وذلك عندما أصبح حاكما لمصوع، فقد وجد أعداداً كبيرةً من الناس في مصوع كانوا ضحايا رق جيئ بهم من داخل الحبشة وكانوا في طريقهم للبيع في أسواق النخاسة في العالم. وقد حرّرهم مونزنجر وضم الرجال إلى جيشه بينما النساء تزوجن ومنهن من كانت تعمل في بيوت الأغنياء وخاصة عائلات الباشاوات المصريين والمرأة التي كان على علاقة معها كانت تعمل مع أسرة مصرية وكان مونزنجر يعرف هذه الأسرة، وقد أنجبت له ابناً، وكانت تعيش هي وابنها في القاهرة ولم يكونا يعيشان مع مونزنجر في المناطق المعروفة اليوم بإرتريا، بل إنّ كثيراً من الناس لم يكونوا يعرفون أنّ لمونزنجر ابناً إلا بعد وفاته، وبعد وفاة مونزنجر لم تعتن بهما الإدارة المصرية فتعرضا لظروف قاسية وأتت أخت مونزنجر من سويسرا إلى القاهرة لتبنّي ابن أخيها ثم أخذته إلى سويسرا لكنه توفى بعد فترة قليلة هناك[١٢٩]. هذا يعني لم يكن له أبناء من زوجته البليناوية أو كان له منها بنات فقط ولم يكن له منها ذكور لكن المعروف حتى الآن أن زوجته التي قتلت معه هي البليناوية ولم تكن الحبشية كما ذهب إلى ذلك رجب حراز ولم تكن له امرأة تجرنياوية من حماسين كما ذهب إلى ذلك جلال الدين محمد صالح.

بالعودة إلى تقارير ودراسات مونزنجر عن مناطق البلين وحياته وسلوكه الشخصي على الرغم من أنّه كان يعمل ضمن المشاريع الاستعمارية، وكان يغيّر ولاءاته السياسية بالاستمرار لمن يدفع أكثر، إلاّ أنّ تعاطفه وصدق مشاعره تجاه البلين لم يطرأ أو لم يلاحظ عليه أي تغيير، الأمر الذي جعل البلين يذكرونه بالصديق الأجنبي الوحيد الذي تعامل معهم بصدق، وساعدهم للوقوف أمام التحديات الداخلية والمخاطر الخارجية، وفي رسم

---

١٢٩ . انظر لتفاصيل حياة مونزنجر للدراسة القيمة التي أجراها المؤرخ الإيطالي سميدت

Wolbert G. C. Smidt, Werner Munzinger An Orientalist and ethnographer-Turned - Politician in Ethiopian - Egyptian borderlands. P.105-124

حدودهم مع المجموعات المجاورة وفض المنازعات فيما بينهم و في عهد حكمه شهدت بلادهم الاستقرار الأمني والانتعاش الاقتصادي ووضع فيها اللبنات الأساسية للمرافق العامة.

بالمقابل إنّ صورة مونزنجر لدى الآخرين لم تكن إيجابية بل كانوا يرون فيه شخصاً عديم المبادئ يتنقل بين المواقف المتناقضة بناءً على من يدفع له الأكثر، بدأ مع الفرنسين وعندما رأى ضعفهم في المنطقة وخاصة بعد هزيمتهم في الحرب الفرنسية -الألمانية (-French Prussian) ١٨٧٠-١٨٧١م انتقل للعمل مع الإنجليز، ثم عند ما لاحت له في الأفق فرصة أمجاد حكم انتقل مباشرة إلى المصريين، وعندما بدأت القوى المصرية في الانكماش في المنطقة يقال إنّه كان قد بدأ التواصل مع الإثيوبيين لتغيير ولائه إليهم ويحارب المصريين[١٣٠]، إلا أنّ الأجل لم يمهله.

من ناحية أخرى فاختلاط عمله كباحث مستشرق وسياسي متلوّن يعمل مرتزقاً مع مختلف الدول الاستعمارية التي كانت تنشط في المنطقة أثّرت في مصداقيته كباحث، بل هناك من يتهمه بأنّ المعلومات التي كان قد جمعها من هذه المنطقة كان يوجهها لخدمة مصالحه ومصالح من كان يعمل معهم دون مراعاة لاعتبار الحيادية التي تقتضي من أي باحث أن يتصف بها. لذا لا تجده يذكر في الدوائر الأكاديمية مع الآخرين إلا قليلاً، على الرغم من مساهماته المقدرة في هذا الميدان بل البعض يعتبره من الرواد الأوائل في البحوث الميدانية في هذه المنطقة قبل انخراطه في العمل السياسي.

وبالنظر إلى المرحلة التي حكم فيها مونزنجر حلحل بقوص نيابة عن الإدارة المصرية يمكن استنتاج الأمور الآتية:

- بسبب سوء العلاقة بين البلين والزعماء المسيحيين في الهضبة الحبشية الذين كانوا يقومون بغزو متتالي لبلاد البلين عبر التاريخ، وما كانوا يتعرضون له من ضغوط من

---

130 Ibid, P, 105-124

نائب مصوع لدفع الضرائب، ومن اعتداءات الحكام المصريين في التاكا على فترات متقطعة لإخضاعهم سياسياً، واستغلالهم اقتصادياً، إضافة إلى المشاكل الداخلية بسبب الحروب البينة، جاء تحول هذه القبيلة إلى الإسلام ورسوخه في أوساطها وخاصة البيت الطوقي وجزء من السنحيت في هذا السياق كما أن كثيراً من السنحيت تحولوا إلى المذهب الكاثولوكي وهو خلاف المذهب الأرثودوكس الذي كان وما زال سائداً في الحبشة. وتعكس تلك التحولات قدرة البلين للتكيف والتعامل مع المخاطر التي كانت تحدق بهم من الجنوب والشرق والغرب بدأب ومثابرة مع الحفاظ على كينونتهم، واستطاعوا بذلك أن يتجاوزوا تلك المراحل بكل انكساراتها وانتصاراتها.

- إنّ معرفة مونزنجر الواسعة بأحوال السكان المحليين ومصاهرته لهم وإلمامه بالقوى الأوروبية المتصارعة في المنطقة وخاصة الفرنسيين والبريطانيين اللتين عمل معهما وانشغال يوحنس بأوضاعه الداخلية. فإنّ كل هذه الأمور سهلت له مهمة ضم محافظة بقوص إلى الإدارة المصرية دون أن يواجه أي صعوبات تذكر.
- إنّ مونزنجر بنى حكمه على النظام الاجتماعي اللامركزي الذي كان سائداً بين قبائل البلين الذي كان يمثله العمد (الشيم) وحكم البلد عبرهم بجعل قراراتهم نافذة، وبعبارة أخرى أنه لم يصطدم مع الواقع بل تعامل معه بالإيجابية الأمر الذي مكّنه من حكم حلحل بقوص بطريقة سلسة دون أن يواجه صعوبات كثيرة.
- اعتمد مونزنجر سياسة كسب الناس إلى صفه بعدم فرض الضرائب الباهظة عليهم التي تفوق قدرتهم.[١٣١]
- عرفت المرأة البليناوية قبل قرن ونصف تقريبا بأن لها شأناً في مسارات الحياة المختلفة بما فيها السياسية فهذه هي السيدة نافعة تلعب دوراً إيجابياً كبيراً في

---

١٣١ المصدر السابق، ص ٤٥

سياسيات الباشا مونزنجر وفي تغيير سلوكه ورؤيته الإيجابية للبلين كما لعبت حواء البلين بعدها أدواراً إيجابية في مختلف الحقب وخاصة في عهد الثورة كما سياتي ذلك لاحقا.

- إنّ حلحل بقوص في عهد مونزنجر قد شهدت نوعاً من الطمأنينة لسكانها، لأنّها أصبحت في مأمن من الغارات الحبشية المتكررة عليها، وهذا الاستقرار أدى إلى تثبيت الإسلام وسط قبائل بيت طوقي والمذهب الكاثوليكي بين معظم أبناء السنحيت.
- إنّ مونزنجر قد وضع الحدود بين قبائل البلين نفسها كما وضع حدود البلين مع القبائل التي تجاورها من مختلف الاتجاهات الأمر الذي أشاع السلم الاجتماعي بين مختلف المكوّنات الاجتماعية في المحافظة.
- الفصل في الخصومات والنزاعات بين القبائل، ومنع المتاجرة بالرق حتى أنه سنّ قوانين في ذلك وأصبحت جزءاً من القوانين والأعراف المحلية على سبيل المثال يقول رودين في كتابه منسعتين إن مونزنجر أدخل في قانون محاري للمنسع نصا يقول "لا يحق للأسياد أن يبيعوا الأتباع، ولا أن يتقاسموهم في الميراث"[١٣٢]
- سمح ببناء دور العبادة من مساجد وكنائس بل إنّ الإدارة المصرية ساهمت في بناء جامع في كرن وإصلاح الكنيسة الموجودة هناك.[١٣٣]
- ووضع في بقوص اللبنات الأساسية للمصالح العامة، كمرافق الصحة، وحفر الآبار، وتنظيم الدواوين، وربط الأقاليم بشيء من خطوط المواصلات. وفي التعليم أنشئت في عهده ثلاثة محاضن تعليمية في كل من كرن ومصوع وسواكن.[١٣٤]
- شجع مونزنجر المزارعين في المناطق الخصبة في مرتفعات بقوص ووادي بركة، والقاش، على زراعة الفواكه والقطن، إضافة إلى أنواع المزروعات الأخرى[١٣٥].

---

١٣٢ نقلاً من جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث، مصدر سابق، ص٤٧*

١٣٣رجب حراز، التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا، مصدر سابق، ص٩٧

١٣٤ المصدر السابق، ص ٩٧

- تم تأمين الطريق بين كرن ومصوع وخاصة بعد دخول القبائل الواقعة بينهما تحت الحماية المصرية كقبائل عايلت والمنسع وغيرهما، الأمر الذي ساعد في الانتعاش الاقتصادي ومرة أخرى أصبحت كرن طريق القوافل التجارية التي تربط بين مصوع وسواكن والتاكا وما وراء هذه المدن.
- خططت كرن لتكون حاضرة بقوص وبنيت حولها الحصون والقلاع وظهر فيها معالم التمدن مثل مصوع وأصبح يسكنها أفراد من مختلف القبائل وظهر فيها أسر تجارية ورجال أعمال ومال وازدهرت التجارة بينها وبين مصوع من الناحية وبينها وبين التاكا وسواكن من ناحية أخرى.



خارطة كرن في عهد مونزنجر: المصدر: Wolbert G.C. Smidt

- جند عدداً كبيراً من البلين تحت قيادة كفلي بك البليناوي لحماية بقوص من الغارات القادمة من الهضبة الحبشية بمفهوم الدفاع عن الذات وصداً للعدوان من ناحية واحتواء الشخصيات القوية والفرسان من البلين حتى لا يخرجوا عليه من ناحية أخرى

١٣٥ فتحي غيث، مصدر سابق، ص ٢١١

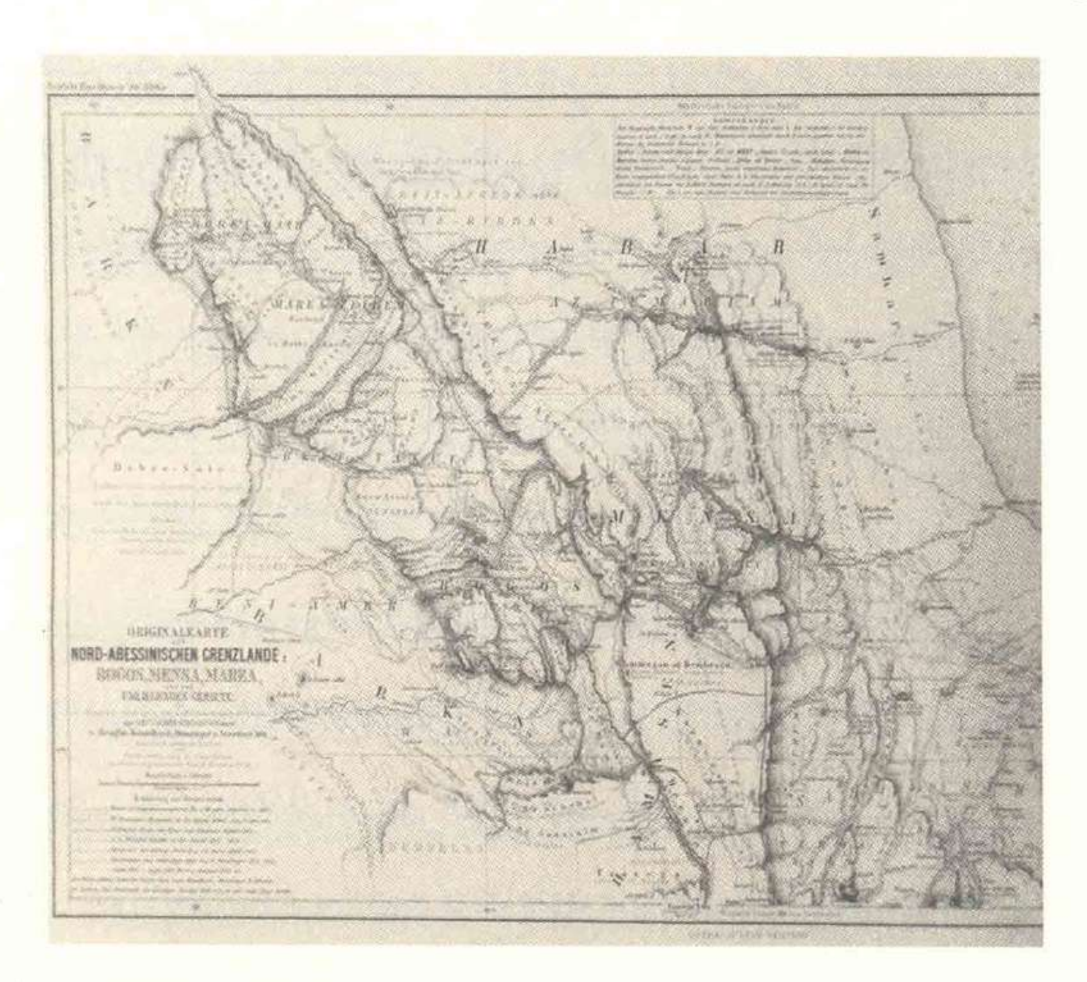
- أشعر البلين بأنّهم جزء من الحكم بإقراره النظام اللامركزي الذي كان سائداً في البلاد قبله وطريقة تعامله مع العمد (الشيم) وإنفاذ قراراتهم وإشراك أبنائهم في جيشه والإدارات الأخرى وأعطاهم رتباً مثل كفلي بك وغيره وذلك لضمان استمرارية حكمه دون أن يواجه أي تحديات. بالنسبة للبلين فالمشاركة ولو شكلياً مع الآخرين في إدارة شؤون المحافظة بطريقة عصرية أكسبتهم الخبرات العملية وعززت لديهم مفهوم السلطة واستحقاقاتها.
- قامت الإدارة المصرية أيضاً بإصلاح شؤون القضاء والإفتاء في إرتريا بما فيها بقوص، واستقدمت لهذا الغرض علماء شرعيين من مصر والسودان، وربطت المسلمين الإرتريين بمحيطهم الواسع، أيّ بمسلمي وادي النيل، وسهلوا لهم الالتحاق بالمؤسسات العلمية الرائدة فيها كالأزهر الشريف، والمؤسسات الأخرى. وترافق مع ذلك تدفق التجار المسلمين، ورجال الدين من الحجاز، ومصر، واليمن، وخاصة من حضرموت ودول أخرى إلى مصوع وكرن والمدن الإرترية الأخرى[١٣٦]. كما توطدت الإرساليات التبشيرية المسيحية فيها وخاصة الكاثوليكية منها ووجدت البيئة المناسبة لنشر مذهبها في وسط البلين ومن ثمّ قامت بإنشاء المدارس الإرسالية وشرعت في بناء كنائس بطريقة عصرية.

مع كل تلك الإيجابيات فهناك مآخذ تؤخذ على كتابات مونزنجر ومنها كتابه عن عرف البلين الذي سبقت الإشارة إليه فقد وردت فيه أمور على أنّها من أعراف البلين بينما هي غير ذلك بل هي تشبه أعراف مجموعات أخرى مجاورة للبلين كالبني عامر وخاصة النتاب ومثله نجد في كتابه في شرقي إفريقيا معلومات في غاية الغرابة مثل كلامه في حق آل سمرعين الذي يفهم منه بأنّهم شبه انقرضوا وهم موجودون وإن الباحث أو كاتب هذه السطور نفسه ينحدر منهم من جهة الأم. كما أنّه يبالغ في مسألة الطبقية في داخل البلين ومثله في عملية

---

١٣٦ ميران، **نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا**، مصدر سابق، ص ٦ – ٧

الرّق والمعروف أنّ البلين كانوا مجموعات منفتحة ولا يوجد اختلافات كبيرة بين الطبقات في الملكية والحقوق والواجبات بخلاف ما كان سائداً في بعض القبائل المجاورة للبلين آنذاك كل ما كان في الأمر كانت هناك أشياء رمزية تتميز بها بعض الأسر كأن تمتنع عن ممارسة بعض الأشياء كحلب البقر وغيرها. أمّا ممارسة الرّق ربما كانت لكن في إطار ضيق وفي وقت مبكر تم التخلي عن ممارستها، ومن هنا لزم التنبيه إلى قراءة كتاباته بعقل منفتح وأخذ ما هو صحيح ورد الآخر.



هذه الخارطة وضعها مونونجر هي تشمل مناطق البقوص والمنسع والحباب نشرت في جوتا عام ١٨٧٢م. المصدر Wolbert G.C. Smidt

الإدارة المصرية وتحالفها مع رأس ولد مكائيل

إنّ المصريين كانوا مدركين لطموحات يوحنس لاحتلال البقوص فسعوا من البداية للتحالف مع خصومه في حماسين رأس ولد مكائيل الذي عزله يوحنس وأعطى حكم الحماسين لغيره وحينها لجأ ولد مكائيل إلى بقوص للتحالف مع المصريين ضد الإمبراطور

يوحنس ومن ثمّ بدأ ينطلق من بقوص لمحاربة ممثليه في حماسين مثل هيلوا وبايروا اللذين هزمهما على التوالي، وعلى الرغم من ذلك "أن ولد مكائيل فشل في تحقيق طموحاته بإلحاق الضرر بيوحانس، بل ألحق به يوحانس الهزائم، كما أنّ جوردن السفير البريطاني في مصوع وقف ضده، وناصر عليه يوحانس بالإضافة إلى أنّ المصريين لم يدعموه ذلك الدعم القوي الذي يمكنه من التغلب على يوحانس، مما أضطره في نهاية الأمر إلى التحالف معه في صراعه مع المصريين بدل محاربته، وهنا عينه يوحانس والياً على المنطقة الواقعة بين القاش وسنحيت وطلب منه مهاجمة سنحيت"[١٣٧] وفعل ذلك وفرض على أهلها الضرائب والأتاوات. المتتبع لتاريخ رأس ولد مكائيل يجد أنه كان رجلاً متقلبا يغيّر ولاءاته بين حين وآخر فمرة يتحالف مع الإمبراطور الإثيوبي يوحنس ويحارب معه المصريين كما حدث في قنديت وقرعي. وبعدها حول تحالفه مع المصريين ضد الإمبراطور يوحنس ودخل في حروب طاحنة مع ممثليه في حماسين كما سبق الإشارة إلية آنفا ومرة ثالثة أدرك أنّه سوف لن يَقْوى أمام قوة الإمبراطور بعد أن تيقن أنّ المصريين سوف لا يستمرون في دعمه.

في ديسمبر عام ١٨٧٨م أخذ القرار بالتحالف مع الإمبراطور الإثيوبي يوحنس مرة أخرى لمحاربة المصريين حلفائه السابقين. على العموم إنّ انطلاق رأس ولد مكائيل من حلحل بقوص لم تجلب أي منفعة للبلين بل أضرت بمصالحهم لأنّ الطرف الآخر أصبح ينظر إلى حلحل بقوص على أنها تهدد مصالحهم ويتعاملون معها من منطلق تعامل العدو إذ يقول ألم سقد تسفاي في ذلك "إنّ محاولات رأس ولد ميكائيل للهيمنة على المرتفعات، وكذا ممارسة النهب والأعمال التي كان يقوم بها بهتا حقوس قد تركت آثاراً سيئة في نفوس بعض أجزاء المرتفعات"[١٣٨]

---

١٣٧ جلال الدين محمد صالح. *كرن الإصالة : التراث*، مصدر سابق، ص٤٨

١٣٨ ألم سقد تسفاي، **لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا**، مصدر سابق، ص. ٥٩

انسحاب الإدارة المصرية وصراع الثورة المهدية ورأس ألولا في حلحل بقوص

بدأ الضعف يدب في الإدارة المصرية في حلحل بقوص بعد هزائمها في جبهة قنديت، وقرعي، وبسبب الإفلاس المالي الذي تعرضت له والمصاعب السياسية التي واجهتها بسبب قيام ثورة أحمد عرابي في مصر والثورة المهدية في السودان التي أظهرت فعالية وانتشارا بسرعة في مختلف مناطق السودان من النيل الأبيض إلى شرق السودان وغرب إرتريا. في تلك الظروف بدأت الإدارة المصرية الانسحاب من مناطق تمركزها في كرن، ألقدين، الجيرا، القلابات وكان الجنرال جوردن المسؤول عن انسحاب هذه القوى من السودان بسلام بينما أرسل الضابط البريطاني هويت Hewettإلى إثيوبيا للتفاوض معها من أجل تسهيل انسحاب القوى المصرية عبر المناطق التي تسيطر عليها وصولاً إلى ميناء مصوع ومنها إلى مصر وقد توصل هويت والأثيوبيون إلى اتفاقية عرفت باتفاقية عدوا التي قضت بانسحاب المصريين بسلام عن طريق مصوع مقابل أن يوافق البريطانيون والمصريون على ضم محافظة بقوص إلى إثيوبيا، وأن تسلم لهم الأسلحة المخزونة في فورتا في كرن. بموجب هذه الاتفاقية أصبحت محافظة بقوص جزءاً من إثيوبيا وقد احتجت فرنسا على عدم استشارتها في ذلك، وقالت إنّ لها في حلحل بقوص مزارع التبغ ويوجد فيها رعاياها ولذا ادعت أحقيتها في الإقليم.

على العموم وبموجب معاهدة عدوا عام ١٨٨٤م تقدمت القوات الحبشية بقيادة رأس ألولا لملء الفراغ الذي تركته الإدارة المصرية. وفي سبتمبر عام ١٨٨٤م دخل رأس ألولا إلى كرن وعيّن فيها بلاتا قبرو حاكما لها. وفي سبتمبر عام ١٨٨٥م توجه رأس ألولا عبرها على رأس قوة عسكرية كبيرة قوامها ٢٥ ألف جندي إلى كوفيت إلى الغرب من مدينة أغردات بالقرب من بيشا لمواجهة المهدية التي كانت تمتد شرقا بقيادة عثمان دقنة. كانت تحركات رأس ألولا مدعومة من البريطانيين بالمال والسلاح وكانت هذه المساعدات تتمثل في ألف قطعة من السلاح وخمسين ألف دولار نقدا[١٣٩] وتقابل الجيشان في ٢٢ سبتمبر ١٨٨٥م في موقعة

139 F. R. Wingate, Mahdism and Egyptian Sudan, London : 1891, p , 251

كوفيت وجرت بينهما معركة حامية الوطيس وحسب رواية الجنرال البريطاني وينجت (Wingate) أنّ المهدية قد فقدت في هذه المعركة ثلاثة آلاف من جنودها وخسر رأس ألُولا ألف وخمسمائة جندي وأعداد كبيرة من الجرحى في الطرفين بما فيهم رأس ألولا نفسه[١٤٠] وأكسبت هذه المعركة الرأس ألولا الشهرة الكبيرة في المنطقة حتى قيل في حقه شعراً بلغة التجري في منطقة حلحل بقوص وهو عائد من تلك المعركة في طريقه إلى أسمرا[١٤١].

رأس ألولا أَمْعِلْ وَازِنْتَتْ حَضْرَيَا

سَنْحِيتْ أَسَّاقَرَتْ أَنْسا إقِلْ تِرْأَيَا

بيت أَسْقَدِى مِنْ فَوَقِيتَا كَارَيَا

مَحَازْ عَدْ فَزَعْ أُورُو فِيتَوْرَارِى كَسْأَيَا

سِقَادَتْ إيلُوسْ إبْ بُرُودُو فَقْرَيَا

دَرْبُوشْ مِسِلْ طرمبتا رَاَسْ حَرْ بَلْسَيَا

هذه الأبيات يقول ناظمها ما معناه: وصول قوة رأس ألولا بالسهولة إلى وازنتت، وعدم إيفاء السنحيت بما وعدوا أمام نسائهم بالانتصار على ألولا. وهزيمة بيت أسقدي، وتكسّر قوة عد فزع أمام طليعة واحدة من الجيش، وتسلق قوة ألولا دون مشقة عقبة إيلوس وطرد ثورة الدراويش من المنطقة. ويفهم من هذه القصيدة عدة أمور:

- عدم صمود عموم قبائل البلين وبيتجوك وبيت أسقدي أمام جحافل ألولا في تلك الحملة.

---

140 Michael Ghaber, Op. Cit. p. 45-46

141 Ibid , p. ٤٦

- التدافع الذي حصل بين الثورة المهدية وممثل يوحنس رأس ألولا في إرتريا عامة وفي منطقة حلحل بقوص بشكل خاص.
- تعاطف سكان المناطق التي ذكرت في القصيدة مع الثورة المهدية وخاصة عموم بيت طوقي والسنحيت وبيت أسجدي وبيتجوك. وبمناسبة تعاطف بيت طوقي مع الثورة المهدية يقال إن عثمان دقنة قد أرسل وفداً إلى حاضرة بركنتيا لطلب المساعدة، وقد استجابت حاضرة بركنتيا لطلب المهدية وأمدتهم بالمال وبأربعين فارسا من رجالاتها بقيادة إبراهيم درماس، وإنّ كنتيباي هداد أطلق اسم عثمان دقنة على أحد أحفاده تيمنا واعتزازا به وأنّ سلالة هذه الأسرة الكريمة من عد ركا إلى اليوم معروفين بآل عثمان دقنة [١٤٢]
- قائل هذه القصيدة ربما كان متعاطفاً مع رأس ألولا، وقد يكون فقط يعكس الواقع كما هو، وقد يكون يضمر التحريض ضد رأس ألولا، ويستخدم أسلوب المدح وهو في الحقيقة يضمر الذم معيباً على تلك القبائل عدم الصمود أمام اجتياح رأس ألولا لمناطقهم، ويدعوهم لامتصاص تلك الهزيمة باستنهاض هممهم وتجميع قوتهم مرة أخرى لمحاربة رأس ألولا وهزيمته.

يقال إنّ رأس ألولا كان يفكر في حتلال كامل مناطق الحباب التي كانت متهمة بدعم ومساندة المهدية إلا أنّه عدل من هذه الفكرة، إنصبّ تفكيره في مراقبة التحركات الإيطالية من المدن الساحلية الإرترية وخاصة من مصوع وعصب [١٤٣]، وعلى الرغم من أنّ رأس ألولا احتل حلحل بقوص وارتكب فيها جرائم بشعة ثم عيّن فيهاحاكما كما سبقت الإشارة إليه إلا أنّه لم يستطع بسط سيطرته عليها إلى أن داهمته القوات الإيطالية وأخرجته منها.

---

١٤٢ على عبد القادر، ***بركنتيا أرض المجد والتاريخ الطوقيتاوي***، مقال منشور في منبر البلين الحر بتأريخ ٨ مارس ٢٠١٧.

143 Michael Ghaber , Op.Cit. p.٤٥

من الأمور الملفته هنا أنّ الإرساليات التبشيرية التي كانت في كرن في وقت دخول رأس ألولا إليها انقسمت إلى مؤيد لألولا ومعارض له، ومن ثم تواصل البعض منهم مع من كان يعارض وينازع يوحنس في الملك، ومنهم من ذهب للتحالف مع الإيطاليين الأمر الذي يوحي أنّ هذه الإرساليات كانت جزءاً من صراعات القوى الاستعمارية المتنازعة في المنطقة آنذاك.

مما سبق مناقشته يمكن استنتاج الأمور الآتية:

- يبدو جلياً أنّ المجتمعات القاطنة في المنطقة الإرترية بما فيها حلحل بقوص قد أثّرت وتأثرت ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعيا بالجزيرة العربية، وبوادي النيل، والدولة الحبشية التاريخية (إثيوبيا) عبر التاريخ، كل هذه الأمور مجتمعة أثرت في تطورات البلين الاجتماعية والدينية والثقافية. مع ذلك فإنّ قوة التأثيرات الخارجية لم تحل دون إيجاد قومية ذات طابع خصوصي ومحلي ولغة مستقلة، ومؤسسات عرفية وقانونية متطوّرة وتكريس وجودهم في رقعة من الأرض وأحوال أخرى عرفت بهم وعرفوا بها. كل هذه الأمور وغيرها عزّزت لدى البلين صورة عن الذات يفتخر بها جيل وراء جيل.
- إنّ فرعي البلين الطوقي والترقي يشتركان في اللغة ويتشابهان شكلاً ولوناً وإرتباطاً في الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والنفسية وطرق التفكير ولم توجد أي اختلافات بينهما عبر التاريخ بخلاف المجموعات المجاورة لهما، ويتساءل المرء إلى ماذا يعود هذا الانسجام التام؟ هل يعود إلى تشابه الفرعين في الهياكل البنيوية والنظم الاجتماعية المتطوّرة أم يعود إلى أنّ هاتين المجموعتين تنحدران من بيئة وأصول وحضارة واحدة؟ على كل حال هذه المواضيع تحتاج إلى مزيد من العناية والبحث.

- وبالنظر إلى الهيكل الاجتماعي والسياسي للبلين عبر التاريخ يعتقد أنّهم كانوا من النبلاء يعرفون السلطة واستحاقاقاتها بل إنّ هناك من يميل إلى أنّ كلمة البلين قد تعني مجموعة من النبلاء أو الحكام.[١٤٤]
- إنّ البلين كسائر القبائل الآخرى في المنطقة كانوا يغزون ويغزون إلا أنّ وقوعهم وسط ثلاثة مجموعات كبيرة، هي الحباب والبني عامر والتجرنية كانت الغزوات ضدهم أكثر من هذه المجموعات بدرجات متفاوتة.
- إن النظام الاجتماعي اللامركزي الذي كان سائداً وسط البلين آنذاك كان له ميزتان إحداهما إيجابية والأخرى سلبية.

الأولى إنّ القيادة السياسية للبلين كانت في يد الزعامات القبلية وتُتَّخَذ القرارات بالتشاور وكانت متساوية في الحقوق والواجبات، ولا توجد سلطة مركزية تخضع لها هذه الزعامات، وإنّ الكل يشترك في اتخاذ القرار، وهذا يعتبر نظاماً ديمقراطياً بمفاهيم اليوم.

الثانية فإنّ هذا النظام كان له تأثير سلبي أثناء مقاومة الغزو وغارات النهب والسلب التي كانوا يتعرضون لها فكانت كل قبيلة تواجه مصيرها وحدها مهما كانت قوة الغازي عدداً وعتاداً دون أن تجد مساعدة من القبائل الأخرى، لعدم وجود قيادة هرمية تلزم الجميع لمواجهة العدو مجتمعين، ولذا كان يسهل للعدو مواجهتهم آحاداً.

من سلبيات هذا النظام أيضاً أنّه لا يسمح بظهور قيادات بارزة تتجاوز تلك المستويات المسموح بها، وفي حالة الخلافات الداخلية تتعقّد الصورة فيها أكثر فتلجأ بعض القبائل للتحالف مع القبائل المجاورة من غير البلين لمحاربة إخوتها من البلين.

---

144 Wolbert G. C. Smidt, Discussing ethno history: The Blin between periphery and International Politics in 19th century. note, no: 11 , p.135

- إنّ الغزوات كلها لم تكن تأتي إلى البلين من الخارج بل كانت أحيانا تحصل فيما بينهم حروب كالتي حدثت بين أبناء ترقي في البداية، وبين أبناء بيت طوقي في القرن االتاسع عشر وغيرها من حوادث أخرى وعلى الرغم من ذلك فالحروب فيما بين البلين تعتبر قليلة مقارنة بما كان سائداً في المنطقة آنذاك.
- إنّ للبلين قوانين وأعراف متطوّرة منذ زمن بعيد والمتفحص فيها يجد فيها تأثيرات القوانين الرومانية وقوانين المملكة الحبشية التاريخية والمفاهيم الدينية المسيحية والإسلامية، وتأثراً وتأثيراً بالقوانين والأعراف للمجموعات الأخرى المجاورة للبلين.
- إنّ قدرة البلين في التحالفات السياسية والاجتماعية حسب ما تقتضيه مصلحتهم، والتحولات الدينية من المسيحية إلى الإسلام بالنسبة للطوقي، والمذهب الكاثوليكى لمعظم السنحيت ساعدهم في البقاء ككتلة تتميّز بعاداتها وتقاليدها وشخصيتها المستقلة وسط تلك التحديات والتحولات السريعة المحلية والإقليمية والدولية، وإنّ استجابة البلين لتلك التطوّرات ووعيهم بالمخاطر التي كانت تحدق بهم وقدرتهم على التكيف معها مع الحفاظ على كينونتهم جعلهم يخرجون من تلك التحديات بأقل الخسائر. ومن ناحية أخرى فإنّ نهج التعامل مع التحديات في الظروف الحرجة أصبح جزءاً من سيرورة البلين بحكم التراكم وكسب الخبرات والتجارب عبر التاريخ.
- إنّ منطقة حلحل بقوص والمناطق المجاورة لها كانت تعتبر مناطق تماس بين الحضارتين المسيحية والإسلامية التي كانت تمثل الأولى مملكة أكسوم والثانية الدولة الإسلامية في مختلف المراحل الأمر الذي كان له تأثير في استقرارها.
- إنّ البلين كانوا يرون أنّ دفع الجزية والأتاوات للآخر تحدٍ وخضوع لذا كانوا يرفضون باستمرار دفع الآتاوات أو الضريبة السنوية وخاصة بيت طوقي لممثلي أباطرة الحبشة في حماسين ولذا كانوا يتعرضون لهجمات من قبل أباطرة الحبشة أو من يمثلهم في حماسين لإجبارهم على دفعها وكانت تلك الهجمات تواجه مقاومة شرسة

من البلين ولذا فإنّ بلاد حلحل بقوص على مر العصور رغم متاخمتها للحبشة لم يستطع ملوك الحبشة بسط نفوذهم عليها إلّا في حالات قصيرة وسرعان ما تعود إلى سيرتها الأولى[١٤٥].

- إنّ قوة البلين تكمن في قوة الشعور الوجداني للانتماء إلى البلين حتى الذين يتحدثون منهم لغات أخرى ولا يجيدون لغة البلين يشعرون بهذا الانتماء.
- قدرة البلين في التفريق بين الاعتقاد الديني والإنتماء إلى البلين الذي خلق وشكل ثقافة التعايش الديني والتضامن الاجتماعي بين مختلف مكوّناتهم أياء كانت ديانتهم الأمر الذي أدى إلى الاستقرار الاجتماعي والتسامح الديني فيما بينهم ولذا فإنّ التسامح الديني الذي كان ومازال موجودا بين أسر البلين قلّ ما يوجد في المنطقة نظير له فتجد في البيت الواحد مسلماً ومسيحياً دون أيّ حساسية بينهما.[١٤٦]

١٤٥ فتحي غيث، مصدر سابق، ص ٣١٧

146 Smidt. op.cit, p,139

الفصل الرابع

البلين في عهود الاستعمار الثلاثة (الإيطالية، الإنجليزية، الإثيوبية)

- البلين في مرحلة الاستعمار الإيطالي
- البلين في ظل الإدارة البريطانية
- البلين في فترة تقرير المصير
- البلين في مرحلة الاستعمار الإثيوبي

الاستعمار الإيطالي ١٨٩٠-١٩٤١

سبق تناول انسحاب الإدارة المصرية من مصوع وبقوص والتاكا كسلا حالياً ومناطق أخرى في المنطقة وذلك بعد توقيع معاهدة عدوا مع الأمبراطور يوحنس عام ١٨٨٤م وبموجبها ضُمَّتْ حلحل بقوص إلى إثيوبيا، وبعد دخول رأس ألولا إلى كرن بفترة بدأت التحركات الإيطالية من المدن الساحلية الإرترية وخاصة من مصوع وبيلول إلى منطقة الوسط بعبارة أخرى التوسع الإيطالي الاستعماري في إرتريا وشرقي إفريقيا بشكل عام. كانت بريطانية مؤيّدة وداعمة للتوسع الإيطالي في المنطقة وذلك لسببين:

- من أجل قطع الطريق على فرنسا من التمدد شمالاً وجنوباً إلى المناطق التي انسحبت منها مصر كهرر وزيلع ومصوع وحتى لا تصل إلى مناطق النفوذ البريطاني حيث مستعمراتها في شرقي إفريقيا وشمالها وإلى طرق الملاحة البحرية المؤدية إلى أوروبا ومستعمراتها في الهند وشرقي آسيا.[١٤٧]
- والهدف الثاني كان من أجل محاصرة الثورة المهدية التي كانت تتمدد بسرعة في المنطقة من محوري الساحل وكسلا.

بناءً على ماسبق سعت الإدارة البريطانية إلى تهدئة الوضع المتوتر بين الإثيوبيين والإيطاليين وأظهرت بوضوح للإثيوبيين أنّها تدعم أيلولة مناطق حلحل بقوص ومصوع والمناطق الأخرى للإيطاليين ولم يبد الأمبراطور يوحنس في حينها أي معارضة لتقدم الإيطاليين في تلك المناطق[١٤٨] بل لم يكن للأمبراطور يوحنس قدرة معارضة تلك المشاريع لأنّه كان يعاني من مشاكل داخلية بظهور حاكم شوا. الرأس منيليك. كمنافس له في العرش، وتطوّرات الثورة

---

١٤٧ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٤، ص ١٧٢.

148 Michael Ghaber, Op.Cit. p.٥٠.

المهدية السريعة التي كانت تتقدم نحو الحبشة بخطى ثابتة وقد كانت نهاية حياة يوحنس على يدها في ٩ مارس عام ١٨٨٩م في معركة المتمة الشهيرة.

لكل هذه التطوّرات وغيرها لم يستطع ممثل الأمبراطور يوحنس في إرتريا رأس ألولا الاستمرار في بسط نفوذه في حلحل بقوص والمناطق الأخرى. كما أنّ نفوذ الثورة المهدية بدأ يتراجع في المنطقة بعد إنهاكها في حروب عدة مع الحبشة ومع الجبهة المعادية للمهدية التي شكلها الإنجليز والمصريون في المنطقة تحت قيادة زعامات الطريقة الختمية[١٤٩]. بقي هنا أن أشير إلى أنّ بعض الشخصيات المعروفة من البلين كانوا مع الثورة المهدية إذ يذكر محمد سعيد ناود وقوف (الشيخ) إبراهيم درماس أحد زعامات قبائل البلين في ذلك الزمان إلى جانب الثورة المهدية وقتاله معها. وأنّ سيفه الذي قاتل به في تلك المعارك موجود إلى يومنا هذا في متحف بيت الخليفة بأم درمان[١٥٠]" وهناك معلومات غير مؤكد لذا الباحث تقول إنّ بعض أحفاده مازالوا يعيشون في السودان على العموم إن تاريخ هذا الفارس يحتاج لمزيد من البحث والتحقيق اسمه الكامل، فرعه في بيت طوقي، ذريته، الدور الذي لعبه في الثورة المهدية، أين دفن إلخ ---.

كذلك أشار محمد صالح ضرار إلى قائد آخر وهو الأمير يوسف كافل الذي بايع عثمان دقنه وولاه أميراً على هذه المنطقة وكان الأمير يوسف يرسل باستمرار إلى أمير الشرق قوافل تحمل العسل والسمن والثيران لتموين الأنصار، وقد قاتل الأمير يوسف ضد رأس ألولا قتالاً لا هوادة فيه عندما غزا الأخير حلحل بقوص لجعلها ضمن الأراضي الإثيوبية، ولاحقاً أيضاً قاوم الإيطاليين. وبعد سقوط كرن في أيدي الإيطاليين قبض عليه ونفي إلى مصوع وسجن فيها،[١٥١] يقول جلال الدين محمد صالح : وهو يتحدث عن الشعب الإرتري أثناء الاستعمار الإيطالي "ما كان يدري شعبنا البرئ في كثير منه أنّ الإيطاليين ما هم إلاّ غزاة، فاشستيون،

---

١٤٩ ميران، *نظرة تاريخية عامة على الإسلام في ارتريا*، مصدر سابق، ص ٨

١٥٠ محمد سعيد ناود، *العروبة والإسلام في القرن الإفريقي*، مصدر سابق، ص ١٥٧ – ١٥٨

١٥١ محمد صالح ضرار، مصدر سابق، ص، ١١٥-١١٦

جاؤوا لنهب خيراته، واستخدامه وقود حرب ضروس في أكثر من مكان، من مناطق نفوذهم، وصراعهم الاستعماري، ومع ذلك وجد في هذا الشعب من أبدى مواقف اعتراضية على الطليان، ومقاومة لزحفهم الاستعماري، فالتاريخ يروي لنا أنّ الأمير يوسف كامل، وهو من أشهر أمراء بيت طوقي، دافع عن كرن، واستمات في الدفاع عنها، عند ما أراد الإيطاليون احتلالها، كما تصدى وقاوم من قبلهم الرأس ألولا"[١٥٢] ويلاحظ اختلاف بسيط في الاسم بين ضرار وجلال الدين فالأول يورده بكافل بينما الثاني بكامل، ويحتمل أن يكون الأخير خطأ في النقل بقلب الفاء إلى الميم و ذلك أنّ أغلب المصادر الأخرى التي أطلعت عليها وخاصة المهدية منها تذكره باسم كافل وليس كامل.

على كل بعد احتلال الإيطاليين لحلحل بقوص اعتقل الأمير يوسف من قبل الإيطاليين ونقل إلى السجن في مصوع كما أشار إلى ذلك محمد صالح ضرار في الفقرات السابقة، ولم تتوفر لدى الباحث حتى الآن أيّ معلومات عن مصيره بعد تلك الفترة، ما إذا كان أفرج عنه أم قضى نحبه هناك؟ كما تنقص الباحث معلومات إلى أي فرع في بيت طوقي ينتمي هذا القائد، وهل ترك ذرية؟ ولماذا لم يذكر كثيراً في قصص الأبطال وضمن تاريخ أمجاد البلين بشكل عام والطوقي بشكل خاص؟ مهما يكن من الأمر فإنّ الأمير يوسف قد سطّر ملاحم من البطولات والفروسية النادرة في حماية أهله من غزوات النهب وأعمالها التي كان يقوم بها رؤوس الحبشة والغزو الإيطالي القادم من وراء البحار، ومن قبله أبلى بلاءً حسنا مع الثورة المهدية لتنتهي حياته الحافلة بالأمجاد في سجون مصوع في ساحل البحر الأحمر.

كذلك "أن المرحوم كنتيباي فكاك، والد المرحوم كنتيباي بشير لم يكن مرحبا بالطليان، وكان صامتا في وجههم، وهم يتوددون إليه، ليجدوا منه المباركة، والموالاة، عندما هددوه بالاعتقال تضامن معه كل من حضر مجلس المواجه، من زعماء القبائل، وتمرد عليهم كذلك كنتيباي

---

١٥٢ جلال الدين محمد صالح. *كرن الأصالة والتراث*، مصدر سابق، ص، ٥٠٠

محمود كنتيباي الحباب"[١٥٣] وغيرهم من زعامات كثيرة من البلين وبيت أسجدي وقفوا ضد الاحتلال الإيطالي موقف الزعيمين السابقين ومثلهم زعماء من القبائل الأخرى واجهوا المحتل الإيطالي بأشكال مختلفة.

على الرغم من تلك المقاومة هنا أو هناك فإنّ التطوّرات المتسارعة كانت لصالح إيطاليا التي كانت قد سيطرت على عصب منذ ١٨٨٢ ومصوع ١٨٨٥م كما أن الكولونيل ساليتا (Salletta) كان قد أجرى اتصالات مع قيادات الحباب و حصل تواصل بينه وبين بعض زعامات البلين وخاصة زعماء بيت قبرو[١٥٤] وكان الوقت مناسبا للإيطاليين لكسب البريطانيين في جانبهم ودخول إثيوبيا في فوضى بعد موت يوحنس ١٨٨٩ وتحالفهم مع بعض الزعامات في حماسين الذين كانت لهم عداوات مع ممثل يوحنس في المنطقة الرأس ألولا بدليل توكيل بعض المهمات إليهم فعلى سبيل المثال كان مهمة احتلال حلحل بقوص قد أوكلت إلى بلمبراس كافل نيابة عن الإيطاليين وبالفعل قام باحتلال كرن في يوليو عام ١٨٨٨م وعلق العلم الإيطالي فيها[١٥٥] دون مواجهة تذكر من السكان ما عدا تلك التي أبداها بعض الزعماء و "يعزو بعض المراقبين سبب عدم مقاومة الإرتريين من المنخفضات والمرتفعات، للاستعمار الإيطالي إلى رغبتهم في وقف غزوات رأس ألولا، وبهتا حقوص ويوحانس، والتمتع بحماية الإيطاليين من الغزو على غرار ما فعلوه من قبل مع مونزنجر للسبب نفسه"[١٥٦]، يضاف إلى ذلك أن المنطقة في االفترة ما بين ١٨٨٩-١٨٩٢م كانت قد تعرضت إلى قحط ومجاعة وهذه الأعوام تعرف بسنين " كربوني" محليا ويقال إن الإيطاليين وزعوا بعض المساعدات الغذائية في حلحل بقوص والمناطق المجاورة لها الأمر الذي ربما ساعدهم في

---

١٥٣ . *المصدر السابق*، ص. ٥٠٠-٥٠١

154 Michael Ghaber , Op.Cit.p.48

155 Ibid,p.50-52

١٥٦ . جلال الدين محمد صالح. ***كرن الإصالة : التراث***، *مصدر سابق*، ص٥٢. *وأنظر أيضاً ألم سقد تسفاي،* ***لن نفترق***، *مصدر سابق*، ص، ٦١

كسب ثقة بعض الناس فيها [157] يقول فرديناندو " يوم احتلت قواتنا كرن، وزعت على الأهالي مئات الأكياس، من الذرة ليزرعوها، لكنهم عمدوا إلى أكلها، أو بيعها" [158] كل هذه الأمور وغيرها مجتمعة سهلت ومهدت الطريق للتوسع الإيطالي في إرتريا. بعد احتلال الإيطاليين لكرن حاضرة حلحل بقوص " أعجبوا بالجمال الطبيعي للمدينة المحاطة بجبال شامخة دائمة الاخضرار وسهول خصبة صالحة للزراعة ووديان جارية ومليئة بالبرك والمستنقعات والأحواض وأشجار السدر والأراك وغيرها من الأشجار الشامخة المورقة والعشب المتنوع الجميل". [159]

كما سبقت الإشارة إليه دخل الاستعمار الإيطالي أوّل مرة إلى إرتريا بحجة حماية أراضيه المستأجرة في عصب على ساحل البحر الأحمر، وبعدها خلال فترة وجيزة احتلت القوات الإيطالية مناطق المنخفضات الشرقية، والمرتفعات، وكرن، وأجزاء كبيرة من المنطقة الغربية وأعلنت إيطاليا عام ١٨٩٠م احتلال إرتريا كاملاً وبهذا أصبحت إرتريا أوّل مستعمرة إيطالية في إفريقيا [160].

أهداف إيطاليا من استعمارها لإرتريا:

- جعل إرتريا قاعدة انطلاق لتوسيع مستعمراتها في منطقة القرن الإفريقى، وتجنيد الإرتريين قسراً في جيشها لتنفيذ ذلك.
- جعل إرتريا سوقا استهلاكية لبضائعها.
- جعل إرتريا مستعمرة استيطانية لتوظيف الإيطاليين فيها، وتسليمهم أكثر المناطق الزراعية خصوبة.

---

157 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٥٢

١٥٨ .فرديناندو مارتيني، *إرتريا في إفريقيا الإيطالية*، مصدر سابق، ص. ١٠٨

١٥٩ .محمد نور فايد، مصدر سابق، ص ٤٦

١٦٠ .إيلوس، *إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية*، مصدر سابق، ص ٦٤

لتحقيق تلك الأهداف ركّزت إيطاليا على التطور المادي وتحسين البنية التحتية للبلاد مع إهمال تنمية الإنسان الإرتري حيث شيّدت المدن، وربطتها بشبكة طرق واتصالات، وأجرت توسيعات للبنية التحتية كالسكك الحديدية، والموانئ وغيرها، وبجانب العمران المدني أولت أيضاً أهمية كبيرة للمشاريع الاقتصادية، والصناعية، ونتيجة لتلك الجهود انتعش اقتصاد المستعمرة، وشهد تطوراً ملحوظاً، مما ترتب عليه نشوء طبقة عاملة إرترية من مختلف شرائح المجتمع وأدت هي بدورها إلى التمدن. كان لحلحل بقوص وخاصة مدينة كرن نصيب أوفر من هذه التطورات الإيجابية مثل غيرها من المدن الإرترية الأخرى التي شيّدت على طراز المدن العصرية، وأصبحت مدينة كرن جاذبة للتجار والمستثمرين من مختلف الأماكن وغالبيتهم كانوا من الإيطاليين والحضارمة اليمنيين بالإضافة للتجار المحليين الإرتريين، وكان لهؤلاء التجار دور كبير في تعزيز الاقتصاد وتطوّره حيث استثمروا في مختلف النشاطات التجارية وأصبحت كرن نتيجة لتلك النشاطات مع موقعها الاستراتيجي لتوسطها للأقاليم الثلاثة المهمة في إرتريا (القاش بركة، الساحل، حماسين) أحد أهمّ المدن الإرترية التي يقصدها رجال المال والأعمال، وعمرانيا شيّدت فيها البنية التحتية وربطت عبر طرق عصرية بالعاصمة أسمرا ومصوع وغربا بأغردات وبارنتوا وتسني وشمالا بافعبت ونقفة و ربطت أيضاً بالقطار عبر السكة الحديد بأسمرا ومصوع وإلى أجزاء في المنطقة الغربية في إرتريا، و ظهرت في كرن معالم الرفاه كالفلل الإيطالية الفاخرة والحدائق و أبنية المصالح العامة بطريقة عصرية، وأنشأت فيها المصانع مثل مصنع الأزرار من شجرة الدوم ومصنع الحبال والخيش من نبات الكتان وغيرهما.

من ناحية أخرى فقد أنشأ الإيطاليون عام ١٨٩٣م في إرتريا ثلاث محطات للأبحاث الزراعية لتقوم بالبحث العلمي لمكافحة أمراض الحشرات النباتية، وفي تطوير المدخلات لزيادة الإنتاج في هذا القطاع[١٦١] وكان لذلك أثر كبير في تطوير القطاع الزراعي في إرتريا بما فيها مناطق

١٦١ فرديناندو مارتيني، مصدر سابق، ص ١٧٣

حلحل بقوص التي أصبحت حزاما أخضر بسبب انتشار البساتين في ضفاف نهر عنسبا ووادي دعاري وفي مناطق كثيرة غيرهما كبساتين عيلابرعد وأورتولا، ومكلاسي وأزرقت وغيرها كما تنوعت محاصيل الزراعة الأخرى وزادت منتجاتها.

أنشأ الإيطاليون في عام ١٩٠٥م في أسمرا مركزاً للأبحاث البيطرية، وقد صنف في الربع الأول من القرن العشرين كأكفأ مركز بحثي في إفريقيا[١٦٢] وشهد الحقل الرعوي في حلحل بقوص والمناطق الإرترية الأخرى تطورا ملحوظا بسبب وجود بعض من الرعاية البيطرية الأمر الذي أسهم في تراكم ثروة مهمة لدى البلين في القطاعين الزراعي والرعوي وخاصة عند بيت الطوقي وإن هذه الثروة أيضاً بدورها أصبحت تساهم في تعزيز المكانة الاجتماعية لأفراد البلين بناءً على ما يملك الفرد من الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية.

يصف الأستاذ صالح كسوراي رغد العيش في حلحل في أربعينيات القرن الماضي "كانت حلحل قرية هادئة ينتظمها جو معتدل صحو مع لذعة برد منعشة معظم أيام العام، وطقس ضبابي وبرد عاصف أحيانا في الشتاء تتكون من أربعة أحياء صغيرة يرتبط أهلها بصلات النسب والمصاهرة ويعملون في الزراعة وتربية الحيوانات. سماؤها كانت سخية مدرارة ومحصولاتها متنوعة تنبت في أراضيها كما لا تنبت في أي مكان آخر، البهائم تعود إلى حظائرها ممتلئة البطون والضروع. الخير كان كثيراً ومبسوطا، والأمان كان يعم المنطقة بعد أن أنهى وجود الإيطاليين الحروب القبلية والعشائرية التي تتغذى بالثأرات المتبادلة"[١٦٣] ولو استخدمنا لغة اليوم هو أن تحسن الوضع الاقتصادي للفرد آنذاك كان ينقله من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى عليا، وظهرت أيضاً في تلك الفترة وسط البلين مؤشرات في تغيير نمط الحياة البدوية القاسية إلى حياة شبه مدنية وظهر ذلك من خلال المأكل والملبس

١٦٢عبدالباري عبدالرزاق النجم، **إرتريا شعبا وكفاحا**. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٧٧. ص١٠٨

١٦٣ مقابلة صالح علي بخيت كسوراي مع جريدة إرتريا الحديثة، أجرى المقابلة معه هاشم بشير بتاريخ ١٢-٤-٢٠٠١م السنة ١٠ العدد ١٢٥

والمركب والمظهر العام، كما أنّ الشعر والأغاني الشعبية بدأت تعكس فيها ملامح تطوّر الوعي الاجتماعي والسياسي والإعتزاز بالذات البليناوية.

في مجال التعدين قام الإيطاليون بإنشاء مركز جيولوجي، وبالفعل قام هذا المركز بدراسات مسحية شاملة، وتشكيل قاعدة معلومات مهمة عن قطاع التعدين في إرتريا، ويعتقد أن الحكومات الاستعمارية التي تعاقبت على إرتريا بعد الإيطاليين كالإنجليز والإثيوبيين والحكومة الإرترية بعد الاستقلال اعتمدت على تلك المعلومات كمنطلقات أساسية في هذا القطاع الحيوي. ووجدت الدراسات أن أربع مناطق رئيسية في إرتريا تتمتع بثروة معدنية كبيرة وخاصة الذهب منطقتين في إقليم الحماسين ومنطقة أوقارو في القاش، والرابعة هي منطقة حلحل بقوص التي كانت تحتفظ في باطنها بكميات كبيرة من الذهب والمعادن الأخرى في عدة مواقع منها وقد أستغل الإيطاليون البعض منها كالمناجم الموجودة في مناطق سروا وأماكن أخرى في حلحل بقوص.

وإضافة إلى ماسبق قامت البعثات البحثية الإيطالية بدراسات عميقة وموسعة للمجتمع الإرتري ومكوّناته حيث نشر العديد منها كدراسات الكونتي روسيني، ومارتيني، وبوليرا، وبيريني، وأستيني وآخرين [١٦٤] وهذه الدراسات تناولت بشيء من التفصيل على درجات متفاوتة لأوضاع البلين والمجموعات الآخرى في المستعمرة. وكان الغرض من هذه الدراسات ابتداءً لتزويد الاستعمار بمعلومات تاريخية وثقافية واجتماعية ودينية من تلك المجموعات، وأصبح لاحقا الكثير من أصحابها حكاماً ومستشارين وموظفين كبار في أجهزة الدولة المختلفة في المستعمرة.

إذا تركنا جانباً الدور السلبي الذي لعبته تلك الدراسات في السياق الاستعماري، إلا أنّها لاتخلو من إيجابيات أقلها أنّها عرفت المجتمعات الغربية بكينونة وثقافة هذا المجتمع وخاصة في أوساط النخب المتعلمة منهم كما أنها كوّنت قاعدة معلومات عن البلين

---

١٦٤ ألم سقد تسفاي، **لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا**، مصدر سابق.ص ٥٨

والمجتمعات الأخرى في المستعمرة التي عجز أصحابها حتى الآن أن يأتوا بمثلها، وأصبحت هذه الدراسات والبحوث تشكّل مصادر معلومات مهمة للباحثين وصانعي القرار. إن الرجوع والاستفادة من تلك المصادر أمر لا مناص منه، لكن في نفس الوقت مع الحيطة والحذر، فإن تلك المعلومات المتدفقة من اتجاه واحد قد تشكّل الإطار المهيّمن والموجه للباحث فينظر من خلاله إلى تلك المجتمعات الأمرالذي قد ينتج عنه تبعية فكرية وثقافية بكافة أشكالها.

على العموم تلك الدراسات والبحوث ساعدت الاستعمار في إقامة مستعمرة إرترية ذات حدود معروفة لأوّل مرة، وتمّ صهر مكوّناتها الاجتماعية المتباينة في أنماطها الاجتماعية، والثقافية، واللغوية. فكانت هذه المرحلة بالنسبة للبلين والمكوّنات الإرترية الأخرى مرحلة تعارف وتواصل بينهم، ولم يكن هذا ممكن الحصول من قبل لعدم توحدهم تحت سلطة واحدة عبر التاريخ، ومما ساعد في ذلك استتباب الأمن بعد توقف الغارات القادمة من إثيوبيا وعدم اعتراض السلطات الاستعمارية على معتقداتهم الدينية وفي نسيجهم الاجتماعي وأنظمتهم العرفية كالعادات والتقاليد السائدة في البلاد. لذا نجد أنّ البلين كغيرهم من القوميات الإرترية الأخرى لم يتأثروا كثيراً بالسياسات الاستعمارية وخاصة سكان الريف، وحتى في المدن كان المستعمر يعترف ببعض خصوصيات السكان الأصليين على سبيل المثال فقد أصدرت الإدارة الاستعمارية مراسيم تعترف فيها بقانونية لجان الأوقاف في كل من أسمرا وكرن ومصوع[١٦٥]. وباستقلالية المحاكم الشرعية وغيرها. كما كان المواطنون في المستعمرة يسافرون بكل حرية للخارج للأغراض الدينية، وللتجارة، وللعمل والتعليم على سبيل المثال هناك عدد من المسلمين البلين سافروا لتلقي العلم في الأزهر الشريف في مصر، أو المؤسسات الأخرى في الشرق الأوسط وفي مناطق أخرى وعادوا متزودين بالعلم إلى بلادهم ولعبوا دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية في ربوع حلحل بقوص كما سيأتي تناولهم بالتفصيل لاحقا.

---

165 Aberra, yassin. "Muslim intitutions in Ethiopia:the asmara awqaf." *the journal of thr institute of muslim minority affairs,5,* 1983. p 206

من ناحية أخرى إن دخول البلد تحت الإدارة الاستعمارية سحب كثيراً من النفوذ الذي كانت تتمتع به القيادات التقليدية قبل مجيء المحتل لأنّها أصبحت تحت إمرته ويسمح لها فقط ممارسة النفوذ الذي يتماشى مع سياساته كما توقفت الصراعات والنزاعات التي كانت تظهر بين حين وآخر بين القبائل والعشائر، والبلين فيما بينهم من ناحية وبين البلين والمجموعات الأخرى في المستعمرة من ناحية أخرى. على صعيد النظام الاجتماعي لدى البلين فإن الإدارة الاستعمارية في البداية أبقت النظام الاجتماعي اللامركزي، إلّا أنها تراجعت عن ذلك لاحقا وحاولت إدخال البلين، والمجموعات الأخرى كالعفر، والساهو، والكونامه، التي كان يماثل نظامها الاجتماعي لنظام البلين الاجتماعي تحت نظام مركزي بتعيين شخص على رأس كل مجموعة، إلّا أنّ هذا النظام لم يجد قبولا حسنا من البلين والمجموعات الأخرى بحكم أنه لم يكن وليد تطوّرات النظام الاجتماعي الداخلي بل كان نظاماً فوقياً مفروضاً عليهم، يقول: نايدل وهو يتحدث عن تلك الفترة "فحتى فترة قريبة، كانت كل عشيرة من عشائر بيت ترقي وبيت طوقي، تمارس الحكم الذاتي بقيادة زعيمها الوراثي (سيم) وفي سنة ١٩٢٣، اتخذت الحكومة الإيطالية قراراً بوضع زعماء العشائر تحت إدارة رئيس إقليمي يدعى "مسلني" Meslenie ولكن هذه التدابير على الرغم مما فيها من منطق، لم تلق أي ترحيب شعبي".[١٦٦]

على العموم عيّن على رأس زعماء العشائر من قبل المستعمر كوليري عبي محمد ندل كممثل لبيت طوقي، وكوليري إدريس لجام للسنحيت،[١٦٧] وكان عدد عموديات بيت طوقي آنذاك أربعة وهي: عمودية سمرعين، تسأن، قبشا، طفع، وأما الخامسة وهي عمودية لامديري فكانت فيها إشكالية بسبب تآمر بعض الزعماء عليها. وإن أوّل ما عمله كوليري عبي إرجاع عمودية لامديري إلى أهلها وأضافة عموديات جديدة وهي عمودية عد حريش، دانشيم، طنفاي، وأصبحت عمودية جنقرين جزءاً من هذا الترتيب الجديدة، وبهذا وصلت عموديات بيت

---

١٦٦ نايدل، مصدر سابق، ص، ٤٧

167 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٥٩

طوقي إلى تسعة ويقال كان هناك مساعٍ لإعطاء عموديات للقبائل الأخرى مثل جوين، ودنقين، ولاوين... لكن حال دون ذلك عدم اكتمال النصاب العددي لهم.

إجمالا يمكن ملاحظة الأمور الآتية فيما يخص علاقة الإيطاليين مع المجتمع الإرتري:

- عدم تصادم الإيطاليين مع السكان المحليين وذلك لدوافع الأمن، والاستقرار في المستعمرة وخاصة في المنخفضات الإرترية والتي يصعب على المستعمر فرض سيطرته عليها، وذلك لطبيعتها الجغرافية الوعرة، وأنماط سكانها المعيشية. ومن هنا يبدو أنه قد جاءت فكرة تعيين شخص على رأس كل قبيلة تتواصل وتنزل وتنفذ قراراتها عبره على تلك المجموعة.
- كبح نفوذ الثورة المهدية في المنخفضات الإرترية بما فيها مناطق البلين وخاصة بيت طوقي الذي كان بعض أبنائها جزءاً من الثورة المهدية، وكان هذا واضحاً من تعامل إدارة الاستعمار مع العناصر المضادة للثورة المهدية وخاصة الطريقة الختمية بتشجيعها، ودعمها لبسط نفوذها في أوساط المسلمين في عموم إرتريا، مقابل تهميش دور الأسر الدينية الأخرى، وخاصة تلك التي تعاطفت مع الثورة المهدية في مناطق الساحل والسنحيت[١٦٨].
- بعد احتلال إرتريا، والصومال، وليبيا، وجد الاستعمار الإيطالي نفسه أمام تحديات لإدارة المجتمعات القائمة بذاتها، من هنا فكر الاستعمار بالتعامل مع الواقع القائم بحذر، حتى لا تتعرض أهدافه الاستعمارية، وأمن جالياته النازحة لتلك الأقطار للخطر.
- كان الهدف النهائي توسيع الإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا بعد إتمام سيطرتها على أهم المنافذ المائية في البحر الأحمر، وسواحل البحر الأبيض المتوسط.

---

١٦٨ المصدر السابق، ص١٠

من أسوأ سياسيات الاستعمار الإيطالي في إرتريا كان تطبيقها نظام التميز العنصري في المستعمرة، الذي كان يفرق بين المستوطنين والسكان المحليين تقريبا في كل شيء، فالمستوطنون الإيطاليون كانوا يتمتعون بجميع الحقوق السياسية والاجتماعية والميزات الاقتصادية والتعليمية والرعاية الصحية، بينما السكان المحليون لم تكن لهم تلك الحقوق، بل كانوا يستخدمون في شق الطرق والأعمال الشاقة الأخرى مقابل أجر زهيد، وكان يتم تجنيدهم قسراً في الجيش الإيطالي، وأصبحوا وقوداً في حروب الإمبراطورية الإيطالية التوسعية في إثيوبيا وليبيا والصومال و مع الإنجليز في كسلا ثم في داخل الأراضي الإرترية وكانت أشهر هذه المعارك معركة عدوا ومعركة عقبة طنقولاحس المنيعة في أطراف مدينة كرن التي أكلت الأخضر واليابس والتي كانت فيها نهاية الإيطاليين في إرتريا و في شرق إفريقيا. وإن الإرتريين المجندين في تلك المعارك وغيرها قتل منهم من قتل وأصيبت منهم أعداد كبيرة بعاهات مستديمة كالذين قطعت أطرافهم من خلاف في معركة عدوا الشهيرة.

في مجال التعليم لم يسمح للإرتريين بتجاوز الصف الرابع الإبتدائي وكانت المدارس الإبتدائية قليلة جداً، لذا لم تترك إيطاليا في إرتريا عند خروجها بعد ما يقرب من ستين عاما سوى ٢٤ مدرسة إبتدائية[١٦٩]. ومع قلة الفرص التعليمية المتاحة آنذاك هناك من استفاذ منها من أبناء البلين فمثلا درست مجموعة من أبناء البلين في مدرسة الآداب (أرت منستري) في كرن وقد أصبحوا لاحقا وجهاء القومية وعلى مستوى الوطن على السواء نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر هداد كرار، كوليري إدريس لجام، وهمد إبراهيم نبراي، وكنتيباي حامد سمر العول وآخرين[١٧٠]

169 Saleh, Mohamed Ahmed ***The Analysis of the Islamic Education Curriculum and its implementation in private secondary schools of Eritrea.*** Unpublished research submitted to faculty of Education International Islamic University Malaysia as requirement of master degree, 2004. p 3-4.

١٧٠ محمد نور فايد، مصدر سابق، ص٣١

أمّا على المستوى السياسي فلم تكن الإدارة الاستعمارية تسمح بأي نشاط سياسي بالنسبة للإرتريين ولذا يقول الإرتريون على سبيل التندر إن الاستعمار الإيطالي قال لهم كلوا واشربوا ولا تتكلموا، ثم جاء بعدهم الإنجليز فقالوا لا تأكلوا ولا تشربوا لكن تحدثوا كما تريدون، ومن بعدهم جاء الإثيوبيون ولسان حالهم يقول لا تأكلوا ولا تشربوا ولا تتحدثوا. على العموم أصاب البلين ما أصاب القوم في إرتريا في تلك المرحلة من العنت والمشقة فوزعت أراضيهم الخصبة إلى المستوطنين الإيطاليين وجند منهم أعداد كبيرة في الجيش الإيطالي وأدخلوا مع غيرهم في أتون الحروب التوسعية للإمبراطورية فمنهم من قضى نحبه ومنهم من أصيب بعاهات مستديمة ومنهم من عاد بسلام والباحث يذكر ذلك من واقع معرفة لأنه وجد والده وجده وكثير من أقاربه ومعارفه الذين أدركهم كانوا من المجندين في الجيش الإيطالي. وأن الإرتريين المجندين في الجيش الإيطالي، على الرغم مما لحقهم من موت وإعاقات تركوا دون تعويضات مجزية، وأهملت عوائل من سقطوا منهم في الحروب التوسعية الإيطالية.

على كل إنّ المرحلة الإيطالية الاستعمارية في إرتريا قد ولت بكل سلبياتها وإيجابياتها عام ١٩٤١ بعد ما يقارب من ستين عاما بسبب هزيمتها مع حلفائها من دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وخروجها من المسرح الدولي، وأحيلت إدارة مستعمراتها الثلاثة، إرتريا، ليبيا والصومال، إلى الحلف المنتصر ودخلت إرتريا تحت الإدارة البريطانية حتى يتم البت في مصيرها.

البلين في ظل الإدارة البريطانية

عند ما أصبحت إيطاليا جزءاً من دول المحور في الحرب العالمية الثانية وبدأ المحور يحقق مكاسب في شمال إفريقيا، وخاصة في جبهة ليبيا، وتقدم الإيطاليون في جبهة شرق إفريقيا باحتلالهم إثيوبيا، والصومال البريطاني، وتمددهم من إرتريا إلى مناطق شرق السودان الإنجليزي مثل كسلا والقلابات، فإنّ هذه التطوّرات أصبحت مصدر قلق للحلفاء وخاصة الإنجليز، لأنّ مناطقهم مثل كينيا وأوغندا والسودان أصبحت تحت تهديد مباشر من

الإيطاليين، ومن هنا بدأ الإنجليز في شن هجوم واسع على الإيطاليين من الشمال على إرتريا و إثيوبيا، وهجوم آخر من كينيا والصومال البريطاني. ما يهمنا هنا هي الجبهة الشمالية التي تقدمت عبر ثلاثة محاور، القلابات لفتح الطريق إلى إثيوبيا، محور كسلا للسيطرة على بركة والقاش ومن ثم الزحف نحو كرن ثم أسمرا، المحور الثالث هو محور بورتسودان للسيطرة على مناطق الساحل حتى مصوع. تقدم هذه المحاور بالتوازي أفضى إلى هزيمة الإيطاليين في إرتريا وانتزاعها منهم.

بعد بدء الإنجليز الحملة انسحبت القوة الإيطالية من كسلا وتوالى انسحابها من مناطق البركة والقاش بعد مواجهات قليلة لكنها رابطت في ممر طنقولاحس الاستراتيجي في مشارف مدينة كرن التي تقع وسط جبال شاهقة ووديان ضيقة ومسالك وعرة، الأمر الذي جعل منها منطقة ذات أهمية استراتيجية من الناحية العسكرية. كان ذلك واضحا أثناء هجوم قوات التحالف على القوات الإيطالية المتحصنة في كرن ولم تستطع القوات المهاجمة اختراق الدفاعات الإيطالية لشهر كامل فانتشرت في سهول جِلاسْ، وبَقُّو والمناطق المجاورة لهما.

كان الإيطاليون يدركون أنّ خسارة دفاعات كرن قد تكلفهم خسارة مستعمراتهم في إفريقيا وتحدد مصيرهم في الحرب العالمية الثانية ولذا استماتوا فيها حتى النهاية واستعصى الأمر على الجنرال وليام بلات قائد القوات البريطانية المهاجمة ولم يكن أمامه أي خيار عدا تطبيق خطة هجوم كاسح على دفاعات العدو بعد دكها بالمدافع الثقيلة من الأرض وبالطيران من الجو، بالفعل نجحت خطته بعد شهر كامل وتصدعت الدفاعات الإيطالية في يوم ٢٧ مارس ١٩٤١ وسقطت كرن في أيدي قوات التحالف بقيادة الجنرال وليام بلات بعد تكبد الطرفين خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، فكانت خسائر الإنجليز ما بين أربعة وخمسة آلاف[١٧١]، بينما الإيطاليين قد بلغت ثلاثة آلاف ومائة وعشرين قتيلا حسب الرواية الرسمية، لكن هذا الاحصاء لم يشمل التسعة آلاف جندي من الإرتريين والإثيوبيين الذين سقطوا في هذه

---

١٧١ تسفاي، *لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا*، مصدر سابق، ص. ٤٨

المعركة وهم يقاتلون في صفوف الجيش الإيطالي[١٧٢]، إضافة إلى ذلك عشرات الآلاف من الجرحى في الجانبين، ومازالت كرن تحتفظ برفات الذين سقطوا في تلك المعركة في مقبرتين إحداهما للإيطاليين والأخرى للإنجليز.

إن كرن والقرى المجاورة لها وخاصة التي كانت فيها الدفاعات كمناطق بقوا، جلاس، ورور بيت قبرو، ومقارح وماوراءها، قد عاشت أياما عصيبة ولحق بها دمار كبير وإن سقوط آلاف الأطنان من الأسلحة في هذه المنطقة قد ترك آثاراً سيئة بعيدة المدى في الحياة البئية الطبيعة، وإنّ مخلفات الحرب كالألغام كانت تتفجر حتى وقت قريب. على كل تنفس أهل تلك المنطقة الصعداء بانتهاء تلك المعركة.

عند دخول الإنجليز إلى كرن قابلهم كل من السيد محمد على جنجر، والسيد كنتيباي كرار محمد، والسيد كوليري إدريس لجام، بصفتهم من زعماء قبائل البلين وأعيان مدينة كرن وكان معهم أحد السودانيين من سكان كرن[١٧٣] وهكذا قصمت معركة طنقولاحس ظهر الإيطاليين ولم تقم لهم بعدها قائمة في إرتريا وفي شرقي إفريقيا، ولا شك أن ذلك أثر في مساراتها في الحرب العالمية الثانية التي انتهت بانتصار الحلفاء وهزيمة دول المحور التي كانت إيطاليا جزءاً منه.

بخروج إيطاليا من المسرح الدولي تحولت إدارة إرتريا عام ١٩٤١م إلى بريطانيا كممثل لقوات التحالف حتى يتم البت في مصيرها وأنشأت بريطانيا في البلاد نظاما يعرف بالإدارة العسكرية، ثم استبدلته بالإدارة المدنية عام ١٩٤٩م[١٧٤] واعتمدت على الإداريين الإيطاليين وأعادتهم إلى مناصبهم لتأدية مهامهم كالمعتاد في مختلف المستويات الإدارية في كرن وفي إرتريا بشكل عام، بل الأكثر من ذلك أبقت قانون التميز العنصري الذي كان سائداً في عهد الاستعمار الإيطالي وآلياته المنفذة له، من الأجهزة الأمنية، والشرطة الإيطالية التى دمجت في

---

172 Michela Wrong. ***I Did n't do It for You. Harper perennial , London. 2005, p ,95***

١٧٣ جلال الدين محمد صالح، ***كرن الأصالة والتراث***، مصدر سابق، ص،١٣٦

١٧٤ إيلوس، ***إرتريا ومشكلة الوحدة الوطنية***، مصدر سابق، ص ٦٦. تسفاي،، ***لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا***، مصدر سابق، ص ٥٠

جهاز الشرطة الجديد الذي أنشأته، كما أنّها لم تفعل أي شيء لتحسين الأوضاع الاقتصادية المنهكة بسبب أوضاع الحرب العالمية الثانية والتي كانت إرتريا إحدى ساحاتها بشكل عام ومناطق البلين بشكل خاص التي حدث فيها قتال شرس بين القوتين على النحو الذي سبق الحديث عنه آنفا، بل عمدت الإدارة البريطانية إلى تسيير البلاد بأقل صرف ممكن، كما أنّها لم تبذل أي جهد لمعالجة البطالة التي كانت تعاني منها المدينة وأريافها والبلاد بشكل عام بسبب عودة أعداد كبيرة من المسرحين من الجيش الإيطالي من أبناء هذه المنطقة و الإرتريين بشكل عام[١٧٥]. إن أبناء البلين المسرحين من الجيش الإيطالي يعتقد أنّ عددهم كان كبيراً، على الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة لدى الباحث إلا أنّه وبالعودة إلى ما كنا نسمعه من المجندين في الجيش الإيطالي يعتقد أنّ عددهم كان كبيراً في صفوف الجيش الإيطالي.

على الرغم من تلك السلبيات للفترة البريطانية في إرتريا إلا أنّها لم تخل من بعض الإيجابيات. منها الاهتمام بالتعليم، فأسست المدارس الابتدائية، والإعدادية، ومدرستين ثانويتين، ومعهداً للمعلمين. ويعتبر هذا تطوراً كبيراً في مجال التعليم إذا ما قورن بالعهد الإيطالي الذي لم يسمح للإرتريين بتجاوز الصف الرابع الابتدائي، وحتى المدارس الابتدائية كانت قليلة جداً، لذا لم تترك إيطاليا في إرتريا عند خروجها بعد ستين عاما سوى ٢٤ مدرسة ابتدائية كما مر سبقاً.

خلال عشر سنوات للإدارة البريطانية بلغ عدد المدارس ١٠٠ مدرسة ابتدائية، و١٤ متوسطة، ومدرستين ثانويتين، ومعهداً للمعلمين، كما تمّ إرسال طلاب للخارج لمواصلة تعليمهم الثانوي والجامعي، كما أنشأت الإدارة البريطانية عدداً من المكتبات العامة، ومعاهد ليلية لتعليم اللغات والحرف الصناعية الصغيرة.

---

١٧٥ تسفاي، ألم سقد، *فيدرالية إرتريا مع إثيوبيا*، ترجمة إبراهيم إدريس توتيل، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٩، ص ٢٣١ والتي بعدها

إنّ ميل قبائل البلين "للعيش في جماعات مستقرة حبب إليهم الإقبال على التعليم الأكاديمي وتعلم المهارات المهنية بقدر المساحة التي كانت متوفرة في عقود أربعينيات وخمسينيات القرن الماضي، وبما إن مدينتي مصوع وكرن كانتا أول من عرف المدرسة النظامية في مناطق المنخفضات الإرترية، (مع العلم أن مدينة مصوع جمعت ما بين جهد الحكومة وجهد الأهالي الّذين كانوا أكثر سخاءً من غيرهم في مجال الصرف على التعليم) إلا أن افتتاح أول مدرسة نظامية نموذجية تم تأسيسها في مدينة كرن بواسطة الإدارة البريطانية معتمدة على قطاع ضباط الإحتياط السودانيين الذين شكلوا هيئة التدريس، كما شُكِّلت الإدارة وهيئة الإشراف من ضباط الاحتياط البريطانيين، وكل هؤلاء كانوا معلمين قبل أن ينخرطوا في سلك الجندية، وفقا لما تفضل بتأكيده الأستاذ محمد أحمد إدريس نور رحمة الله عليه، وهو أحد الذين عاصروا تلك الفترة وكان أحد أبطالها طالبا ومعلما. قطعا قد استفاد سكان المنطقة من تلك السانحة خصوصا أبناء مدينة كرن، وكان الإقبال على التعليم عاليا فأدى ذلك إلى بروز أبناء المدينة في مضمار التعليم ومن ثم سهولة تقلد المسئوليات في الهرم الوظيفي وكان بعضها وظائف ذات أهمية كبيرة، وذلك نتيجة اقتناصهم لتلك الفرصة الطيبة التي وجدت تجاوبا عظيما من الأهالي وأبنائهم الذين تسابقوا نحو فصول المدرسة بولع وشغف وعزيمة، بدأت حملة التعليم فيما بعد بقيادة أبناء مدينتي مصوع وكرن، والجدير بالذكر أن أول معلم إرتري تمت إجازته ليصبح معلما معترفا به لمزاولة مهنة التعليم كان من هاتين المدينتين، وفى عقود خمسينيات وستينيات القرن المنصرم. وغنيّ عن القول أن أكثر من ٧٠% من العاملين في مجال التعليم في كافة قرى ومدن إرتريا كانوا من سكان مدينة كرن وما حولها، بما في ذلك مدير المعارف آنذاك وهو السيد/ إسحاق تولدي مدهن، وكانوا خير من حمل الأمانة باعتبارهم الرسل الأوائل الذين حملوا مشعل رسالة العلم التي أعطوها حقها بقدر المساحة التي كانت متاحة لهم وأيضاً الميزانيات التي كانت

مخصصة لقطاع التعليم"[١٧٦] ونذكر هنا بعض المدارس التي فتحت في العهد البريطاني في مناطق البلين.

أولا: المدارس التي كانت تدرس باللغة العربية:

المدرسة الابتدائية بنين القسم العربي في مدينة كرن. المدرسة الابتدائية بنات في كرن.

المدرسة المتوسطة في مدينة كرن. مدرسة بركنتيا الابتدائية. مدرسة حلحل الابتدائية.

ثانيا: المدارس التي كانت تدرس بالتجرنية:

المدرسة الابتدائية بنين قسم تجرنية في كرن. مدرسة حليب منتل الابتدائية.

ومدرسة حديش عدي الابتدائية. مدرسة واس دمبا الابتدائية.

مدرسة دقي عندو الابتدائية. ومدرسة عيلابرعد الابتدائية.

من المعلمين الذين تولوا مسؤولية التدريس والمهام الإدارية في هذه المدارس من أبناء البلين الذين درس بعضهم في السودان ثم عاد والبعض الآخر درس في مدرسة آرت منستري في مدينة كرن سوف نذكر منهم هنا البعض على سبيل المثال لا الحصر سعد الدين محمد درملي، عبدالقادر محمد مركي، يوسف نبراي، بشير محمود خليفة، محمد حامد حمد، عمر موسى حاج، بره على شيخ، ادم محمد علي ملكين، حامد عثمان إقراو، محمد عثمان إدريس لجام، علي جامع ادم رباط، حسين عثمان لجاج وغيرهم أعداد كثيرة و أنّ كلا من يوسف نبراي وسعد الدين محمد قد تدرجا في السلم الوظيفي فوصل الأول إلى منصب رفيع في وزارة التعليم والثاني كان مفتشا تعليميا[١٧٧].

---

١٧٦ جابر سعيد – أرض الهرم وآخرون، القرى والمدن الإرترية ما بين الأمس واليوم : تجمع قبائل بيت طوقي، الحلقة الرابعة، مصدر سابق

١٧٧ محمد نور فايد، مصدر سابق، ص، ٣٢، ٣٣، ٣٤

بالإضافة إلى التعليم فقد أولت الإدارة البريطانية أهمية للمجال الصحي وأنشأت مدرسة التمريض في أسمرا التي تخرج منها أعداد مقدرة من عموم إرتريا ومن أبناء البلين وعملوا في المجال الصحي، كما شجعت المزارعين على استخدام الأساليب الحديثة في الزراعة وأمدتهم بالأسمدة والمبيدات الحشرية، وكثفت من تطعيم المواشي ضد الأمراض.[١٧٨] ومن الإيجابيات الأخرى التي ميّزت المرحلة البريطانية كذلك، حرية التعبير والخدمة الإعلامية النشطة باللغة الإنجليزية، والعربية، والتجرنية، وظهور مفاهيم ديمقراطية، وانبثاق أحزاب سياسية.[١٧٩]

اعتمدت الإدارة البريطانية اللغتين العربية والتجرنية في معاملاتها بجانب اللغة الإنجليزية وكانت اللغة العربية والإنجليزية لغتي التعليم في مناطق المسلمين، والتجرنية والإنجليزية في مناطق المسيحيين، وهنا بدأ الانقسام بين البلين على أساس ديني فكانت المدارس في مناطق المسلمين تدرس باللغة العربية والإنجليزية وفي مناطق المسيحيين كانت تدرس بالتجرنية والإنجليزية وكانت الإدارة البريطانية ترمي من وراء هذا التقسيم إلى تنفيذ مشروع سياسي أعدته سلفاً لتقسيم الشعب الإرتري وفق خطوط دينية، بحيث يسهل إلحاق المقاطعات الإسلامية الثلاثة المعروفة آنذاك بالقسم الغربي (كرن وأغردات ونقفة) بالسودان الإنجليزي المصري، وإلحاق المرتفعات المسيحية والقسم الشرقي بما فيه مينائي مصوع وعصب بالإمبراطورية الإثيوبية. إلاّ أنّ هذا المشروع لم يجد أي قبول من الإرتريين وعلى الرغم من أن مشروع التقسيم في إرتريا قد وُئِدَ في مهده إلا أنه قد أسس لعملية سياسية غير مريحة في إرتريا بشكل عام وإن آثارها السلبية كانت مؤثرة في سيرورة قومية البلين بسبب انتمائها للديانتين بنسب متفاوتة وهذا الأمر لم يكن موجوداً في القوميات الأخرى كما سيأتي توضيحه لاحقا.

---

١٧٨ تسفاي، ألم سقد، *فيدرالية إرتريا مع إثيوبيا*، مرجع سابق، ص، ٢٣٢ و ٢٣٦. وسبي، *تاريخ إرتريا*، مصدر سابق، ص ١٨١

Saleh, Mohamed Ahmed ***The Analysis of the Islamic Education Curriculum and its implementation in private secondary schools of Eritrea***. Unpublished research submitted to faculty of Education International Islamic University Malaysia as requirement of master degree, 2004. p 3-4.

١٧٩ برخت هبتي سلاسي وآخرون، *وراء الحرب في إرتريا*، مصدر سابق، ص ٤١ – ٤٢

البلين في فترة تقرير المصير في إرتريا

بعد دخول إرتريا تحت الإدارة البريطانية بدأ الحراك السياسي وفي نفس الوقت بدأت تتمايز الخطوط السياسية في إرتريا، وتتوجه نحو تشكيل مسارين سياسيين مختلفين سيطرا على الأحداث السياسية في إرتريا لاحقا والتياران الرئيسان المختلفان في رؤيتهما لمصير إرتريا هما تيار الوحدة مع إثيوبيا، وتيار الاستقلال الذي كانت تمثله الرابطة الإسلامية. كانت هناك أحزاب صغيرة تدعم هذا الطرف أو ذلك وكان الصراع بين التيارين الرئيسين شديداً وحاداً إلى حد العنف والتصفيات الجسدية.

من الناحية الاجتماعية إن اتجاه الاستقلال الذي كانت تمثله الرابطة الإسلامية، وكانت قاعدته الجماهيرية من المسلمين في المنخفضات والمرتفعات الإرترية كما كان لها تحالفات مع بعض الزعامات الوطنية من المسيحيين. أمّا اتجاه الانضمام إلى إثيوبيا فكان بقيادة حزب الوحدة، وكانت الغالبية العظمى لعضويته من المسيحيين في المقاطعات الثلاثة حماسين وسراي وأكلي قوزاي وكان معهم أيضاً بعض الزعماء من المسلمين.

هذه الانقسامات لم تكن بعيدة من التأثيرات الدينية والثقافية، فكان حزب الرابطة يرى أنّ الانضمام إلى أثيوبيا النصرانية سوف يضر بهوية مسلمي إرتريا، بينما كان يرى حزب الوحدة مع أثيوبيا أن الاتحاد مع إثيوبيا عامل قوة للمسيحية والمسيحيين في المنطقة، وسوف يعود إليهم بمكاسب سياسية، ودينية، واقتصادية، واجتماعية، وعلى الرغم من أنّ الطرف المسيطر في حزب الوحدة مع إثيوبيا كانوا من المسيحيين، وفي تيار الاستقلال المسلمون إلاّ أنّ هذا لا يعنى خلو الأوّل من المسلمين انضموا إليه لأغراض مختلفة والثاني من المسيحيين الوطنيين. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا أين كان موقع البلين من التيارين؟ لقد بذل الاتجاهان أقصى ما يستطيع لكسب البلين لمشروعه، فقد ركز حزب الوحدة مع أثيوبيا حملته مبكراً وسط المسيحيين الترقي والنقد مستخدما بصورة مبالغ فيها البعد الديني

وعلاقة أصول هذه المجموعة بالأجو في إثيوبيا [١٨٠] وبناءً على هذه الاستراتيجية استطاع الحزب أن يكسب غالبية ذلك القطاع من البلين إلى جانبه. أمّا الرابطة الإسلامية فقد عقدت قياداتها الاجتماع التأسيسي في مدينة كرن حاضرة البلين في الثالث من ديسمبر ١٩٤٦م وأُعلن رسميا في هذا الاجتماع عن ميلاد حزب الرابطة الإسلامية. ثم عقد عقب ذلك الاجتماع مؤتمر موسع في الفترة من ٢٠-٢١.. يناير.١٩٤٧م حضره أكثر من ٣٠٠٠ مشارك من عمد القبائل، الأعيان، ورجالات الدين، والقيادات السياسية، وبعد مداولات موسعة وقعت الوفود على وثيقة الاتفاق، واختير السيد بكري الميرغنى رئيسا، وإبراهيم سلطان سكرتيراً للرابطة.[١٨١] وكان البلين المسلمون من أوائل من انضموا إلى تشكيل الرابطة، يقول مكائيل قابر: بعقد الرابطة مؤتمرها في كرن وبترشيح السيد بكري الميرغني لرئاستها وجعل مقرّها الرئيسي في كرن فهي بذلك ضمنت كسب البلين المسلمين وخاصة بيت طوقي،[١٨٢] على العموم كانت السيطرة في مناطق بيت طوقي للاستقلاليين بينما الوحدويون كان لهم تأثير في وسط قبائل السنحيت وخاصة المسيحيين منهم.

هكذا انقسم البلين بين تيارين متضادين في رؤيتهما لمصير إرتريا انطلاقا من الأبعاد الدينية والثقافية الأمر الذي كان له تأثيرات سلبية في وحدة قبائل البلين التي كان يشهد لها بالانسجام عبر التاريخ و في مسارات تطوّراتها اللاحقة سياسيا واجتماعيا وكان مرد هذا التأثير يعود إلى كون قومية البلين ينقسم أفرادها بين الديانتين بنسب متفاوتة بخلاف القوميات الأخرى التي ينتمي غالبية أفرادها إلى إحدى الديانتين، فعلى سبيل المثال كان كل المتحدثين بالتجري والساهو والعفر والحدارب والباريا كلهم مسلمين مع استثناءات قليلة هنا أوهناك، والتجرنية هم مسيحيون ما عدا الجبرتا ولذا لم تحدث انقسامات بينية بين هذه القوميات كما حدث في البلين على المستويين السياسي والاجتماعي، فانقسم البلين من

---

180 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٦٠

١٨١ المصدر السابق، ص ٢٢٤

182Michael Ghaber , Op.Cit.p. ٦٠ .بشئ من التصرف

الناحية السياسية بين تياري الاستقلال والوحدة وفي الوقت نفسه هناك بعض العناصر من البلين انضموا إلى الحزب الموالي لإيطاليا إمّا كرها للاصطفاف وراء الحزبين أو طمعا في العائد المادي الذي كان يتمتع به الحزب الموالي لإيطاليا والذي كان مقره الرئيسي أيضاً في كرن.

إن التنافس بين الحزبين الرئيسين حزب الوحدة و الرابطة الإسلامية في كرن وضواحيها كان تنافسا شديداً[١٨٣] استخدمت فيه جميع الوسائل الترغيبية والترهيبية لأن كرن وضواحيها كانت تعتبر للطرفين الكفة المرجحة لمشروعه وضمن هذا السياق تعرض البلين إلى ضغوط من الطرفين أو وجد البلين أنفسهم بين خيارين يتعذر اختيارهما مجتمعين فخيار الوحدة مع أثيوبيا يراه المسلمون من البلين مشروعاً مسيحياً لا يمكن الانضمام إليه، وبالمقابل أنّ المسيحيين منهم كانوا لا يستسيغون مشروع الرابطة لأن فيه الصبغة الإسلامية ومن هنا جاء انقسام القومية بين الاتجاهين اللذين يدعو أحدهما للاستقلال الكامل لإرتريا والثاني للانضمام إلى إثيوبيا، وبما أنّ الأخير كان يمثل المطالب الإثيوبية في إرتريا فإنّه استفاد من الوسائل المادية، والسياسية، والعسكرية الإثيوبية وشن حملة واسعة من العنف والإرهاب ضد قيادات الاستقلال وخلفياتهم الاجتماعية، وخاصة عندما اشتدت مقاومة الاستقلاليين للتوسع الإثيوبي ونتيجة لتلك الممارسة راح ضحيتها قادة من الاستقلاليين، كعبد القادر كبيري وغيره، وجرت عدة محاولات لاغتيال ولدآب ولد ماريام، ودقيات حسن علي، والحاج إمام موسى وآخرين.[١٨٤]

وقعت محاولات لبث الرعب وسط قبائل بيت طوقي للتراجع من دعم الاتجاه الاستقلالي فعلى سبيل المثال في عام ١٩٥٠م جاءت عصابات الشفتا إلى حلحل، وكان هدفها النهب وبث الرعب وسط قبائل بيت طوقي التي كانت تتبنى اتجاه الاستقلال. وقبل تنفيذ الشفتة عملياتهم رآهم أحد المواطنين وهو موسى إدريس طراي وهم مختبؤن خلف إحدى التلال

---

١٨٣ المصدر السابق، ص، ٦١

١٨٤ تسفاي، *لن نفترق نشوء الحركة السياسية في إرتريا*، مصدر سابق، ص٢٠٤-٢٠٥

ينتظرون المساء لتنفيذ العملية في الظلام، فأبلغ موسى طراي السكان وسرعان ما اجتمع السكان استعداداً للمواجهة حاملين ما يملكونه من الأسلحة البيضاء والنارية وكان الكثير منهم قد عمل مع الجيش الايطالي ويعرفون فنون القتال. وعندما رأت عصابة الشفتة تلك الأسلحة والاستعدادات هربت إلى ما وراء كرن واحتفل الناس بهذه المناسبة وتم إطلاق العيارات النارية في الهواء. وإن كانت هذه الحادثة رادعة للشفتة إلا أنها في نفس الوقت كشفت عن كمية الأسلحة التي كانت في حوزة السكان والتي لم تكن معروفة للجهات الرسمية حتى تلك الفترة والتي قامت بحملة واسعة لتجريد المواطنين من هذا السلاح بعد تلك الحادثة [١٨٥]، والجدير بالذكر هنا أن كثيراً من المجندين الإرتريين كانوا قد عادوا إلى قراهم بأسلحتهم بعد هزيمة إيطاليا في إرتريا، على كل هذه الحادثة عرفت محليا بشفتا ود طراي.

تزايدت التأثيرات الإثيوبية بعد ربط إرتريا فيدراليا مع إثيوبيا في الخمسينيات من القرن الماضي في سياسة الأحزاب وفي انتخاب أعضاء البرلمان في إرتريا فكان نصيب البلين في البرلمان عضوين يمثل أحدهما الطوقي والثاني الترقي. فالطوقي لم يواجهوا مصاعب كثيرة في انتخاب كوليري عبي محمد ندل كممثل لهم في المجلس التشريعي ما عدا تنافسا سياسيا من بعض الشخصيات وكان التنافس على المستوى السياسي ولم يأخذ البعد القبلي ولذا استطاع كوليري عبي التغلب عليها وأصبح ممثل بيت طوقي دون منازع يذكر للمرحلة الفيدرالية كلها إلى أن ألغي النظام الفيدرالي عام ١٩٦٢م.

كان كوليري عبي يتمتع بأخلاق عالية وحكمة وبصيرة، هادئ الطبع واثق من نفسه، مؤثر يعرف دقائق وتفاصيل قبائل بيت طوقي التي كان يمثلها وقد أدار المنطقة بطريقة سلسة وحكيمة، ومن الناحية السياسية كان داعما لاتجاه الاستقلال وبعيداً من حزب الانضمام وحتى بعد تفكيك الأحزاب الاستقلالية في الانتخابات الأخيرة ورد اسمه ضمن القوائم

---

١٨٥ صالح كسوراي، المقابلة، مصدر سابق. بشئ من التصرف

المستقلة خلافا لممثل الترقي الذي كان يترشح دائما ضمن قوائم الانضمام "الأندنت" كما سيأتي توضيحه لاحقا، ومن الأخطاء التي ارتكبتها كوليري عبي لاحقا عدم مداراة الجبهة بعبارة أخرى أنه لم يكن معها وفي الوقت نفسه لم يكن ضدها وبناءً عليه أنه قتل ظلما من قبل الجبهة كما جاءت تبرئته في بيان جبهة تحرير إرتريا الذي سيأتي تناوله لاحقا.

لم يكن الأمر بهذه السهولة في انتخاب السنحيت ممثلهم في البرلمان فأشتد التنافس بين مكوّناته المختلفة وفي الأخير اتفقوا على ستة ممثلين، أربعة من الترقي، إثنين من النقد، على أن يختار الستة واحدا منهم وبما أن عدد االترقي كان أربعة مقابل اثنين فقد انتخب سفاف هيابوا لعضوية البرلمان وقد شعر النقد أنّ فرصة انتخاب أحدهما في تلك المعادلة شبه معدومة. وبناءً على ذلك ربما بدر منهم ما يوحي بتحولهم للتحالف مع الطرف المناوئ لحزب الوحدة. ومن هنا جاء اتهامهم من قبل زعامات الترقي الذين كانوا ينتمون إلى معسكر الوحدة مع إثيوبيا بتغيير النقد ولاءهم إلى حزب الرابطة.[١٨٦]

المشكلة لم تتوقف بين ممثلي الترقي والنقد في المرحلة الثانية بل انتقلت إلى تنازع زعامات الترقي الثلاثة المعروفين والمقربين من حزب الوحدة مع إثيوبيا في التمثيل، والزعماء المتنازعون هم أمبابي هبتي وسفاف هيابو وإدريس لجام، رفض إدريس لجام إعادة انتخاب سفاف هيابو وأعلن دعمه لمنافسه همد إبراهيم نبراي المعارض لحزب الوحدة والقريب من الرابطة. وهنا تحرك كل من أمبابي هبتي وسفاف هيابو واتفقا مع أسفا ولد مكائيل الذي أصبح لاحقا حاكم إرتريا لإقناع النقد بعدم دعم همد نبراي مقابل إعطائهم عمودية مستقلة من الترقي فلم ينتخب همد نبراي ووجد النقد ما وعدوا به فكان يوسيف محطون أول عمدة (سيم) للنقد وبهذا وصل عدد العمد (السيم) إلى سبعة في الترقي والنقد وإلى تسعة في الطوقي[١٨٧] فإن عموديات الترقي الآن حسب ما أورد الأستاذ محمد نور فايد هي عموديتان لبيت

186 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٦١-62

187 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٦١-62

قبرو، وعمودية لكل من أسقدوم، سليمون، زمات، إيدكل، وحديمبس، وسكينايت، والقبائل التي ليست لها عموديات هي لمطّلي، بقدّاي، قدلوم، أشكح، دبرو.[188]

أمّا عموديات بيت طوقي فهي:

عمودية سمرعين كنتيباي عثمان حمد داير وبعده ابناؤه بالتوالي صالح ثم محمد بخيت.

قبشا كنتيباي محمد عبد الله ثم ابنه أحمد محمد عبد الله.

طفع كنتياي إبراهيم محمد على وخلفه ابنه موسى.

لامديري جمع سليمان ثم ابنه محمد نور.

تسأن كنتيباي بشير فكاك ومن بعده عبد القادر خليفة محمود.

حريش كنتيباي محمد عامر ثم ابنه حسن محمد عامر.

دانشيم كنتيباي محمد إبراهيم الحاج.

طنفاي كنتيباي محمود محمد قبيل ثم ابنه عبد الرحيم.

جنقرين كنتيباي محمد جمع ناشح ثم ابنه حسن محمد جمع.

إن منصب العمدة في تلك الفترة كان مهما من الناحية الاجتماعية كما كان مغريا من الناحية المادية فكان العمدة يأخد ١٠% من الضرائب التي يجمعها من أفراد قبيلته وكان القانون يفرض على أي فرد دفع ضريبته إلى زعيم قبيلته وحتى وإن كان يسكن في منطقة بعيدة من منطقة وجود العمدة، وإن ربط دفع الضريبة بالنظام القبلي دون الإدارات المحلية كان قد خلق بعض الصعوبات والتعقيدات الإدارية والخلافات الاجتماعية وبقي هذا النظام المعقد

---

١٨٨ محمد نور فايد، مصدر سابق، ص، ٦٨

حتى بداية مرحلة الكفاح المسلح.[189] وعندما جاءت الثورة الإرترية ألغت هذا النظام وأبدلته بلجان محلية، فإن كثيراً من الزعامات فقدت الميزات التي كانت تتمتع بها في السابق فانتقل البعض منهم إلى المناطق التي كانت تحت الإدارة الإثيوبية وبدؤوا يعملون معهم ضد الثورة أو هكذا فهموا، وإن جبهة التحرير الإرترية لم تتوان في تصفيتهم ومن أشهر الذين صفتهم الجبهة من زعامات البلين كوليري عبي محمد ندل الذي سبق تناول سيرته، وفيتوراري يوسيف محطون، من السنحيت النقد.

الباحث حتى الآن لا يملك أي معلومات عن حيثيات اتهام وقتل يوسيف محطون، أمّا عن كوليري عبي محمد ندل وحسب بيان رد الاعتبار الذي أصدرته جبهة التحرير الإرترية مؤخراً فإنها تبرئه من أي عمالة لإثيوبيا، وإنّ قتله ومعه الذين ذكرت أسماؤهم في البيان المشار إليه كانوا من ضحايا الأخطاء والتجازوات التي ارتكبتها الثورة. وجاء في بيان رد الاعتبار "نحن قيادة جبهة التحرير الإرترية نؤكد بأنّه آن الأوان لتقييم تلك التجربة الكبيرة بكل ما تنطوي عليه من إيجابيات وسلبيات بهدف تصحيح أخطائنا بشجاعة المناضلين معتمدين على الحقائق، مؤكدين على ضرورة التمسك بمبدأ العدالة وإنصاف هؤلاء الوطنيين الذين تعرضوا للظلم وتشويه السمعة، لهذا فإنّ قيادة جبهة التحرير الإرترية تقرر : رد الاعتبار للمواطنين التالية أسماؤهم وذلك بنفي كافة التهم الظالمة التي وجهت إليهم :- الشيخ حامد فرج رئيس برلمان إرتريا السابق، الشيخ صالح سيدنا مصطفى ودحسن، والشيخ عمر بن الشيخ محمد بن الشيخ عمار، الشيخ الناظر عثمان عبدالرحمن شفراي، الشيخ ابراهيم شوم حمد، **والشيخ كوليري عبي**، والشيخ السيد محمد طاهر الحبابي، والشيخ عمر حسنو، والشيخ كرار أبو أركيت، والسيد سيلا أبيل مدير مدينة بارنتو السابق، والسيد عمر محمد على أبو أري، والسيد عبدالغني عثمان محجب، والعمدة على آدم عمير."[190] ويمضي البيان إلى اعتبارهم جميعهم شهداء الوطن والثورة ودعت جهات الاختصاص التعامل معهم بهذه الصفة وأن يجري عليهم

189Michael Ghaber , Op.Cit.p.-62

١٩٠ بيان صادر عن اللجنة التفيذية لجبهة التحرير الإرترية، بتاريخ ٢٤-٥-١٩٩٢م

الإجراء والتعامل المعمول به لكل الشهداء. ومما سبق فإن كوليري عبي محمد ندل لم يكن مع أو ضد الجبهة ولم يرتكب أي جريمة تستوجب القتل وبناءً عليه قتل ظلما. ويمكن الإشارة إلى ثلاثة ملاحظات في البيان:

الأولى أنّ البيان صدر عام ١٩٩٢ م وهو تاريخ متأخر كثيراً من الناحية السياسية لأنّ تلك الأخطاء ترتب عليها أمور أخرى من تشويه السمعة ومصادرة أموال وغيرها وأنّ تلك الإجراءات لم تكن متوقفة في حدود تلك الشخصيات التي ارتكبت الجبهة الخطأ في حقهم بل تعدى تأثيرها السلبي إلى عائلاتهم، من هنا لو كانت الجبهة أعلنت براءتهم مبكراً لما ترتبت عليه تلك التبعات أمّا من الناحية الأخلاقية فإنّ تلك الخطوة ولو جاءت متأخرة هي في الاتجاه الصحيح.

الملاحظة الثانية: أنّ الأسماء الواردة في البيان هي من أقاليم قاش وبركة وسنحيت والساحل دون الأقاليم الأخرى فهل لم ترتكب في تلك الأقاليم الأخرى أيّ أخطاء أم ماذا؟

الملاحظة الثالثة هي للتوضيح فقط أنّ الجبهة في تلك الفترة كانت قد تفككت إلى عدة فصائل فالجهة التي أصدرت هذا البيان هي جبهة التحرير الإرترية بقيادة عبد الله إدريس محمد.

عندما دخلت هذه المناطق تحت الاحتلال الإثيوبي، فإن الإثيوبيين أيضاً لم يتعاملوا مع العموديات القائمة بل أنشؤوا نظاماً إدارياً مختلفاً يتكوّن من هيكل إداري يقسم البلاد إلى مقاطعات وأقاليم ومحافظات وأحياء في المدن والقرى في الأرياف فعلى سبيل المثال نجد إقليم كرن في عهد الدرق كان يتكوّن من ثلاث محافظات ومديرية كرن، والمحافظات كانت محافظة عيلابرعد، ومحافظة حقات، ومحافظة حلحل، وكانت كل محافظة تنقسم إلى قطاعات إدارية تسمى "قبلي" ويكون على رأسها شخص من أبناء البلد كما كان لكل محافظة

ممثلون من أبنائها في المجلس الإقليمي، فعلى سبيل المثال كانت محافظة حلحل تشمل مناطق بيت طوقي والماريا وكان يمثلها في البداية محمود حزوت من عد حزباي وبعد أن سجن بتهمة تعامله مع الثورة خلفه محمد حامد أبوبكر يونس من آل سمرعين والذي اختطفته الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا عام ١٩٨٨م ولايعرف مصيره حتى الآن ومن الشخصيات التي عملت في الإدارات المدنية، هداد كرار الذي وصل إلى نائب حاكم إرتريا في بعض الأوقات، وعمر موسى حاج كما مثل كل من عثمان كنتيباي، وبيني تولدي إقليم كرن في البرلمان الإثيوبي في عهد هيلي سلاسي، ومن الذين عملوا أيضاً في الجهاز المدني عافة قبري، حسين عثمان لجاج، وآخرون.

الفصل الخامس

دور البلين في الثورة الإرترية

- حركة تحرير إرتريا

- جبهة التحرير الإرترية

- الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا

- دور المرأة البليناوية في المجتمع والثورة

- المصادر الاقتصادية للبلين

حركة تحرير إرتريا

منذ دخول النظام الفيدرالي بين إرتريا وإثيوبيا إلى حيز التنفيذ، بدأت أثيوبيا في إلغاء مقوماته تدريجيا بدءاً بمصادرة حرية الصحافة، وحل الأحزاب السياسية، ومنع أيّ نشاط سياسي في إرتريا. وأصبح ظاهراً للعيان أنّ إنهاء الفيدرالية وضم إرتريا إلى إثيوبيا رسمياً كانا مسألة وقت فقط، قابل الشعب الإرتري التغول الأثيوبي على النظام الفيدرالي بمقاومة شرسة، واضطر كثير من ساسة الانضمام إلى إثيوبيا لمراجعة مواقفهم بسبب تلك الإجراءات الإثيوبية التعسفية. وبهذا أصبحت الأمور تتجه نحو التماسك الداخلي، وبدأ العقد مع أثيوبيا ينفرط بعد وصول القضية الإرترية مرة أخرى إلى نفق مظلم، ووصول النضال السياسي فيها إلى طريق مسدود، وتهيأت الأجواء لمرحلة جديدة وهي ميلاد ثورة لمقاومة الاستعمار.

في ظل تلك الأجواء القاتمة ولدت حركة تحرير إرتريا بتاريخ ٢-١١-١٩٥٨م في مدينة بورتسودان، ووظفت الظروف الموضوعية، والسياسية، والجماهيرية التي كانت سائدة وقتئذٍ بصورة جيّدة لصالح القضية، ولعبت الحركة دوراً وطنياً رائداً في نشر الوعي السياسي، وتعبئة الجماهير ضد نظام الإمبراطور هيلي سلاسي.

بذلت عناصر حركة تحرير إرتريا جهوداً حميدة لصهر المسلمين والمسيحيين في بوتقة وطنية واحدة، الأمر الذي كان له دور إيجابي في مرحلة الكفاح المسلح التي تلت تلك المرحلة وقد تفاعل معها أبناء البلين من البداية ومن أهمّ قيادات الحركة ومؤسسيها من أبناء البلين:

صالح أحمد إياي وكان صالح إياي أحد السبعة الذين أسسوا الحركة في بورتسودان وهم محمد سعيد ناود، وإدريس محمد حسن، وحسن حاج إدريس، وعثمان محمد عثمان، وياسين

محمد صالح عقدة، ومحمد الحسن عثمان سدود، وصالح أحمد إياي، وحبيب قعص[١٩١] وكان صالح إياي المشرف المباشر على فروع الحركة في سنحيت، والساحل، وبركة، والقاش.

انتظم أبناء البلين في تشكيلات الحركة السرية في فروعها المختلفة وخاصة فرعها في السنحيت وكان عددهم فيها كبيراً حسب ما أورده محمد سعيد ناود في كتابه حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ[١٩٢] وللتمثيل فقط نذكر هنا بعض الأسماء المعروفة منهم - الشيخ سعد الدين محمد، عمر حاج إدريس، صالح حمدي، سليمان موسى حاج، عبده كرار، كنتيباي حامد سمر العول، أبوبكر محمد عبد الله جميل، محمود جنجر، عثمان نبراي، كنتيباي بشير فكاك، هداد كرار، آدم ملكين، إدريس حنيت، إبراهيم قبرربي، بشير خليفة محمود، يوسف نبراي، حسين عثمان لجاج، عبد الله كرار، آدم لجام، على جامع آدم رباط، جمع آدم رباط ألخ... والقائمة تطول.

أما الفرع الثاني الذي كان عددهم فيه كبير كان فرع السودان بحكم وجودهم هناك وإن وجود البلين بأعداد كبير في السودان يعود إلى بداية الخمسينات في عهد الإدارة البريطانية وبالتحديد في عامي ١٩٥١ – ١٩٥٢م التي استقطبت فيه ما يقارب ٦٠٠٠ عامل في كل عام من حلحل وضواحيها للعمل الموسي في مشاريع القطن في الحصاحيصا ودمدني ومناطق أخرى في السودان وإنّ البعض منهم استقر هناك.[١٩٣] إضافة إلى أنّ أعداد غير قليلة من هذه المنطقة والمنطقة الغربية من إرتريا كانوا يعملون في جيش الدفاع السوداني ومن المجموعتين العاملة في المشاريع القطنية أو العاملين في الجيش السوداني إنضمت منهم أعداد مقدرة إلى تشكيلات الحركة في السودان عند تأسيسها استناداً أيضاً لما أورده ناود في كتابه الذي سبق الإشارة إليه مثل عمر حامد إزاز، يس محمد على، حشال عثمان، قبرو يقين، يوسف مسوكر، محمد آدم قصير وآخرين.

---

١٩١ محمد سعيد ناود، *حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ*، ص٤٣ وما بعدها

١٩٢ محمد سعيد ناود، حركة تحرير إرتريا الحقيقة والتاريخ، ص.٩٠-١٠٤

193 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٦٣

مما سبق تناوله كان لأبناء البلين دور مشهود في الحركة الوطنية الإرترية في مرحلة تقرير المصير والمرحلة الفيدرالية وعند وصول القضية الإرترية مرة أخرى إلى طريق مسدود كانوا على رأس المبادرين للانتقال إلى المرحلة الأخرى وهي مرحلة الثورة والمقاومة التي بدأتها حركة تحرير إرترية عام ١٩٥٨ م في طورها السري وأعلنتها للملأ جبهة التحرير الإرترية في بداية الستينيات القرن الماضي.

جبهة التحرير الإرترية

عندما تدهور الوضع الاقتصادي، وازداد الاضطهاد السياسي في خمسينيات القرن العشرين، اضطرت أعداد كبيرة من الإرتريين بما فيهم أبناء البلين للهجرة إلى الدول المجاورة، وخاصة السودان، ومصر، والمملكة العربية السعودية، بحثا عن فرص عمل، أو تعليم، أو عن أماكن أكثر أمنا بالنسبة للنشطاء السياسيين، فقد وصل إلى القاهرة كل من إبراهيم سلطان علي رئيس الرابطة الإسلامية والكتلة الاستقلالية، وإدريس محمد آدم رئيس البرلمان الإرتري ١٩٥٥م، وولدآب ولد ماريام رئيس حزب إرتريا المستقلة ورئيس اتحاد عمال إرتريا[١٩٤]. كما وصل إلى القاهرة أيضاً عدد غير قليل من الأرتريين سواء كانوا سياسيين أو طلاباً وكان وقتئذٍ يسيطر على الجو العام العالمي في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية المد الثوري، وأفكار التحرر الوطني من الاستعمار. كانت القاهرة في تلك الفترة تعج بزعماء تلك الثورات التحررية في العالم، الأمر الذي شجع الزعماء الإرتريين أن يحذوا حذو تلك الثورات التحررية[١٩٥].

ففي يوليو ١٩٦٠م كان ميلاد جبهة التحرير الإرترية في القاهرة، ورشح إدريس محمد آدم رئيسا لها وكان من ضمن المؤسسين التسعة اثنان من البلين هما آدم محمد على أكتي وإبراهيم أحمد الملقب بالبليناي[١٩٦]، في يوم ١٩٦١/٩/١م أطلق القائد حامد إدريس عواتي ورفاقه

---

١٩٤ إيلوس، *ارتريا مشكلة الوحدة الوطنية*، مصدر سابق، ص ٩٠

١٩٥ المصدر السابق، ص. ٩٠-٩٣

١٩٦ أنظر إلى مقابلة سيد محمد أحمد هاشم، مصدر سابق.

الطلقة الأولى على العدو في جبل أدال في المنطقة الغربية لإرتريا[١٩٧] معلنا بذلك بداية الكفاح المسلح، وفشل جميع المحاولات السياسية من الداخل، ومتحدياً النظام الإثيوبي.

كانت أهمّ أهداف جبهة التحرير الإرترية كما جاء في ميثاقها الأوّل:

- استقلال إرتريا استقلالاً كاملاً، وإقامة جمهورية إرترية في حدود إرتريا الحالية.
- وضع سياسات اقتصادية سليمة تستهدف رفاهية الشعب الإرتري.
- القضاء على كل النظم الاقتصادية التي خلفها الاستعمار.
- وضع سياسات تعليمية جديدة تتفق والتراث القومي (الإرتري) وتؤكد اعتماد اللغة العربية والتجرينية كلغتين رسميتين في إرتريا.
- تصفية النفوذ الاستعماري والصهيوني تصفية تامة واستئصاله من جذوره.
- انتهاج سياسية التحرر في الداخل والخارج[١٩٨].

ظل عواتي قائداً لجيش التحرير حتى وافته المنية في مايو عام ١٩٦٢م، ولم يعلن الثوار وفاته إلا متأخراً حتى لا يؤثر في مسيرة الثورة، ومعنويات المناضلين.[١٩٩] ولما كانت الجبهة تعبر عن إرادة الشعب في مقاومة الظلم فقد التحق بها عدد من الإرتريين العسكرين العاملين في الجيش السوداني، وأفراد من الشرطة الإرترية[٢٠٠] وخاصة من منطقة السنحيت يقول معاصروا تلك الحقبة إنّ "سكان منطقة سنحيت من أبناء الطرق، الطوق، الماريا، المنسع، البيتجوك كان لهم القدح المعلى في إرتياد مواقع العلم طلابا كانوا أو معلمين عند بدء التعليم النظامي بالوطن، أما مساهماتهم الوطنية قطعا لا تحتاج إلى من يزكيها أو يؤكدها، لأنهم كانوا دائما هناك في مقدمة الصفوف المدافعة عن الحق الوطني، كما كانوا

---

١٩٧ تركي، **إرتريا والتحديات المصيرية**، مصدر سابق، ص ٣٠٧

١٩٨ نقلا من المصدر السابق، ص ٣٠٥

١٩٩ المصدر السابق، ص ٣٠٨

٢٠٠ إبراهيم محمد علي، مصدر سابق ص ٣٣-٣٤

ومازالوا بين حملة البندقية المناضلة المطالبة بإرساء دعائم العدل والأمن والسلام في ربوع الوطن المفدى، ومما زاد في إرتيادهم لها أنهم وجدوا فيها أحدى مهنهم المحببة للفروسية والقتال من أجل الأرض والعرض دون أن ينقصهم الحس الوطني الذي كان الدافع المباشر من وراء تسابقهم لحمل السلاح الوطني، فقد تواجدوا بكثافة عالية في أوساط الجيش الايطالى وفى ذات الوقت في قوة دفاع السودان أي مع (المحور والحلفاء)، وفيما بعد خدموا في الجيش الوطني السوداني، وبالتالي كانوا يشكلون أغلبية مقدرة في الدفعة الأولى والثانية والثالثة التي التحقت بجيش التحرير الارتري البطل بعد إنتهاء مدة خدمتهم في الجيش السوداني، وفيما بعد تزايدت أعدادهم بشكل ملفت في صفوف جيش التحرير الارتري البطل عندما تم تأسيس المناطق الإدارية، حيث كان منهم القادة الأشاوس الذين صالوا وجالوا في المرتفعات والمنخفضات الإرترية، وكان منهم أعداد كبيرة بين الفدائيين الذين برعوا في أداء تلك المهام التي تحتاج إلى الفطنة والذكاء قبل الشجاعة والثبات، أيضاً كان منهم قادة عظماء عملوا في مختلف المناطق الإدارية دونما إبداء تحفظ ما لجهلهم بطبيعة الأرض أو إنسانها في المنطقة الأولى والثالثة والرابعة والخامسة ووحدات أمن الحدود"[٢٠١] هكذا وقف سكان إقليم السنحيت مع الجبهة مع سكان المناطق الإرترية الآخرى وخاصة مناطق المنخفضات، وبهذا استطاعت جبهة التحرير الإرترية في وقت وجيز تعبئة الجماهير باتجاه الكفاح المسلح، واستقطبت أعداداً كبيرة من المقاتلين.

على الرغم من القلة في العتاد، والعزلة الخارجية فقد استطاعت الجبهة إثبات شرعية الثورة المسلحة في إرتريا بمجاهدات لا تلين لإرجاع حق الشعب الإرتري المسلوب، وطرد المحتل الإثيوبي من إرتريا. واعتمدت حرب العصابات سبيلا وتميزت عملياتها بالهجوم المفاجئ على مراكز العدو، واغتنام ما يحتاجه مقاتلوها من التجهيزات العسكرية والمدنية وتوسعت الجبهة عسكرياً، فشملت جميع مناطق الأرياف الإرترية وامتدت قاعدتها الجماهيرية إلى جميع

---

٢٠١ جابر سعيد – أرض الهرم وآخرون ، القرى والمدن الإرترية ما بين الأمس واليوم : تجمع قبائل بيت طوقي، الحلقة الرابعة، مصدر سابق

المدن الإرترية، ووصل صداها حتى إلى الإرتريين المقيمين في أثيوبيا ووجدت المساندة من الجاليات الإرترية في الخارج، كما وجدت دعما مقدراً من بعض الدول العربية، وأصبحت الثورة الإرترية معروفة على الصعيد الدولي والإقليمي، وخاصة في المحيط الجغرافي العربي. شأن البلين في ذلك شان القوميات الأخرى في المنخفضات الإرترية فقد انخرطوا في الجبهة منذ البداية مشتركين في التأسيس في قاهرة المعز وحاملين السلاح وناشطين في خلاياها الداخلية وكان لهم الأثر الهام فيما جرى من الأحداث والتطوّرات الثورية في الساحة الإرترية ولحقهم من ذلك ما لحق أقرانهم من العنت والمشقة ومن أبرز العناصر والقيادات التي لعبت أدوارا مهمة في سيرورة الجبهة وتقلدت مهمات ومسؤوليات في مختلف أجهزتها:

عمر حامد إزاز، محمد آدم قصير، حشال عثمان، عبد الله ديجول، قبرو يقين، علي جامع محمود، محمد عثمان داير، يس محمد على، عثمان صالح على، محمد عافة إدريس، آدم محمد علي أكتي، إبراهيم بليناي، محمود محمد على جنجر، عمر حاج إدريس، صالح إياي، يس محمد بره، محمد علي عبيلو، محمد إدريس عبيلو، عبد القادر رمضان علي شيك، إدريس رمضان إيلوس، إدريس هنقلا، حامد جمع حزوت، إبراهيم أري، صالح حيوتي، بخيت مركي، حامد أمحراي، آدم محمد علي ملكين، أمنة محمد علي ملكين، محمود ملكين، نسريت كرار، سعدية تسفو، دبروم طلوق، تسفاي تخلي، أحمد درماس، سليمان موسى حاج، صالح محمد فكاك، مسمر جمع، عثمان إدريس طلوق، أبوبكر طلوق، حامد إدريس نور، جابر حامد دافله، محمد نور حاج، محمد نور عثمان طلوق، محمد إدريس صالح طلوق، عثمان محمد نور (حف كف)، عبد الله أجاك، محمد إدريس دار، عبد الله عثمان داير، عبد الله محمود يونس، محمد آدم سعد الدين، يعقوب آدم يونس، محمد إدريس عبد الله يونس، سعيد عثمان إدريس هاكين، إبراهيم يوسف حزوت، محمد سعد الله، أحمد على طروم، اسماعيل أبوبكر جمع نصور، يونس محمد إبراهيم نادر، محمد أكد إدريس نور، حسن آدم على داير، حامد أبوبكر إسماعيل مركي، عبد القادر إبراهيم (بلع سعر) صالح موسى حزوت، إبراهيم محمد عمر نور، إبراهيم عثمان نافع،

إبراهيم رمضان موسى، على حجاي حامد، قبري قدوس عاشرا، ملكين إيلوس، ولديسوس عمار، بشير إسحاق، تولدي قبر سلاسي، أرهى حمدناك، زرؤ بيدو، قرسينا، بخيت حشليت،هبتي طيون تولدي لجام، محدرنصور، قبري مدهن لجام، ولداي فكاك، محاري ولدو، مبرهتو طقاي (قتأ) إبراهيم أبوبكر هبتيس، عمر أبوبكر هبتيس، رمضان محمد علي عشكراي، محمد إدريس محمد علي عشكراي، عبده محمد علي عشكراي، صالح محمد سليمان، محمد جمع محمد سليمان، آدم على نور عمر (قلوج)، جابر جنجر، عبد الله سعيد أري، عبد القادر كرار، جمع آدم طقير، يس رمضان، أحمد محمد شيكاي، محمد إدريس محمد نور (باشوب)، صالح على جامع محمد، عبد القادر محمد على حدقاي، صالح محمود عبد الله، عبد الله على جامع هبتيس، محمود أبوبكر شبول، محمود صالح فكاك (فكرس)، محمود صالح إدريس بره، سليمان نور بره، محمد عبد الله نافع، بشير نافع على بخيت قبيل، حجي نافع علي بخيت قبيل، صالح عثمان قبيل، إبراهيم بره، رمضان جمع، عمر علي بخيت محمد قبيل، إدريس علي حدمبس، صالح أحمد إبراهيم، سعيد احمد إبراهيم، يس جمع ناشح، حسن صالح، موسى أسناي، يس عمر حامد، إدريس حامد، عافة تكروراي، عبد الله صالح حامد، أدحنة إدريس سعيد، جعفر حامد دقاش، إسماعيل نور جمع، يس محمود حنجور، إبراهيم إدريس، عمر علي بخيت، محمد عبي فكاك، إسماعيل أبوبكر إزاز، محمد إدريس حمد، محمد علي آدم سوتلاي، إبراهيم العلي، محمود عمر إدريساي هاكين، حامد أحمد محمد عثمان، محمد نور أحمد محمد عثمان، عبده سعد، محمد أحمد جمع سليمان[٢٠٢]. وهناك آخرون كثر غير هؤلاء انضموا إلى الجبهة بالآلاف فعملوا في مختلف تشكيلاتها العسكرية جنوداً وقادة وفي مكاتبها السياسية والاقتصادية والعلاقات الخارجية وفي أجهزتها الأمنية وفي نشاطاتها السرية الداخلية وفي جهازها القضائي وفي منظماتها الجماهيرية كاتحاد الطلاب والعمال والنساء وغيرها فمنهم من قدم حياته من أجل حرية الوطن وكرامة إنسانه في مسيرة بطولية عظيمة ومنهم مازال

---

٢٠٢ يعود الفضل في جمع أسماء الناضلين في الثورة الإرترية لمحمد نور حاج ومحمد ميبتوت وسعيد أري و جمعة إسماعيل عثمان طلوق

منافحا من أجل الديمقراطية والعدالة والمساواة الاجتماعية والاستقرار، وسيذكر التاريخ دائما سجل شهداء وسير مناضلي جبهة التحرير الإرترية الخالدة ومناضلي كل فصائل الثورة الإرترية الأشاوس.

من ناحية أخرى هناك قطاع من الإرتريين المسيحيين بما فيهم بعض المسيحيين البلين من الترقي والنقد أظهروا عدم تحمس للتعامل مع الجبهة في بدايتها، بسبب تأثرهم بصراعات الأربعينات والخمسينيات والدعاية الإثيوبية التي كانت تصف وقتئذ جبهة التحرير الإرترية بأنّها أداة لقوى خارجية من العرب والمسلمين للتدخل في شؤون أثيوبيا الداخلية والهدف من ذلك كان تعبئة الرأي العام الخارجي والمحلي المسيحي لصالحها، وقد نجحت تلك الدعاية إلى حد ما في تحييد قطاع من المسيحيين البلين من التفاعل الإيجابي مع الثورة في مراحلها الأولى ومن ثمّ تجنيد عناصر منهم في قوات الكمندوز التي كوّنتها أثيوبيا من الإرتريين إبتداءً من عام ١٩٦٥م لمحاربة الثورة الإرترية، وعندما اتضح لهم بأنّ النظام الإثيوبي يستهدف الجميع دون تمييز، وفي تحول مفاجئ إنحازت غالبية تلك القطاعات بما فيها المجندين في الكمندوز إلى الثورة المسلحة وإلتحقوا بالجبهة في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات وسأورد هنا ملخص ما قاله مكائيل قابر في هذا الموضوع إذ يقول : "أن الغالبية العظمى الذين أنضموا إلى جبهة التحرير الإرترية من البلين في البداية كانوا من بلين بيت طوقي، والسبب في ذلك أن أعدادا كبيرة منهم كانوا يعيشون في المدن السودانية وكانوا أعضاء في الخلايا السرية لحركة تحرير إرتريا ثم في تشكيلات جبهة التحرير الإرترية، أما السنحيت (الترقي والنقد) والكثير منهم من المسيحيين الذين كانوا أعضاء في حزب الانضمام في الأربعينيات بقوا بعيدين عن التواصل مع الطوقي، وإن غالبية شباب البلين المسيحيين إمّا جندوا في الكمندوز لمحاربة الجبهة أو في المليشات التابعة لأثيوبيا إلى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات وعندما رأوا أن النظام الإثيوبي يقتل ويدمر دون استثناء انحازوا إلى الثورة الإرترية المسلحة" [٢٠٣].

---

203 Michael Ghaber , Op.Cit.p.٦٣

انتقل الكثير ممن كانوا في الكمندوز والشرطة والمليشيات إلى صفوف جبهة التحرير الإرترية وناضلوا في صفوفها وأبلوا بلاء حسناً في مسيرتها فمنهم من استشهد ومنهم من بقي مناضلا في صفوفها وعندما انقسمت الساحة الإرترية إلى تنظيمين رئيسيين هما جبهة التحرير الإرترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا إلى جانب تيارات أخرى أقل أهمية فإن غالبية أبناء البلين انحازوا إلى جبهة التحرير الإرترية، لكن هناك أيضاً ممن ناضلوا في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، وكان أغلبهم جنوداً عاديين أو قيادات عسكرية أو أمنية في رتب أدنى، فقط هناك شخصان وصلا إلى اللجنة المركزية كما سيأتي توضيحه وغيرهم لم يصل إلى المستويات العليا في القيادة كما وصل أخوتهم في جبهة تحرير إرتريا نذكر على سبيل المثال من الأسماء التي ناضلت مع الشعبية:

ولد قرزا، قرماي قرقيس المعروف (بـ شيخ زايد)، وبرهاني زرئي حقوص (طاوله)، باولوس يوهنس، ومحاري طنع، سعد محمد حامد أسفداي، عائشة محمود آدم عد عمد، حرقو ولد قرقيس، حجاي يقين، حجيت مندال، أبرهت قبري، إبراهيم إندول، عبده موسي ايتشلك، عبد الله ركا، إسماعيل أبوبكر يعقوب، بشير صالح محمد مركي، عثمان صالح إدريس إزاز، عبي موسى عمر، طاهر فقيه آدم، سليمان محمد عثمان، حسين نور محمد، علي سعيد نور محمد، محمد عمر صالح منادر، حسن آدم طلوق، إدريس نور محمد إبراهيم اسماعيل مركي، بشير حمد بخيت جمع مركي، محمد موسى إدريس سلطان، يس عثمان جمع عمديس، محمد حامد عمديس، عبد الرحمن آدم مسمر، عبد الله آدم مسمر، رمضان إبراهيم آدم القديناي، فرج محمد أحمد إبراهيم (طبع)، إزاز أبوبكر إزاز، أحمد محمد إبراهيم خليفة محمود، محمود عمر بره، بشير إدريس نور، الحاج عبد النور، حامد ضرار وآخرين.

الجدير بالذكر إنّ قرماي قرقيس وبرهاني زرئي حقوص هما الوحيدان من البلين اللذين وصلا إلى عضوية اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا فكان الأول قد رشح في عضوية اللجنة المركزية في المؤتمر الثاني للجبهة الشعبية عام ١٩٨٧م وخرج في المؤتمر

الثالث عام ١٩٩٤م من عضوية اللجنة المركزية، وجاء برهاني زرئي حقوص في هذا المؤتمر عضوا في اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير إرتريا، ويبدو أنّ ترشيحهما جاء ضمن التوازنات الاجتماعية التي دأبت الجبهة الشعبية إجراءها عبر مسيرتها وأقصد بذلك أنّ القيادات العليا في الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا هم من أبناء الهضبة وخاصة حماسين إضافة لأبناء البحر الأحمر، الأمر الذي عكس قلة التمثيل لمناطق ذات مساحة جغرافية واسعة وكثافة بشرية مهمة، البركة والقاش والسنحيت والساحل ولذا دأبت قيادات الجبهة الشعبية على أن تدخل شخصاً أو شخصين لكل من تلك المناطق في اللجنة المركزية لسد تلك الفجوة ولو ظاهرياً. يعتقد ضمن هذه المعادلة جاء كل من قرماي قرقيس وبرهاني في اللجنة المركزية، بعد التحرير عملا في عدة مناصب على سبيل المثال قرماي عمل كمسؤول لبلدية كرن ومحافظ لعيلابرعد ثم طاله التهميش ومرة أخرى عيّن حاكما لإقليم عنسبا ومنذ فترة اعتقل ولا يعرف مصيره حتى الآن.

آلاف من أبناء البلين بعد التحرير دخلوا في المؤسسة العسكرية عبر التجنيد الإجباري وقد تقلد البعض منهم رتبا عسكرية كما استشهد وجرح وأسر منهم أعداد كبيرة في المعركة الأخيرة بين إرتريا وأثيوبيا من عام ١٩٩٨-٢٠٠٠، كما يلاحظ تواجد أبناء البلين في القيادات المعارضة والمنظماة المدنية في الخارج بمختلف توجهاتها العلمانية والإسلامية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ولديسوس عمار، تولدي قبري سلاسي، بشير إسحاق، الحاج عبد النور، حامد إزاز، يونس عبد الله، عبد الله إسماعيل آدم وآخرين.

وبالعودة إلى مرحلة الثورة وما عانته هذه المنطقة من ويلات الحروب بين النظام الأثيوبي والثورة في مختلف مراحلها، وباعتبار ما تمثله هذه المنطقة من بعد استراتيجي ارتكزت عليها القوى الاستعمارية من الإيطاليين والإنجليز لبسط نفوذها عليها ثم تلتهم أثيوبيا بعد ذلك لنفس الغرض، كما أنّها كانت تمثل معقل الثورة و مناطق انطلاقها لضرب العدو الجاثم عليها، وعندما تصاعدت العمليات العسكرية ضد النظام الإثيوبي أصدر هيلي سلاسي

الأوامر لقواته المرابطة في إرتريا باستخدام القوة والعنف لسحق ما أسماهم بالمتمردين، وخلفياتهم الاجتماعية في المنخفضات الإرترية. شنت القوات الإثيوبية حملات إبادة ضد كثير من القرى ففي عام ١٩٦٧م أحرقت قرى عنسبا و باب جنقرين وسروا وحلحل وغيرها، يقول سعيد أري : "عند ما سمع سكان حلحل قدوم الكمندوز إلى حلحل بعد حرقهم قرى عنسبا وجنقرين هربوا إلى الجبال والغابات في سروا وعونا ومأتوت وغيرها وكانت الأله التدميرية تقوم بقتل كل ما تجده أمامها من البشر وتنهب المواشي وتحرق المزارع والبيوت، وأحرقوا جميع قرى حلحل بدءاً من أراس ومروراً بجنقنيت ومتكلأبي وماي أوالد إلخ، وبعدها عادوا إلى كرن وهم يسوقون معهم البهائم التي نهبوها"[٢٠٤] و أُرتكبت في هذه الحملة مجازر ضد المدنيين العزل واعتقل الكثير من المدنيين دونما تمييز، وأذاقوهم أقسى صنوف التعذيب في سجون الاحتلال، وفي نفس العام تعرض سكان رورا بيت قبرو لمذبحة راح ضحيتها ٤٨ شخصاً و سبعة آخرين بالقرب من قرية قلاس[٢٠٥] وبعد عودة الكمندوز من حيث أتوا عاد سكان حلحل إلى قراهم المدمرة وعمروها مرة أخرى إلّا أن الكمندوز عادوا عام ١٩٧٠م مرة أخرى وأحرقوا جميع قرى عنسبا وجنقرين وحلحل ونهبت أموالهم. في الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٧٠ احرقت جميع قرى البلين وماحولها ما عدا قريتي أشرا وفرحين، على سبيل المثال في نوفمبر ١٩٦٧م حشدت أثيوبيا قوات الفرقة الثانية مشاة في كرن والتي يبلغ قوامها ٧٠٠٠ جندي مسنودةً بسلاح الطيران فقامت بتدمير كامل لقرى عد نصور حافولاي حملمالو وازنتت، دكا، حمرت قوليا، جخلو، انطيناق، حشيشاي، دباق، ماشوا، ششو، فوا، أونجلي، بيت بجل، اشديرا، انكما، معركي، فنشبكو، إرده، أراس، باب جنقرين، حبوب، قار سقر قلجبا سروا، وغيرها قرى كثيرة[٢٠٦] راح ضحية هذه الحملات أعداد كبيرة من المدنيين العزل والممتلكات.

---

٢٠٤ سعيد أري فرج هو من سكان حلحل وشاهد عيان تلك المآسى، وهو الآن يعيش في السويد.

٢٠٥ . محمد نور فايد. مصدر سابق. ص، ١١١

٢٠٦ . أبو القاسم حاج حمد، *الأبعاد الدولية لمعركة إرتريا*، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٤. ص ١٣٣ وما بعدها

من المذابح الكثيرة التي يتردد صداها على مستوي الوطن إلى يومنا هذا في تلك الفترة مذابح كثيرة منها، حلحل، ورورا بيت قبرو وغيرهما، لكن أسوء المذابح التي ارتكبت في هذه المنطقة كانت مذبحتي بسكديرا وعونا عام ١٩٧٠م، عندما قوي عود الثورة وتزايدت ضرباتها كماً ونوعاً على قوات العدو وخاصة في صفوف القوات المعروفة محليا بالكمندوز وهي قوة خاصة متدربة تدريباً جيداً وكان المجندون فيها من الإرتريين المسيحيين الموالين لأثيوبيا كما سبق الإشارة إليه، وقد استعانت الحكومة الإثيوبية بخبراء إسرائيليين في تدريبهم لمحاربة الثورة[٢٠٧] وعندما فشلت هذه القوة والقوات الإثيوبية الأخرى المعسكرة في إرتريا في سحق الثورة. بدأ الجنرال تشومي إرقتو قائد الفرقة الثانية العاملة في إرتريا بترتيبات وخطط مختلفة للقضاء على الثوار في إرتريا واجتمع بقيادات الأفرع في العاصمة ثم توجه إلى كرن لكنه لقي حتفه ٢١-١١-١٩٧٠ في منطقة بالوا بالقرب من عيلا برعد في قرية قرططمت القريبة من هبرم قاخا على يد وحدة من الفدائيين مسنودة بثلاثة سرايا بقيادة كل من قبرهوت قبرماريام (ود حمبرتي) وعبد الله ديقول وعثمان أبو شنب، جن جنون العدو فقتل أكثر من ستين شخصا من المدنيين العزل في قرية قرططمت وهم في حلقة ذكر في ليلة من ليالي العيد. في يوم ٣٠-١١-١٩٧٠ م كما ارتكبت القوات الأثيوبية مذبحة أخرى في قرية بسكديرا التي تبعد حوالي ٢٥ كيلو متراً من كرن. طلب الضابط مرتكب جرم تلك المذبحة من سكان القرية الاجتماع ثم أمرهم بالدخول إلى المسجد وعندما امتلأ المسجد أُغلقت النوافذ، و أمر قواته بفتح النار عليهم أفمطروهم بوابل من الرصاص من أسلحتهم الرشاشة التي حصدت منهم أكثر من ١٦٠ روحا برئية من النساء والأطفال والشيوخ وقد عثر من بينهم عدد قليل من الجرحي تحت الجثث ممن كتبت لهم الحياة، إلا أنّ قسوة روح الانتقام للجيش الأثيوبي لم تتوقف هناك بل أضاف لسلسلة مذابحه جريمة أخرى في يوم ١-١٢-١٩٧٠م بارتكابه مذبحة عونا الرهيبة وكانت بلدة عونا إضافة إلى سكانها كان قد جمع فيها الناس من

---

207 Erlica Haggai. *The struggle over Eritrea.* Op.Cit,p4

سكان القرى المجاورة إثر تنفيذ السلطات الإثيوبية قرار تجميع القرى لتسهل السيطرة عليها بهدف عزل الثورة و الثوار من الحاضنة الاجتماعية، وفي حدود الساعة التاسعة صباحا أحاط الجيش الإثيوبي بالقرية من جميع الاتجاهات وأطلقوا النار عليها فاستهدفوا كل ماهو متحرك في القرية ومن لم يمت من النساء والأطفال بالطلقات النارية بقرت بطونهم بالسكاكين الموجودة في مقدمة البنادق المعروف بالسونكي ثم أشعلوا النار في منازل القرية فلم يبق فيها منزل واحد واحترقت الجثث في داخلها الأمر الذي جعل من الصعب التعرف على جثث الضحايا وقد راح ضحية هذه المذبحة البشعة أكثر من ٦٤٠ غالبيتهم من النساء والأطفال والشيوخ ولبشاعة هذه المذبحة البربرية فقد وصل صداها إلى العالم الخارجي وكتبت عنها الصحف الخارجية، وهزت كل من له ضمير في العالم وأضحت لعنات جرائم عونا وأخواتها تطارد الاستعمار الإثيوبي أينما حل، وزادت الإرتريين إصرارا وعزيمة، وتلاحم الشعب مع ثورته. وبناءً عليه استطاعت الثورة الإرترية أن تدخل نظام هيلى سلاسي في حروب مستديمة، فأنهكت أركان دولته سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وقوضت مقومات الحياة في إثيوبيا، فعانى المجتمع الإثيوبي من مجاعات قاسية، وتسرب اليأس والنفور من المؤسسة الحاكمة إلى كثير من أهل إثيوبيا وبدأ التململ في مفاصل المؤسسة العسكرية نتيجة للوضع المتردي في البلاد الأمر الذي قاد إلى الانقلاب العسكري الذي جاء على رأسه أمان عندوم ثم منجستو هيلي ماريام على رئاسة حكم أثيوبيا خلفاً لهيلي سلاسي عام ١٩٧٤م، لكن النظام الجديد أيضاً مضى في طريق سلفه في ممارسة الإرهاب والعنف ضد الإرتريين، فدفع بمزيد من ترسانته العسكرية نحو إرتريا، وطبق سياسة الأرض المحروقة، فكانت قواته تحرق القرى والمزارع، وتقصف طائراته الرعاة والمواشي، و حولت مناطق كرن وحلحل إلى ثكنات عسكرية ودفاعات أمامية في الفترة من ١٩٧٨-١٩٩١ مما جعلها تعيش باستمرار تحت حالة الطوارئ الأمر الذي حد من سهولة التواصل بين قراها فاضطربت فيها البنية الاجتماعية الآمنة وأنماط الحياة المعيشية الاقتصادية من فلاحة ورعي وتجارة، وأنماط الحياة النفسية المستقرة.

منذ بداية الثمانينيات وخاصة عام ١٩٨٢م إن مناطق عنسبا وجنقرين وحلحل كانت مناطق مواجهات بين الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا والجيش الإثيوبي الذي دك هذه المناطق بالأسلحة الثقيلة والطائرات الأمر الذي أدى لإرباك الحياة الطبيعية فيها وبعد انسحاب الشعبية منها دخلت هذه المناطق تحت سيطرة قوات الدرق لما يقارب ست سنوات إلى أن حرّرها الجيش الشعبي مرة أخرى عام ١٩٨٨م إلا أن الشعبية لم تستطع الحفاظ عليها وانسحبت منها بعد معارك طاحنة ونتيجة لذلك فإنّ منطقة بيت طوقي و بيت جوك وجزءاً من مناطق السنحيت قد أخليت تماما من سكانها عام ١٩٨٨م فدخل بعضهم إلى كرن والبعض الآخر ذهب إلى أراضي الماريا وبركة و لجأت أعداد كبيرة منهم إلى السودان وقتل الكثير ممن لم يتمكن من الفرار في تلك الفترة.

خلاصة القول خلال سنوات الكفاح المسلح (١٩٦١-١٩٩١م) ونتيجة لتلك الظروف لجأت أعداد كبيرة من البلين إلى السودان، والدول العربية الأخرى وإلى أستراليا والدول الأروبية وأمريكا وكندا، في السنوات القليلة الماضية وبسبب الظروف السياسية والعسكرية التي تعاني منها إرتريا هاجر الآلاف من شباب البلين كغيرهم إلى الدول المجاورة، ومنها انتقل البعض للعمل في الدول العربية، وهاجر البعض الآخر إلى الدول الغربية، وفي سبيل ذلك تعرضوا إلى مخاطر جمّة فمنهم من مات عطشاً في صحراء ليبيا، ومنهم من ابتلعه البحر الأبيض المتوسط، ومنهم من كان ضحية لتجار البشر ؛ فانتهى به المطاف في سيناء عرضة للابتزاز هم وذويهم لدفع فدية كبيرة أو عرض أعضائهم للبيع أو الاثنين معا. وما وصل من أبناء البلين إلى أوروبا، وإن كانت لا توجد لدى الباحث إحصائيات دقيقة لعددهم إلا أنّه، يعتقد أنّ أعدادهم كبيرة مقارنة بنسبة البلين من النسبة الكلية للسكان في إرتريا. كما أنّ الأسر التي جاءت عبر برنامج التوطين للأمم المتحدة كانوا تقريبا كلهم البلين.

ويمكن القول أنّه نتيجة لاضطراب الحياة في حلحل بقوص في عهد الثورة وللظروف السياسية القاسية التي تتعرض لها إرتريا في مرحلة الدولة، فإنّ نسبة الهجرة في وسط البلين

في تزايد مستمر وخاصة وسط الفئات الحية من الشباب والمتعلمين، وهذا بلا شك سيؤدي إلى الضعف المجتمعي ويؤثر في الكثافة السكانية في الموطن الأصلي و إلى تدني مستوى الوعي، وعدم بروز قيادات من أبناء البلين لها القدرة على الحفاظ على الهوية الثقافية و المكتسبات التاريخية، وإنتاج خطاب متزن يتناسب مع التحديات التي تسعى لتذويبهم وصهرهم في الكيانات الأخرى. فعلى سبيل المثال أن وجود البلين بكثافة في شرق السودان وخاصة البيت طوقي واكتسابهم عناصر القوة بقدر معقول من تعليم ورأس مال وإدارة أهلية معترف بها، إضافة لذهاب الآلاف منهم إلى دول الخليج للعمل وهجرة آلاف أخرى إلى الدول الأوروبية بحثا عن الأمن وتحسين ظروف معيشتهم، والملاحظ أنَّ السودان قد أصبح نقطة الالتقاء والقاسم المشترك بين هذه المجموعات وأهليهم في إرتريا في الوقت الحالي بسبب الظروف القاهرة في إرتريا. من كل هذه الأمور يبدو إنّ مركز القوى الاجتماعية للبلين وخاصة لبيت طوقي سيتحول إلى شرق السودان بدلاً من حلحل. فستصبح مناطقهم في إرتريا إمتدادات اجتماعية لذلك المركز في شرقي السودان، وهذا خلافاً للسابق حيث كانت حلحل هي المركز وهذه المناطق امتدادا لها، ولا شك أنّ الفرق بين الحالتين كبير في دلالاته الاجتماعية والسياسية.

دور المرأة البليناوية في المجتمع والثورة

إنّ المرأة في كل المجتمعات البشرية تلعب دوراً حيوياً في نهضتها ونمائها باعتبار أنّها تمثل نصف المجتمع وشريكة الرجل ومربية الأجيال إناثاً وذكوراً ليقوموا بمهمة الإنجاز الحضاري، فحاجة المرأة والرجل لبعضهما تمليها قوانين الطبيعة وسنن الحياة فهي علاقة تكاملية تقتضيها الضرورة البشرية لاستمرار الحياة. لذا فالمرأة البليناوية كغيرها من النساء تعتبر جزءاً أساسياً من سيرورة التاريخ والأحداث التي غطت مسيرة البلين عبر التاريخ، فهي الأم والجدة والزوجة والأخت والبنت، وإنّ المرأة في مناطق البلين كغيرها منوط بها تربية النشء وهي مهمة أساسية وعظيمة في بناء الأسرة والمجتمع، إضافة إلى ذلك تقوم بأعمال البيت من

طحن الحبوب في الرحى وخاصة في الريف وتجهيز الطعام للعائلة وتعمل بيدها كل مستلزمات البيت مثل فرش السرير المحلي و صناعة سجادات الصلاة وأمور كثيرة أخرى لتزيين بيتها من المشغولات اليدوية من المواد المحلية كالسعف وغيره، وتجلب البنات الماء والحطب، ويغسلن الملابس، ويشاركن في الأعمال الزراعية من تجهيز البذور ومساعدة الرجل في الحرث وتجهيز الطعام له، كما تعمل على تنظيف الحقل من بقايا الحشائش وتنظيف ما تبقى خلفه من أعمال الزراعة وتتولى عملية حراسة الزراعة من الطيور والآفات الأخرى حتى الحصاد، ثم يشاركن في الحصاد أيضاً.

أما من الناحية الثقافية فهي السياج الحافظ لهوية البلين ومستودع العادات والتقاليد بمافيها اللغة، وهي الملهمة في الإبداع الأدبي حيث لا تقام جلسات السمر لترديد الأغاني والأشعار إلا بحضورها.

ومن الناحية الجمالية اشتهرت نساء البلين بالجمال الطبيعي الساحر و الرقة واللطافة والطبع الجميل يقول جون جنذرJohn Gunther في كتابه داخل إفريقيا (Inside Africa): " إن الشعب الإرتري أكثر رقةً من الإثيوبيين، وأقل تزاوجا مع العنصر الزنجي، وأكثر تقدما في بعض النواحي، وليس من طبعهم الغطرسة والتعالى، وعظامهم دقيقة، وتقاطيعهم متناسقة محددة، لا يشبهون الزنوج على الإطلاق"[٢٠٨] ولئن كان الباحث يتحدث عن عموم الشعب الإرتري لكن ماقاله ينطبق على المرأة البليناوية من حيث التقاطيع الجسدية ولون البشرة الجميلة و صفات التواضع الحميدة. أما المؤرخ المعروف عبد الرحمن الجبرتي (١٧٥٣ . ١٨٢٥م) فهو يتحدث عن أحسن أجناس نساء الحبش الموصوفين بالصباحة، والملاحة، والفصاحة، والشجاعة، السحرتي، والأمحري، والداموت، والبلين.[٢٠٩] أمّا مراد كامل (١٩٠٧ . ١٩٧٥م) الذي زار إرتريا، فيصف المرأة البليناوية بوصف أدبي رائع يسلب القلب إذ يقول: "

---

٢٠٨ نقلا من جلال الدين محمد صالح، كرن الإصالة والتراث، مصدر سابق، ص، ٨٧

٢٠٩ عبدالرحمن الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، بيروت : دار الجيل، ٢٠١٠م، ص ٢٢٥

وقد اشتهرن نساء قبيلة البلين بجمالهن، تراهن يسترن النصف الأسفل من أجسادهن بقطعة من قماش ملوّن، يضممنها حول خصورهن. وتسير المرأة من نساء البلين بخطوات هادئة، رزينة متناسقة، وهي فخورة بجسمها النحيل، السمهري، المستقيم كالتمثال المنحوت، وذراعاها مبسوطتان، وخصرها لا يضطرب مع سيرها، كما أنه غير جامد أو متصلب، وملامح وجهها مستوية رقيقة، فيها خفر يضم سر الجاذبية، غير المتكلفة. وقد قال لي أحد أدباء الطليان هناك: إنّ ممثلات السينما في هوليود يمكنهن أن يتعلمن من نساء البلين الكثير من سر الجاذبية"[٢١٠]، ويعلق على ذلك جلال الدين محمد صالح فيقول: إن هذا الأسلوب الغزل الرائع أشبه بقول جرير:

إنّ العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهن أضعف خلق الله انسانا

أمّا في وصفه لسير فتاة البلين فيماثل قول الأعشى في وصف مشية معشوقته

غراء فرعاء مصقول عوارضها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها   مر السحاب لا ريث ولا عجل[٢١١]

أما محمد صالح ضرار فيقول: "ونساء البلين مشهورات بالجمال والطاعة العمياء لأزواجهن"[٢١٢] مع كل تلك الأوصاف من الجمال الفاتن والزينة الطبيعية الساحرة، كانت المراة البليناوية رزينة وتكسوها العفة والحشمة والحياء ويحكمها الموروث الديني والأعراف القبلية التي ترتبط بالزواج. وإن ارتباط الزواج لفتاة البلين يكون في الغالب في وسط البلين وخاصة مع ذوي القربى بالنسبة للبلين المسلمين أما المسيحيون فلا يتزوجون من الأشخاص

---

٢١٠ رجب حراز، إرتريا الحديثة، مصدر سابق، ص، ١٤

٢١١ جلال الدين محمد صالح، كرن الإصالة والتراث

٢١٢ محمد صالح ضرار، مصدر سابق، ص ٤٧

الذين تربطهم بهم علاقة قربى، ويشترطون لذلك ألا تكون العلاقة أقل من سبعة أجداد، كما يتم تزويج البنت عند البلين في مسائل حقن الدم فإن أهل القاتل يزوجون بنتهم لأهل المقتول مع دفع الدية حتى تلد الأسرتان من بعضهما البعض الأمر الذي يساعد على نسيان ما حدث بين الأسرتين بمرور الزمن نتيجة التداخل والتوالد فيما بينهما، وسيأتي تناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقا. كما كانت المرأة البليناوية تتزوج من القبائل المجاورة وخاصة من البيوتات الحاكمة في قبائل التجري فكان من أبنائهن من يحكم في تلك القبائل على سبيل المثال لا الحصر إن كبرت بنت فايد من آل تسأن أنجبت شوم ردئي وشوم إزوز من ماريا طلام إضافة لزيجات أخرى لبنات البلين من أسرة كنتيباي الحباب وثالثة من أسرة نائب في السمهر والمنسع والبيتجوك وغيرهم. كما أن المرأة البليناوية تزوجت من الأجانب من العرب والاوروبيين الذين كانوا يعيشون في المنطقة. أشهرهن نافعة زوجة باشا مونزنجر حاكم بقوص وكانت بمثابة مستشارة سياسية له ومؤثرة في سياساته في المنطقة كما سبقت الإشارة إليها. كما أنّ أول حاكم لمديرية كرن من الإيطاليين كان قد تزوج لجاجت بره من بلين السنحيت وغيرهم، على العموم المجتمع البليناوي أكثر انفتاحا في التعامل مع المرأة ويسمح لها بالانخراط في كافة المجالات الحياتية، وإن القيود الاصطناعية المفروضة على المرأة قليلة جيدا في وسط البلين مقارنة مع ما حولهم من المجتمعات، لذا فهي من الأوائل اللاتي خرجن للعمل وساهمن في تحسين الأوضاع المالية لهن ولأسرهن فكانت المعلمة والإدارية والممرضة، والعاملة في مختلف الحقول. وبرزت المرأة البليناوية في عهد الثورة ولعبت أدوارا حيوية بكل قوة وشجاعة في مختلف هياكل الثورة. فدائية مثل سعدية تسفو وهي تعتبر أول إمرأة تقوم بعملية فدائية في تاريخ الثورة الإرترية عام ١٩٦٩م رغم صغر سنها آنذاك. وجندية، وممرضة، وقيادية مثل نسريت كرار وآمنة ملكين وادحنت عندو وحليمة عتيل، ولتيطيون إداد، وفنانة تلهب مشاعر الناس للإلتحاق بالثورة مثل محرت زرئ يوهنس، وحجية مندال، ومقاتلة وإدارية مثل عائشة محمود عمد، وحرقو ولد قرقيس وأعداد كبيرة أخرى منهن في مختلف هياكل الثورة الإرترية بشقيها جبهة التحرير الإرترية والجبهة الشعبية لتحرير إرتريا.

وهناك مناضلات من نوع آخر وهن نساء المناضلين الذين كانوا يتحملون عبئ تربية أطفالهن، وفي الأرياف أيضا كان يقع عبئ إعداد الطعام للمقاتلين على النساء وغيرها لعبوا النساء أدوارا عديدة في الثورة.



جلوسا من اليمين: زينب أمانتو، ألماز ولدو، إلسا ولدي سلاسي، فاطمة سعد الدين محمد، نسريت كرار، فاطمة صالح، مدهانيت ولدو سلاسي، أبرهت أبرها، من اليمين وقوفا أدحنت عندو، بخيتة ادم، ألم، نفيسة محمد برهان، نورة سعيد، فاطمة محموداي، إلسا مسفن، طقا ولدوماريام، أمنة ملكين، حرقو قبريسوس، عرفات عمر، أسجدت محرتآب، جمعة عمر (المصدر: د محمد خير عمر hedgait.blogspot.co.uk

إن هذه الصورة هي للقيادات النسوية في جبهة التحرير الإرترية وهن من مختلف قطاعات الشعب الإرتري بمافيهم البلين وكان من أشهر بنات البلين في تلك الصورة من قيادات اتحاد المرأة في الجبهة، آمنة ملكين، نسريت كرار، فاطمة سعد الدين محمد درملي، أدحنت عندو. هذا ما تعرف عليه الباحث من الأسماء، وقد تكون في الصورة أسماء أخرى من البلين لم أتعرف عليها.

كما تألقت المرأة البليناوية خلال العقود الثلاث الماضية بإحرازها تقدما ملحوظا في السلم التعليمي والذي ظهر آثار اسهاماتها في مختلف مجالات الحياة، فهناك أعداد مقدرة من بنات البلين طبيبات ومهندسات وصيادلة وفي التخصصات الطبية الأخرى، وتزايد عددهن في السلك التعليمي كإداريات ومعلمات في المستويين الأساسي والثانوي وفي التعليم العالي كمحاضرات في الجامعات، كما أن هناك تحسن ملموس في المهن الأخرى، كما أن هناك حضور بارز لهن في مجال الانتاج الثقافي وخاصة في مجال الأغنية وأدائها وفي نفض الغبار عن العادات والتقاليد كما أن هناك مساهمات مقدرة في دراسات وكتابات عامة. ومع كل هذا التحسن فالمرأة البليناوية والإرترية بشكل عام مازالت تواجه تحديات كبيرة، منها:

- قلة مشاركة المرأة في العمل العام في إرتريا بالرغم من نسبتها العالية التي تقدر بـ ٥١% من السكان. صحيح هناك تمثيل قائم على التعيين في بعض مرافق الدولة التنفيذية والتشريعية. فهي كانت ممثلة بثلاث نساء في المكتب التنفيذي للجبهة الشعبية واثني عشرة إمرأة في المجلس المركزي. وأصبحت هذه الهياكل الآن غير فاعلة بسبب الخلافات الداخلية لقيادات الجبهة الشعبية لتحرير إرتريا. على العموم إن تمثيل المرأة في الأجهزة التنفيذية والإدارات العليا تقدر في حدود ٢٠%. والحال أسوأ في التنظيمات المعارضة في الخارج.
- مازالت هي أكبر الشرائح المتضررة بسبب الأوضاع الأمنية الراهنة في إرتريا.
- الأمية العالية وسط الاناث في إرتريا وخاصة في الريف.
- نسبة الفقر عالية بينهن، ٤٧% من النساء في إرتريا يتحملن توفير الغذاء لأسرهن بسبب غياب رب الأسرة في الخدمة العسكرية التي لا نهاية لها، أو الموت أو الإعاقة بسبب الحروب الأخيرة (١٩٩٨ . ٢٠٠٠م). وهي في الغالب غير قادرة على توفير الضروريات الغذائية بسبب تفاقم الأوضاع الاقتصادية في البلاد الأمر الذي يترتب عليه أيضاً تدهور أوضاعهن الصحية وأوضاع من يعولن.

- مغامرة اللجوء للأسباب السابقة وغيرها أصبح البعض منهن يفكر في خوض غمار مشقة اللجوء فهن يقطعن مسافات طويلة ويواجهن مخاطر جمة من إطلاق النار عليهن من حرس الحدود أو رميهن في السجون، أو تعرضن لتجارة البشر وقطاع الطرق لابتزازهن ماليا. أو الموت في فيافي صحراء ليبيا أو سيناء أو يبتلعهن البحر المتوسط. وإذا حالفهن الحظ ينضممن إلى صفوف اللاجئين في الدول الإروبية وغيرها ويبدأن حياتهن من نقطة الصفر في بيئة ومجتمع مغاير تتساوى فيه فرص النجاح والفشل على السواء.

المصادر الاقتصادية لحلحل بقوص

إن التضاريس البيئية وأحوال الطقس ودرجات الحرارة في أي منطقة تلعب دوراً مهما في نوع النشاط الاقتصادي فيها. فمنطقة حلحل بقوص تقع في المنطقة الوسطى في إرتريا وتبلغ مساحتها ١٢,٠٠٠ كيلو متر مربع تشمل مناطق مرتفعة كامتداد للهضبة وأخرى منخفضة، يصل ارتفاعها فوق سطح البحر إلى ٢,٢٠٠ في المرتفعات و٤٠٠ متر في المنخفضات. وتنقسم إلى جبال وأراضٍ مسطحة وتتمتع بالفصول الأربعة المعروفة في السنة. من ناحية المناخ فهي تتمتع بجو معتدل حتى يقال إن بعض الأطباء ينصحون مرضاهم بالذهاب إلى كرن لتغيير الجو فيها. ومن الميزات الأساسية التي كانت في هذه المنطقة في السابق توفر المياه والتربة الصالحة للزراعة والكساء الغابي المساعد للرعي والحفاظ على البيئة الطبيعية فإن منطقة حلحل بقوص كانت غنية زراعة ورعيا ولذا كانت تقصدها العصابات الحبشية للسلب والنهب عبر التاريخ كما سبق تناوله في هذه الدراسة.

في عهد الإدارة المصرية ازدهرت فيها زراعة القطن والذرة والتبغ ومحاصيل أخرى، وعند وصول المستعمر الإيطالي وجد كثير من المزارعين الإيطاليين فيها ضالتهم إذ يقول أحدهم :

وجد في أرض بقوص والمنسع تربة أفضل، مما يجد في إيطاليا[213] و يقول آخر : إن إقليم كرن غني بالثروة الزراعية [214] ولذا إنّ كثيراً من المستثمرين الإيطاليين جاءوا إلى هذه المنطقة للاستثمار في الزراعة فيها وأقاموا مشاريع زراعية كبيرة فيها كان أكبرها مشروع عيلابرعد الزراعي لكشاني الذي باعه لاحقا إلى دنداي، ودبونتي الذي كان يملك بستان حمضيات في دعاري في كرن وآخر للموز في إنْقَرْني، وبستان لِأَوِرْتَلا في دعاري، وبستان لريكو في شفشفيت كرن [215]، وسِيدَرِيْ في باب جنقرين وبساتين آخر في ضفاف نهر عنسبا في مكلاسي وأزرقت وغيرها. ومثلهم كانت هناك بعض المزارع لمواطنين مثل أسرة كرار محمد هداد، إدريس أمان، محمد على بخيت، وأسرة مهري وغيرهم. والمزارع المذكورة آنفا كانت من المشاريع المروية وتركز في انتاج الفواكه والخضروات المختلفة للتصدير خارج البلد. أما الغالبية العظمى من السكان فإن مصادر اقتصادهم كانت تعود إلى مصدرين أساسيين هما الزراعة المطرية والرعي ويضاف إليه في الوقت الحالي النشاط التجاري والمهني.

الزراعة

إنّ المجتمع البليناوي كغيره في المنطقة يستخدم الطرق التقليدية في الزراعة وإن نظام الأرض القائم عندهم هو نظام توارث العائلة للأرض، فتزرعها الأسرة بنفسها أو تؤجر الأرض بمقابل مالي أو بالنظام المعروف بالربع من الانتاج وإن عملية الزراعية تبدأ بتنظيف الأرض ثم حرثها بالمحراث باستخدام الثيران ثم تنظيفها مرة أخرى من الحشائش التي تخرج مع الزرع بالحش. والمعروف أن موسم الزراعة في المنطقة مرتبط بهطول الأمطار والمطر يهطل في الغالب في الشهور الأربعة من يونيو إلى سبتمبر من كل عام، وإن تأمين الغذاء للعام كله يتوقف على تلك الشهور وتتأثر سلباً وإيجاباً بكمية الأمطار الهاطلة.

---

٢١٣ فرديناندو، مصدر سابق، ص،١٢١

٢١٤ نايدل التركيب السكاني في إرتريا، مصدر سابق، ص، ٣٩

٢١٥ جلال الدين محمد صالح، كرن الأصالة والتراث، مصدر سابق، ص، ٢٤١-٢٤٢

إنّ تلك الشهور يكون فيها السكان أكثر انشغالا من تنظيف وزراعة ومراعاة الزراعة حتى تستوي المحاصيل ثم يبدأ موسم حصاد المحاصيل وقطع وتخزين القصب وغيره من مخلفات المحاصيل الزراعية الذي يستخدم لأغراض متعددة ومنها علف للبهائم وغطاء للبيوت إلخ.

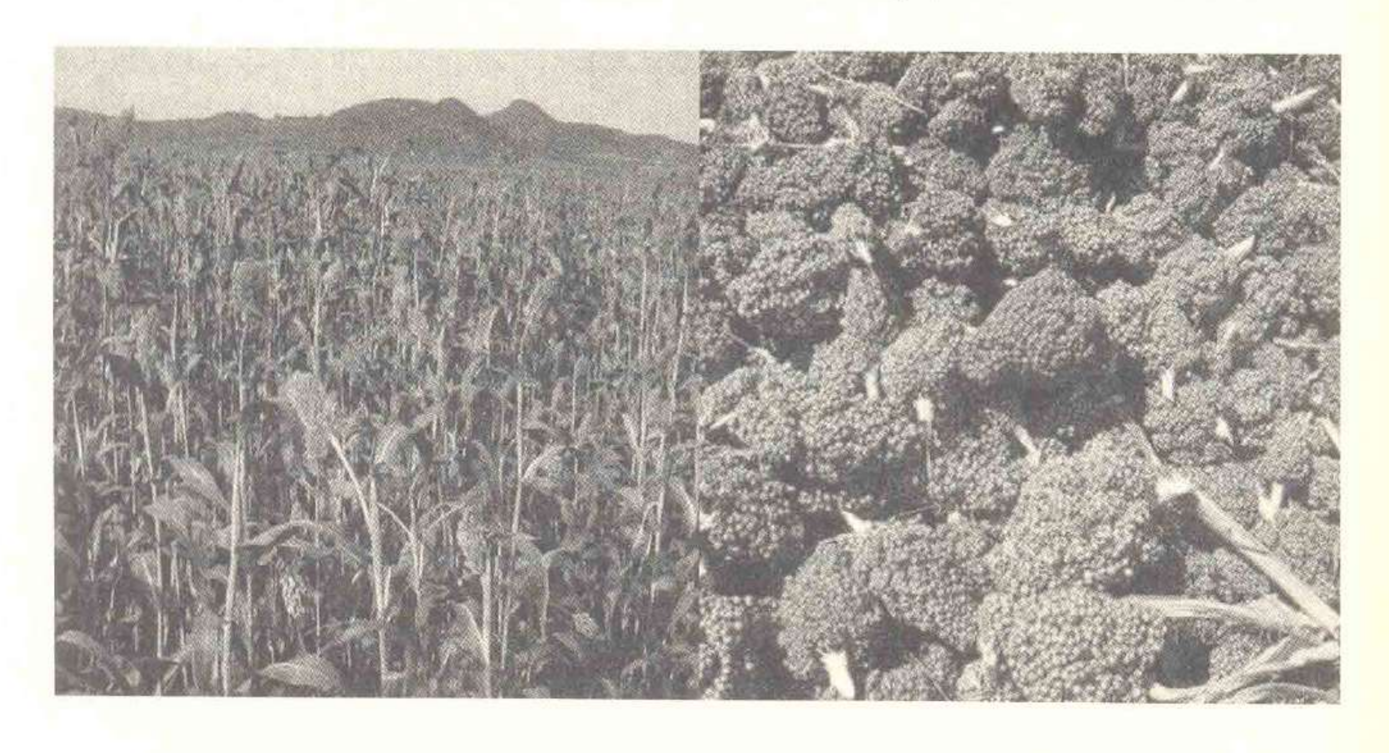
أمّا أنواع المحاصيل التي تزرع في حلحل بقوص فكثيرة ومتنوعة وتختلف من منطقة إلى منطقة أخرى فعلى سبيل المثال في المناطق المرتفعة يزرع الشعير والقمح، والذرة الرفيعة، والذرة الشامية، داقوس، الكتان، النحق، الفاصوليا بأنواعها المختلفة. أما في المنخفضات فتزرع الذرة والدخن والفول السوداني، فمناطق سروا وباب جنقرين وعنسبا أفضل المناطق لزراعة تلك المحاصيل " وأجود أنواع الفول هو ما كان يزرع في منطقة عنسبا، وباب جنقرين، لأن من أهم مميزات أرض عنسبا أنها صلبة، وحمراء، لذا تسمى بالأرض (القيح) وتختص حبات فولها بالثقل في الوزن، مع قلة في عدد كبسولاتها، بخلاف ما يزرع في غيرها، فإنه خفيف الوزن، وإن كان كثير العدد، وأخبرني بعض من اشتغل بالزراعة من أهل عنسبا، أن الزراعة في الأرض (القيح) لها من الجودة ما ليس لغيرها، فعلى سبيل المثال ما يزرع من الطماطم في (عيلابرعد) ليس هو في جودة ما يزرع في عنسبا."[٢١٦] ومن الزراعة التي اشتهرت بها هذه المنطقة أيضاً مؤخراً زراعة البصل، وهي بدأت في مناطق البيتجوك ومنها انتقلت إلى مناطق عنسبا وسروا وباب جنقرين وأخيراً إلى حلحل ومناطق البلين الآخرى، وهي كانت ومازالت توفر دخلاً إضافياً للمشتغلين فيها.

عموما إنّ الزراعة في مناطق البلين وخاصة الخصبة منها كان عائدها مجديا مع اختلاف المواسم ومستوى هطول الأمطار. ويبيع المزراعون في هذه المنطقة جزء من انتاجهم وخاصة الفول لتوفير السيولة لشراء الاحتياجات الأخرى مثل الملابس والبن والسكر والصابون وباقي

---

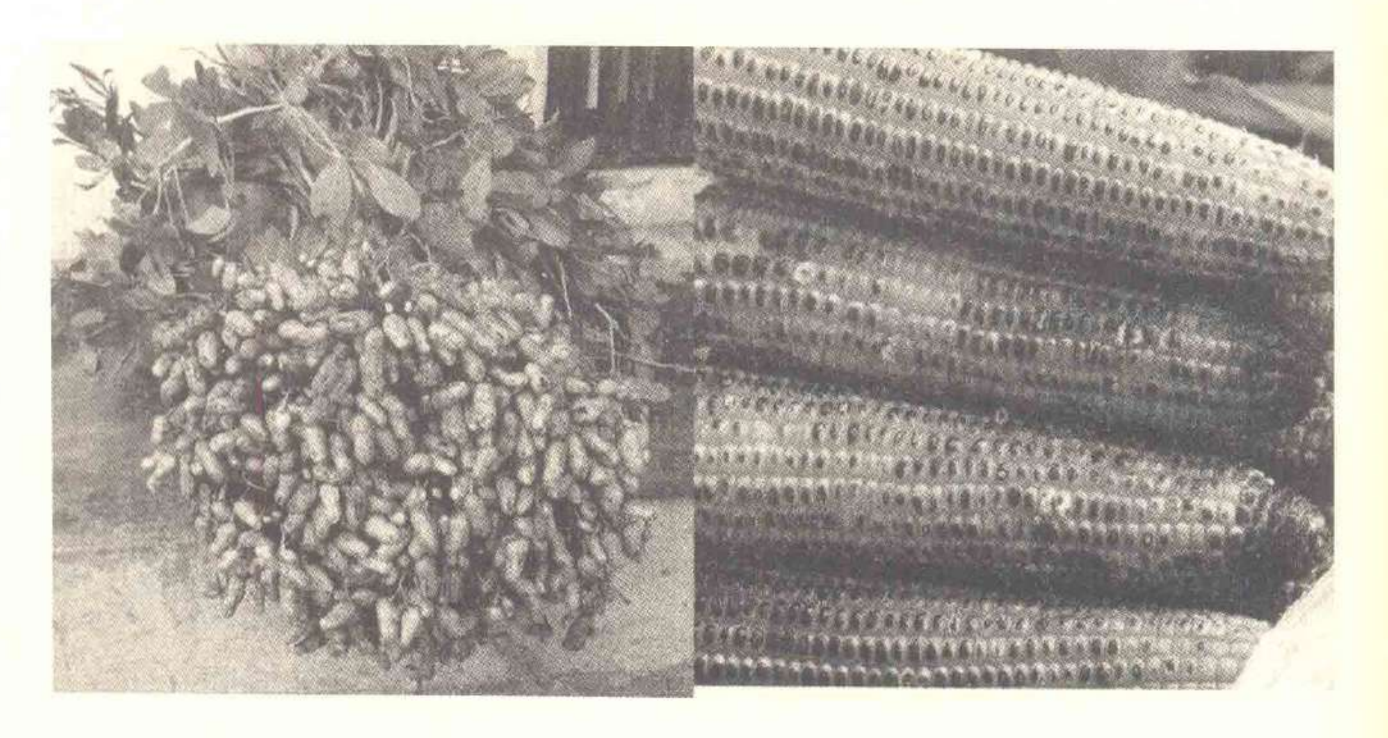
٢١٦ المصدر السابق، ص، ٢٤٤

المستلزمات، كما كانت تعقد أيضاً كثير من مناسبات الأفراح في نهاية موسم الحصاد، كل هذه الأمور وغيرها كانت تساهم في الحركة الاقتصادية ونشاط السوق.



سنابل الذرة الرفيعة

الذرة في المزرعة



الذرة الشامي المشوي في النار

الفول السوداني

هناك أسر كانت تملك جبالا من أشجار اللبان وكانوا يمارسون إنتاج اللبان منها وكانوا يبيعون إنتاجهم لشركة مساهمة بكرن المعروفة بشركة اللبان، وكانت تلك العملية تساهم في تحسين وضعهم الاقتصادي بدرجة متفاوتة، وكانت شركة اللبان في كرن توفر فرص عمل للسكان وخاصة العنصر النسائي اللاتي كن يقمن بتنظيف وتعبئة اللبان، إلّا أنّ نشاط اللبان قد تدهور بمرور الزمن بسبب الأوضاع الأمنية والجفاف الذي أثّر في أشجار اللبان.

إضافة إلى الزراعة التي يزرعها الناس كانت هناك مأكولات نباتية برية تخرج في موسم الزراعة بنفسها وهي صالحة للأكل، على سبيل المثال أنواع من الخضار مثل " أمرا شومني، إدر إلخ ---" وهذا الخضار يخرج بقليل من المطر وتجعله الأسر جزءاً إضافياً في وجباتها الأساسية وخاصة إذاكانت تعاني من نقص في كمية الطعام، ويباع هذا الخضار أيضاً في السوق وبهذا يكون هذا النوع من الخضار أحد مصادر الغذاء والدخل في تلك الشهور، ومثله نباتات كثيرة تعرف عند البلين " ترنكوا، ساقر، مدك، شحط، حافولي، أشنقوط، أتبا، وكد " وعرديب، وقنقوليس، ونبق، وغيرها كل هذه الأمور وغيرها تستهوي الأطفال لأكلها.

إنّ عملية الزراعة في هذه المنطقة كانت بالطرق البدائية التقليدية وإن الجهد الذي يبذل في الزراعة كبير مقارنة بالإنتاج، إضافة إلى أنّ هذه المنطقة تعرضت لعوامل التعرية في الغابات وانجراف التربة معا وذلك لأسباب الحرب والممارسات غير الصحيحة للتعامل مع الأرض، إضافة إلى قلة الأيدي العاملة في الزراعة بسبب التجنيد في الثورة سابقا أو في الجيش الإرتري حالياً أو الهجرة إلى خارج البلاد أو الإنتقال من طبقة إلى طبقة أخرى. لكل هذه الأمور وغيرها نجد ممارسة الزراعة في هذه المنطقة الآن هي في أضعف أحوالها عبر التاريخ.

الرعي

تحكي لنا الروايات الشعبية مجيء سمرعين إلى هذه المنطقة في سيعه للبحث عن مناطق صالحة للرعي وكان يملك عدداً كبير من الأبقار، فعندما وصل إلى حلحل طاب له المقام لأنها كانت منطقة خصبة للرعي. كما تحكي أيضاً الروايات أنه أكرم من وجد هناك وهما طنفاي وشباخه بالحليب، وعندما لحقه أخوه إِبْرِهِمْ والرجال الذين صاحبوه يعتقد أن اعتمادهم كان في ممارسة الرعي أكثر من الزراعة وذلك لتوفر الماء والكلأ. وأن المنطقة كانت مغطاة بالغطاء الغابي وتتمتع بالتنوع البيئي ففيها مناطق مرتفعة باردة وأخرى منخضة حارة، ويعرف الرعاة لأي نوع من الحيوانات تصلح كل منطقة أو التنقل بينهما في الفصول الأربعة.

الكتابات القديمة التي تناولت هذه المنطقة تصفها بالغنية رعياً وزراعة. ولذا كانت مقصدا لغارات النهب والسلب القادمة من الهضبة الحبشية كما كانت هدفا لبعض القادة المنفلتين من الإدارة المصرية الذين كانوا يأتون إليها من التاكا (كسلا حاليا) مثل خسرو بيك وآخرون إلا أن هذه الغارات من الجهتين قد توقفت بعد دخول هذه المنطقة تحت الإدارة المصرية وحاكمها مونزنجر الأمر الذي أدى إلى تزايد أعمال الرعي في حلحل بقوص عامة وفي مناطق بيت طوقي بشكل خاص.

عند قدوم الإيطاليين إلى هذه المنطقة وجدوا أنّ هذه المنطقة والمناطق المجاورة لها كان قد ضربها الجفاف إلا أنّها قد تحسنت فيها حقول الرعي بعد هطول الأمطار الغزيرة فيها، وقد ذكر الباحث الإيطالي البرتو تقديرات للثروة الحيوانية التي تملكها قبائل البلين في تلك الفترة. على العموم إن أعمال الرعي في العهد الإيطالي قد تزايدت ويعود ذلك إلى وجود بعض من الرعاية البيطرية، ولذا تراكمت ثروة مقدّرة للبلين في القطاع الرعوي وخاصة عند قبائل بيت طوقي. وإن رعاتها كانوا يذهبون إلى أماكن بعيدة في المواسم المختلفة بحثا عن الكلأ والماء حتى يصلون إلى مناطق القاش غربا وإلى مضارب سمهر مثل شعب شرقا.

هذه الثروة بدورها كانت تساهم في تحديد المكانة الاجتماعية لأصحابها بناءً على ما يملكون من الثروة الحيوانية. أما أنواع الحيوانات الموجودة في هذه المنطقة فهي في الغالب تتكوّن من الأبقار والأغنام والضأن والإبل وحيوانات أخرى للركوب مثل الحمير والبغال. ففي المناطق المرتفعة تكثر تربية الأبقار والضأن أمّا في المنخفضات مثل سروا وجنقرين وعنسبا وفانا فتكثر فيها تربية البقر والغنم والإبل، إضافة إلى الحيوانات الأليفة التي ذكرت آنفا، كانت أيضاهذه المنطقة تعج بالحيوانات البرية كالبقر الوحشية والغزلان والحمر البرية وبالحيوانات المفترسة كالنمور والأسود والذئاب والقرود وغيرها.

هكذا فإنّ الثروة الحيوانية كانت تعتبر المصدر والمورد الاقتصادي الأساسي لسكان هذه المنطقة. وكانت الحيوانات تستخدم في جميع المعاملات والتبادلات التجارية، فتباع لشراء المأكولات والملبوسات ومستلزمات الحياة الأخرى مثل الصابون، والسكر، والبن، والزيت، والشطة إلخ.. وتدفع مهراً للزواج، والدية، وتذبح في الأفراح والأتراح وتحرث الأرض بالثيران. كما يتم الانتفاع بحليبها وسمنها ويستخدم جلدها في أغراض متعددة مثل صناعة الأحذية وأغمدة السيوف والسكاكين وأوعية لحفظ الماء والحليب وحبالا للأسرة وأفرشة وسجادات وتمائم وأغراض كثيرة غير ذلك. وتستخدم الحمير والبغال والجمال للركوب ونقل البضائع وغيرها. هذا ما كان في السابق أما الآن فإنّ هذا الحقل قد شهد تدهوراً شديداً لأسباب عديدة، منها:

- الجفاف الذي ضرب ويضرب هذه المنطقة منذ فترة ليست بالقصيرة الأمر الذي أدى إلى تعرية الغابات ونضوب المياه، وجرف التربة وتزايد رقعة التصحر فيها بصورة كبيرة.
- ممارسة الرعي فيها حتى الآن بأسلوب تقليدي دون الأساليب العلمية العصرية المتبعة في هذا الحقل الأمر الذي أدى إلى تأثير سلبي في البيئة وإلى قلة العائد المادي مقابل الجهد المبذول.

- عندما أعلنت الثورة الإرترية الكفاح المسلح انحاز إليها سكان هذه المنطقة من البداية الأمر الذي جعلهم هدفاً رئيسياً للنظام الإثيوبي فاحرقت قراهم عام ١٩٦٧م ثم ١٩٧٠م ونهبت مواشيهم باستمرار من قبل الاحتلال، وعندما جاء نظام الدرق عام ١٩٧٤م دفع بمزيد من ترسانته العسكرية إلى المنطقة فدمرت القرى، وقصفت طائراته الرعاة والمواشي، و حولت مناطق كرن وحلحل إلى ثكنات عسكرية وفرضت عليها حالة الطوارئ وأصبحت مناطق للدفاعات الأمامية حتى عام ١٩٩١م، وقد تم دك هذه المناطق من قبل الجيش الإثيوبي بالأسلحة الثقيلة أرضا وجواً الأمر الذي أربك فيها أنماط الحياة الرعوية بل جعل من الصعوبة بمكان ممارستها. فهاجر كثير من السكان إلى المدن الإرترية أو خارج البلد مثل السودان أو انضموا إلى الثورة الإرترية وما تبقى منهم طالهم التجنيد الإجباري بعد التحرير. كل هذه الأمور وغيرها مجتمعة أدت إلى تدهور هذا القطاع في هذه المنطقة.

النشاط التجاري والحرف التي يزاولها السكان

إنّ هذا القطاع يشمل قطاعاً واسعاً من النشاطات الاقتصادية من التجارة بمختلف مستوياتها نوعا وحجما وإنتاجاً فهي تشمل الإنسان البسيط الذي يعمل في قطع الأخشاب وبيعها، أو ممارسة مهنة الخياطة، أو امتلاك الدكاكين والمطاعم الصغيرة إلى الأشخاص الذين يستثمرون بطريقة عصرية في الإنتاج الزراعي والحيواني أو في القطاعات الحيّة الأخرى بأحجام متوسطة أو كبيرة أو الذي ينشط في عملية الإيراد والتصدير. كما يشمل أيضاً الفيئات المهنية المتنوعة من الحرف الصغيرة مثل الحدادة والنجارة والبناء والمعلمين والأطباء والمهندسين والإداريين والكتاب والفنانين وغيرهم.

يعتقد في الوقت الحالي هناك تحسن معقول في النشاط التجاري وسط البلين في الداخل وخارج إرتريا بنسب متفاوتة. وهناك أعداد كبيرة من المعلمين والمعلمات وأساتذة الجامعات في الداخل وفي مناطق وجود البلين في أرض المهجر مثل السودان واستراليا وأروبا

وأمريكا وكندا. وخلال العقدين الماضيين ظهرت مجموعات تقدر بعشرات من الأطباء والصيادلة والمهن الطبية الأخرى وإن غالبيتهم كانوا من أبناء البلين في السودان. ومثله هناك تحسن في الممارسة والتخصصات الأخرى فهناك من أبناء االبلين اليوم من يتقلد مواقع متقدمة في الشركات والمنظمات الإقليمية والدولية.

هناك مساهمات مقدرة في إنتاج الثقافة مثل الروايات فعلى سبيل المثال الروائي أبوبكر كهال له عدة روايات أشهرها رواية تايتنيكات أفريقية التي ترجمت إلى عدة لغات، ورواية لكل من عبد الوهاب حامد علي شيخ، محمد إسماعيل هنقلا، محمد مسوكر، حامد ضرار، إبراهيم الحاج وآخرين، ومن أشهر الكتاب في الجوانب السياسية ولد يسوس عمار، بشير اسحاق الذي كان يكتب باسم منصور كرار، ومحمود عثمان إيلوس، ويونس بركاي الذي يكتب في عواتي باسم علي سالم، ومحمود أبوبكر حِمِدْ وآخرين كما أن هناك دواوين شعرية، وأداء جيداً للأغاني التي تعكس عادات وتقاليد البلين. وإصدار كتب عامة ودراسات أكاديمية. كماظهر كتّاب مقالات صحفية في المجالات المختلفة وإن أبناء البلين يكتبون بثلاث لغات هي العربية والإنجليزية والتجرنية. ونتيجة لممارسة الأنشطة التجارية المختلفة والتحسن في التعليم والأداء المهني والمساهمة في الإنتاج الثقافي تعتبر كل هذه الأمور مؤشرات على تنقل مجموعات غير قليلة من البلين إلى الطبقات الوسطى المستقرّة من الناحية المادية والمهنية. وهذا يعتبر رأسمالاً اجتماعيا وكسباكبيراً سيساعد القومية في التطوّر وفي إزالة المهددات والعوائق التي تواجهها. ونتيجة لوجود البلين بأعداد كبيرة في المهجر فإنّ تحويلاتهم السنوية تمثل اليوم أحد أهم المصادر الاقتصادية للبلين في إرتريا والسودان.

الفصل السادس

تعداد البلين، اللغة، الدين.

- تعداد البلين في إرتريا

- لغة البلين بين التطوّرات التاريخية والتحديات الراهنة

- الدين في حلحل بقوص

تعداد البلين في إرتريا

إنّ تعداد سكان إرتريا لا يعرف حتى الآن على وجه الدقة؛ لعدم وجود إحصائيات علمية حديثة، إلا أنّ التقديرات تشير إلى أنّ عدد سكان إرتريا يبلغ حوالي ستة ملايين نسمة على وجه التقريب، تشمل تسع مجموعات لغوية هي: التجري، التجرنية، العفر، الساهو، البلين، الحدارب، الباريا، الكناما، إضافة إلى قبيلة الرشايدة.[٢١٧]

وقد اختلف في تقدير نسبة البلين من مجمل السكان وهو موضوع دراستنا، فهناك من يقول إن نسبتهم تساوي ٥% من السكان أو أكثر قليلا وهناك من يرى أنهم أقل بكثير من ٥% وكلا الوجهتين تعتمدان على التقديرات لا على إحصائيات دقيقة، كما أن الباحث لا يملك معلومات دقيقة في هذا الموضوع؛ لذا سيقوم بتحليل الأرقام التقديرية الموجودة، والمؤشرات الأخرى، للوصول إلى تقديرات أقرب إلى الواقع.

إنّ أوّل تقديرات اطلع عليها الباحث هي التي أوردها الباحث الإيطالي بوليرا تحت عنوان الأوضاع الديمغرافية للمتحدثين بلغة البلين، واعتقد أنه اعتمد على تقديرات عام ١٩٢٨م التي أجرتها الحكومة الإيطالية لسكان المستعمرة الإرترية. يقول: في عام ١٩٣١م كان عدد الترقي ١٠,٤٥٠ منهم ٥,٣٠٠ كاثوليك و٦٠٠ أرثودوكس و٥٠ بروتستان و٤,٥٠٠ مسلمون. أمّا بيت طوقي كان عددهم ١١,٤٥٠. وأورد الجنقرين وحدهم وعددهم كان ١,١٤٢ وأن الطوقي والجنقرين كلهم مسلمون ما عدا ٨٠ فرداً من الطوقي و٦٤ من الجنقرين كانوا كاثوليكاً[٢١٨] وبناءً على تلك الأرقام فإن عدد البلين في عام ١٩٣١م كان ٢٣,٠٤٢، منهم ١٦,٩٤٨ مسلمون و٦,٠٩٤ مسيحيون.

---

٢١٧ سبي، عثمان صالح، **تاريخ إرتريا**، مرجع *سابق*، ص٩٥. راجع للمزيد س. ف. نايدل. **التركيب السكاني في إرتريا العناصروالقبائل**، **مصدر سابق**. و **تركي**، حامد صالح. **إرتريا والتحديات المصيرية : دراسة وثائقية في الشعب الإرتري وكفاحه المسلح**، مرجع *سابق*.

٢١٨ بوليرا دقي أبات هزبي إرترا (أصل الشعب الإرتري) ترجمه من الإيطالية إلى التجرنية أبا يسحاق قبرنسوس، مطابع حدري، ص، ١٧٠-١٧١.

بعد بوليرا قدّر نايدل عددهم بأحد عشرة ألف للطوقي وألف ومائة للجنقرين وعشرة آلاف للترقي[219] وهذه الأرقام لا تختلف كثيرا عما أورده بوليرا ولعل نايدل اعتمد على بوليرا أو أخذ من نفس المصادر التي اعتمد عليها بوليرا. وفي عام ١٩٥٢ كان عدد مجموع البلين ٣٦ ألفاً ١٩ ألف طوقي و١٧ ألف ترقي[220] وهذه التقديرات مأخوذة من المسح السكاني الذي أجرته الإدارة البريطانية مستندة إلى المعلومات التي قدمها لها رؤساء القرى وزعماء القبائل آنذاك. وهي لا تعتبر إحصائيات دقيقة بل هي تقديرات، فزعماء القبائل آنذاك كانوا لا يودون إعطاء أرقام دقيقة عن قبائلهم وذلك لأنّ تلك الإدارات كانت تفرض عليهم ضرائب باهظة وكانت الضريبة على الرأس أي على عدد أفراد القبيلة دون أي مقابل من الخدمات، وعليه يتوقع أنّ زعماء القبائل امتنعوا عن تقديمهم الأرقام الحقيقة للجهات الرسمية من أجل تخفيف العبئ على أفراد قبيلتهم. وبناءً عليه فإنّ عدد البلين في عام ١٩٥٢ يتوقع أن يكون أكثر بكثير من تلك الأرقام المذكورة.

في مرحلة الاستعمار الإثيوبي لم يطلع الباحث على أي معلومات عن تعداد البلين ومثله في أدبيات الثورة ما عدا إشارات في بعض الوثائق والتي تقدّر عدد البلين بنسبة ٥% من سكان إرتريا على سبيل المثال كما جاء في وثيقة نحن وأهدافنا.

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي قدّر ولديسوس عمّار عدد البلين بـ ١٥٢ ألفاً من أصل أربعة ملايين تقريبا من سكان إرتريا. وقد اعتمد على تقديرات عام ١٩٥٢م وأضاف عليها الزيادات السكانية وهي أيضاً على وجه التقريب؛ ولذا تكون النتيجة التي توصل إليها نتيجة تقدير مستخلصة من تقديرات عام ١٩٥٢م وهي نفسها تعاني من

---

٢١٩ .نايدل، مصدر سابق، ص. ٤٥ - ٤٦

٢٢٠ .تريفاسكس، مصدر سابق ، ص. ٢٣٠

عدم الدقة كما سبقت الإشارة إليها وتحتاج إلى مزيد من التمحيص والتدقيق قبل الاعتماد عليها[٢٢١].

أما الباحث كفلي ماريام حمدي والمهتم كثيراً بدراسات البلين منذ الثمانينيات من القرن الماضي فيقدر أن نسبة البلين بـ ٥% من سكان إرتريا.[٢٢٢] وذكر لي د. كفلي ماريام حمدي وهو من البلين، أنّ الأب كفلي ماريام فازقا وهو من البلين و كان ينشط في المجال الديني مع الكنيسة الكاثوليكية في العمل الإغاثي و كان يتنقل في مناطق البلين بل وحتى مناطق الماريا وماورائها، كان يقدر عدد البلين اعتمادا على المعلومات من السجلات الإغاثية في عام ١٩٨٤ بـ ٣٥٠,٠٠٠ ألف[٢٢٣] من أصل ثلاثة ملايين ونصف من سكان إرتريا أي ١٠% من العدد الكلي، ولم يكن الأب كفلي مريام فازقا ناشطاً تبشيرياً فحسب بل كان شخصية متعلمة قدمت دراسات علمية رصينة تتسم بالموضوعية والعمق عن البلين، وكونه من أبناء تلك المجموعة وشخص له خبرات علمية وعملية ونشاط ميداني في وسط البلين فإنّ التقديرات التي توصل إليها تعتبر نتيجة منطقية ومقبولة وأقرب إلى الحقيقة حتى الآن من وجهة نظري.

منذ تحرير إرتريا عام ١٩٩١م هناك إحصائية سياسية تتماشى مع خط الحكومة الإرترية القائل إن سكان إرتريا ينقسمون إلى ٥٠% مسلمين و ٥٠% مسيحيين وهذا يعني أن التجرنية هم ٥٠% و٤٥% التجري و٥% الأقليات الأخرى وإنّ نسبة ٥٠% للمسيحيين ثابتة لا تتغير منذ تسعينيات القرن الماضي، وإذا كان هناك أي تغييرات تحدث فهي في إطار المجموعات الأخرى، مما يعني أن هذه الأرقام سياسية لا علاقة لها بالإحصائيات الحقيقية في واقع الأمر. وإنّ كثيراً من التجرنية الذين كتبوا في هذا الموضوع والباحثين الأجانب أصبحوا يأخذون بتلك التقسيمات السياسية على أنّها حقائق دون تمحيص بقصد أو بدون قصد.

---

221 Wolde-Yesus Amar, ***Eritrea Root Causes of War &Refugee***, Sindbad Printing.Co-Baghdad, 1992, , p , 125

٢٢٢ حديث د كفلي ماريام حمدي مع الباحث بتاريخ ١٤-٤-٢٠١٧

٢٢٣ حديث د كفلي ماريام حمدي مع الباحث بتاريخ ١٤-٤-٢٠١٧

مما سبق يخلص الباحث إلى ما يلي:

- لا توجد حتى الآن إحصائيات علمية حديثة والإحصائيات المذكورة كلها تقديرات على وجه التقريب.
- تلك التقديرات الإحصائية عبر التاريخ متأثرة بالأوضاع السياسية في إرتريا عامة وفي البلين خاصة.
- من الملاحظ أن تقليل نسبة البلين لم يأت من داخل القومية، لكن جاء من الأطراف السياسية أو المجموعات التي تدور في فلكها من القوميات الأخرى وخاصة من التجرنية. أما الباحثون من أبناء البلين فإن تقديراتهم تتراوح ما بين ٥% و ١٠% من نسبة السكان.

الباحث يميل إلى التقديرات الأخيرة وذلك اعتمادا على مؤشرات ثلاثة:

أولها - أنّ التقديرات التي جاءت من الأب كفلي ماريام فازقا تعتبر تقديرات لها علاقة بالواقع لكون صاحبها من البلين وتنقل في مختلف مناطقهم لتوزيع الإغاثة، الأمر الذي يجعل تقديراته أقرب إلى الحقيقة اعتمادا على سجلات الإغاثة، إضافة إلى خبراته العلمية والعملية؛ فلكل تلك المميزات فإن النتيجة التي توصل إليها يعتقد الباحث أنّها أفضل التقديرات التي تتسم بالموضوعية وتعتبر الأقرب إلى الحقيقة حتى الآن في نظره.

ثانيها -لقد عملت أنا شخصياً في بداية التسعينيات في مشروع حصر ومنح الأوراق الثبوتية، وترتيب السجلات للاستفتاء في هذا الإقليم، وكانت الفئات العمرية المسموح لها بإخراج الجنسية من الثامنة عشرة فما فوق، وكان أعداد البلين الذين استخرجوا الجنسية في المحافظات الثلاثة : حقات، حلحل، وعيلابرعد، إضافة إلى مدينة كرن، وبعد طرح المجموعات الأخرى منها وإضافة الأعداد الكبيرة من البلين في السودان ودول الخليج وأوستراليا وأروبا وأمريكية، وإضافة الفيئات العمرية ما دون الثامنة عشرة وهم الأكثر وسط

أسر البلين فإن عددهم يتجاوز تلك التقديرات بكثير وتقترب من النسبة التي أوردها الأب كفلي ماريام في ثمانينيات القرن الماضي.

ثالثها - الذين يقللون من عدد البلين لم يشيروا إلى كيف توصلوا إلى تلك التقديرات وغالبتهم ليسوا من أبناء البلين وكل ما في الأمر أنّهم يشيرون إلى تلك التقديرات بطريقة عابرة دون الإشارة إلى المصادر التي استقوا منها تلك المعلومات وبذلك قد لا تخرج تلك الإحصائيات عن سياق الصراع السياسي الساعي للهيمنة على الآخرين.

بعد دمج وتحليل تلك التقديرات وقراءة المؤشرات فإن الباحث يقدر عدد البلين اليوم ما بين ٤٠٠,٠٠٠-٤٥٠,٠٠٠ ألفاً من أصل ستة ملايين هم سكان إرتريا، وهي نسبة تعادل ٧,٥% من العدد الكلي في إرتريا.

لغة البلين بين التطوّرات التاريخية والتحديات الراهنة

اللغة هي أداة للاتصال والتفاعل بين أفراد الجماعة الواحدة كما هي وسيلة للتعبير عن الهوية وعن حاجات الإنسان ومطالبه استفساراً وتوضيحاً، وتعبيراً عن الأحاسيس فرحاً وحزناً وإعجاباً وغضباً، وبواسطتها تنتج المعرفة وعبرها يطلع على خبرات وتجارب الآخرين، كذلك هي الوعاء الذي تحفظ بواسطته التراث الأدبي والديني والتاريخي، وتربط الأجيال الماضية بالحاضر والمستقبل، كما أنّ وظيفة اللغة لم تكن مختصرة في مجال الفهم والإفهام بل تلعب دوراً مهما في تحسين الوضع الاقتصادي وجلب السلطة السياسية و بعبارة أخرى تحقق شعور الانتماء في البعد الرمزي العميق، و الكسب المادي في البعد الاقتصادي وإنتاج المعرفة في البعد الثقافي فإنّ هذه الأمور وغيرها مجتمعة تؤدي إلى تحقيق استحقاق السلطة السياسية لهذه المجموعة، وبهذا تكون اللغة ليست أداة للتواصل فحسب بل هي مصدر للقوة. وإذا جاز لي التعبير بلغة سوق المال والأعمال فإنّ أسهم اللغة اليوم يصعد ويهبط كأسهم الشركات في الأسواق، فاللغة التي لها قدرة على الإنتاج في مختلف الميادين ولها زبائن

كثيرون ترتفع أسهمها بخلاف اللغة التي لم تنتج تراجع قيمة أسهمها. هذا الواقع يخلق لأصحاب الأولى البيئة المناسبة للسيطرة على السلطة وتراجع الثانية إلى الخلف يفرض عليها ذلك ثلاثة خيارات امّا الانصهار في الأولى أو مقاومة الأمر فينتج من ذلك صراعات عرقية أو يتم الاتفاق على لغة رسمية للتواصل بين المجموعات المختلفة، وتترك اللغة الأم لتركز في الأبعاد الثقافية والعادات والتقاليد.. الخ لكل المجموعات.

على العموم فإنّ اللغة كيان حي يترعرع ويشيب وقد يموت مالم تتوفر له عوامل الاستمرار من تطوّرات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وبناءً عليه يتحدد أوضاع اللغة صعوداً وهبوطاً.

من ناحية التقسيمات فإن اللغات تنقسم إلى فصائل وعائلات. فالبلين هي من أصول اللغات الأفرو آسيوية Afroasiatic من فصيل اللغات الحامية الوسطى أي المعروفة بالأجوية والمتحدثون بها ينتشرون في أكثر من أربعة مواقع في إثيوبيا وفي موقع واحد في حلحل بقوص في إرتريا، ولا يوجد بين هذه المجموعات في إثيوبيا و إرتريا أي صلات جغرافية منذ عشرات القرون، ولذا فإن مسارات تطوّر لغة البلين إختلفت في أمور كثيرة من اللهجات الأجوية الحالية في إثيوبيا كما أنها أصبحت تلتقي مع التجري والتجرنية عبر الأصوات وقليل في الشكل[٢٢٤] وإن هذه الدراسة تتناول فقط لغة البلين في حلحل بقوص حيث يبلغ تعداد المتحدثين بها أكثر من ٤٠٠,٠٠٠ ألف نسمة على وجه التقريب ولا تتطرق إلى لغة المجموعات الأجوية الأخرى في إثيوبيا.

224 Palmer ,F.R . The verb in Bilin :Bulletin of the School of Oriental and African Studies. 19:131-159, p,1. See also Kiflemariam Hamde, Blin language Maintenance and Shift and Revitalization.Apaper presented at the first Conference on Blin language and Culture in London , 14-16 July 2005 , p ,1-3

إن مصطلح البلين في حلحل بقوص يعني اللغة والناس، إلا أن المدلول اللغوي أكثر من المدلول العرقي، فالبلين ليست قبيلة من أصل واحد بقدر ما هي مجموعات تنضوي تحت هذا الاسم واللغة هي أحد أهم معالم هذه المجموعة الرابطة بينها.

تعتبر لغة البلين أحد أقدم اللغات الحامية الكوشية في المنطقة[٢٢٥] وأنها أيضاً كانت لغة الملوك والحكام لفترة طويلة كما سبقت الإشارة إلى ذلك في هذه الدراسة فإن مملكة الأجو كانت لها صولات وجولات فامتد حكمها من جنوب مصر إلى داخل الحبشة حتى جاء الزحف السامي فقطع مملكتهم إلى أوصال وعادوا مرة أخرى لحكم الحبشة في الفترة ما بين القرن التاسع والثالث عشر الميلاديين.

إنّ هدف هذه الدراسة هو إعطاء فكرة عامة عن لغة البلين دون التوسع في التاريخ والأبعاد اللغوية العميقة. فالبلين كمجتمع استطاعوا أن يحافظوا على لغتهم لعشرات القرون على الرغم من أنهم كانوا ومازالوا محاصرين بمجوعتين لغويتين أكثر عدداً وقوة هما التجري والتجرنية، إضافة إلى كون لغة البلين لغة أقلية لم تستخدم في التاريخ الحديث في المعاملات الرسمية والوسائط الإعلامية المختلفة وفي الأدبيات السياسية. فعلى سبيل المثال أن المستعمر الإيطالي كان يفرض لغته على المجتمع ويهمل أو يحارب اللغات المحلية بما فيها لغة البلين ومع ذلك نجد أن الإيطاليين أجروا دراسات ميدانية موسعة في التاريخ واللغات للسكان في إرتريا، ومن الذين تناولوا لغة البلين بالدراسات كونتي روسيني "أشعار البلين ١٩٠٧" ومثله بوليرا ١٩٣٨م وآخرون.

أمّا الإدارة البريطانية فقسمت الشعب الإرتري إلى قسمين مسلمين ومسيحيين واعتمدت اللغتين التجرنية والعربية لغتي المعاملات الرسمية والتعليم بجانب الإنجليزية ولذا لم يحدث أي تطوّر على المستوى الرسمي للغة البلين واللغات الأخرى في البلد[٢٢٦]. وفي العهد

---

٢٢٥ عثمان سبي، تاريخ إرتريا ، مصدر سابق، ص، ٢٣٠

226 Kiflemariam Hamde, Op.Cit ,p,11

الفيدرالي فإنّ الإدارة الفيدرالية أبقت اللغتين العربية والتجرنية كلغتين رسميتين للبلد، إلا أنهما أُلغيتا عندما ضمت إرتريا إلى إثيوبيا قسراً عام ١٩٦٢م وفرضت محلهما الأمهرية كلغة رسمية للبلاد كما أنّ الثورة الإرترية قد اعتمدت ثنائية اللغة العربية والتجرنية للتعامل.[227] مارست الثورة اللغتين بدرجات متفاوتة من تنظيم لآخر فعلى سبيل المثال إن وثائق جبهة التحرير الإرترية كانت تكتب باللغتين لكن على مستوى الممارسة كان يكثر فيها الجانب العربي وبالمقابل أيضاً فإنّ الجبهة الشعبية كانت تكتب وثائقها باللغتين لكن في ممارستها اليومية كانت بالتجرنية وكلا التنظيمين كانا يدعوان إلى تطوير اللغات على المستوى النظري لكن في أرض الواقع لم يتحقق من ذلك شيء إلا ما كان له علاقة بالصراع السياسي بين التنظيمين. في عهد الدولة فإن الجبهة الشعبية واصلت في مفهومها للغات في إرتريا وهو ولو نظرياً إنّ اللغات في إرتريا كلها متساوية وإن التجرنية والعربية هما لغتا عمل.

مما سبق نخلص إلى أن لغة البلين لم تستخدم في المؤسسات الرسمية والإعلام بمختلف وسائطه ولا في الأدبيات السياسية أوغيرها، ومن هنا يمكن القول إن تلك التطوّرات السياسية لم تضف أي شيء إيجابي إلى لغة البلين عبر التاريخ بل كانت لها تاثيرات سلبية في مسيرتها. وهنا يتساءل المرء كيف صمدت لغة البلين أمام تلك التحديات الذاتية والموضوعية؟

لعل الإجابة تكمن في الأمور التالية:

- صحيح أن لغة البلين لم تستخدم على المستوى الرسمي إلا أنها على مستوى المجتمع البليناوي، كانت مستخدمة في مختلف الجوانب الحياتية وكانت لغة الزعماء والوجهاء ولغة الراعي والمزارع ولغة الأعراف والمحاكم العرفية ولغة مراسم الأفراح

227 Ibid, p., 11-12

والأتراح والعادات والتقاليد والشعر والأغاني... إلخ كل هذه الأمور وغيرها مجتمعة ساعدت في حيوية لغة البلين.

- وجود البلين في مساحة جغرافية متقاربة ومتصلة بعضها ببعض سهل التواصل فيما بينهم وساعد ذلك في الحفاظ على اللغة.

- إن الأقلية دائما تنزع إلى الحفاظ على أعرافها وعاداتها وتقاليدها ومن المعروف أنّ اللغة هي الرافع الأساسي لتلك القيم.

- إجادة اللغة بطلاقة.

- التماسك والاحترام المتبادل بين قبائل البلين مسلمين ومسيحيين.

- البلين كانوا لا يشجعون تزويج بناتهم من الآخرين وهذا الأمر قد لا يستساغ من الناحية الدينية إلا أنّه من الناحية الثقافية له معنى إيجابي لأن الأم هي الوعاء الحافظ للغة والثقافة والقادرة على توريث الأجيال عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم أكثر من الرجال ولذا إن الأم البليناوية كان لها دور مهم في الحفاظ على اللغة والأمور الثقافية الأخرى عبر التاريخ.[٢٢٨]

- ارتباط اللغة بأعراف البلين المتميزة.

- إنّ غالبية البلين كغيرهم من الإرتريين الآخرين كانوا يعيشون في الريف وإن تأثيرات المدنية التي تحمل ثقافات الآخرين كانت محدودة.[٢٢٩]

- الحكايات الشفهية ونقل الأحداث بالطريقة الشفهية وتطوير أسلوب اللغة وتعابيرها المستخدمة في المناسبات المختلفة، ورواية الأساطير وقصص الماضين،

---

228 See for more details , Kiflemariam Hamde, Op.Cit ,p,6

229 Ibid,p,12

والأغاني، والأشعار، وتوريث التراث للأجيال كل هذه الأمور وغيرها مجتمعة حافظت على نقل التراث بمافيه اللغة من جيل إلى جيل.[٢٣٠]

- النظر والسلوك الإيجابي بين المتحدثين بالبلين بعضهم مع بعض لدرجة مبالغ فيها بعض الأحيان فإن الشخص البليناوي إذا تحدثت معه بلغته يتعامل معك بكل أريحية وثقة حتى إذا لم تكن له سابق معرفة معك.

- الاستقرار الدائم وبساطة الحياة مع الاكتفاء الذاتي اقتصاديا بسبب أراضيهم الخصبة زراعة ورعياً قلّل من الاحتكاك والانصهار في المجموعات المجاورة من التجري والتجرنية.

- إن معرفة البلين لغات المجموعتين المجاورة لهم ساعدهم في التعامل معهم دون حاجة لترك لغتهم وإنّ البلين دائما يشجعون أبناءهم لتعلم اللغات الأخرى مع الحفاظ على لغتهم ولذا نجد أن غالبيتهم يعرفون لغتين أو أكثر وهذا قلّ ما يوجد في المجموعات الأخرى في إرتريا.

يعتقد الباحث أن العوامل المذكورة آنفا مجتمعة وغيرها كانت هي التي حافظت على لغة البلين عبر التاريخ، إلا أنَّ هذا الأمر منذ فترة غير قليلة على الأقل خلال الثلاثة عقود الماضية قد بدأ يتغير بسبب التداخل الواسع بين البلين والتجري من ناحية والبلين والتجرنية من ناحية أخرى وإن هذا التداخل قد يكون له إيجابيات في أمور أخرى إلا أنه فيما يتعلق بلغة البلين يعتقد أنه يلعب دوراً سلبياً. فإن الغة البلين بدأت تتراجع على حساب التجري والتجرنية في إرتريا ولغات أخرى وسط المهاجرين في بلدان المهجر. ومرد ذلك يعود إلى أمور عدة منها:

---

230 Ibid , p, 12-13

- ضغط اللغتين التجري والتجرنية فعلى سبيل المثال نجد عدد المجموعات المتحدثة بالتجري من بيت طوقي في تزايد وأتوقع ذلك في المتحدثين بالتجرنية من الترقي وكان هذا في السابق فقط في الأحزمة الحدودية إلا أنّ هذا الأمر الآن أصبح يجرف مناطق كثيرة ويزحف إلى الوسط وهو أمر مهدد لبقاء اللغة في المستقبل

- سبقت الإشارة إلى أنّ أحد أهمّ عوامل المحافظة على اللغة هي الأم وكان لدى البلين وعي بهذه المسألة ولذا كانوا لا يشجعون التزواج مع المجموعات القوية المحيطة بهم ماعدا تلك الزيجات التي لها طابع سياسي مع البيوتات الحاكمة في قبائل التجري المختلفة، إلاّ أن هذا الأمر في الآونة الأخيرة قد تغيّر وأصبحت الزيجات أمراً عادياً مع المجموعات الأخرى وترتب على ذلك أمران، من زوجت من البلين إلى المجموعات الأخرى فهي تكون منهم وهي أصلا تعرف لغتهم إلى جانب لغتها. والتي تزوجت إلى البلين أيضاً لا تحتاج إلى تعلم لغة البلين لأنّ المجتمع يعرف لغتها. ففي الأولى الأمر قد يبدو عادياً لكن في الثانية الأمر غريب لأنه يحصل من خلاله اختراق حماية اللغة من الداخل. على كل في كلا الحالتين أن الأبناء سوف لا يتعلمون لغة البلين وسيترتب على ذلك خسارة بالنسبة للغة البلين.

- من العوامل المؤثرة في لغة البلين أثناء حرب التحرير أن كثيراً من مناطقهم كانت مناطق عمليات بين الثورة والجيش الإثيوبي، لذلك فإن كثيراً من سكان الريف في مناطق البلين أجبروا من قبل الإثيوبيين على السكن في المدن مثل كرن عيلابرعد حقات[٢٣١] وغيرها حتى يحرموا الثورة من الحاضنة الشعبية فعلى سبيل المثال نجد كثيراً من سكان جنقرين وحلحل عام ١٩٨٨م انتقلوا إلى كرن

231 Ibid, p. 13

أو هاجروا إلى السودان وبما أنّ هذه المدن يسكنها غيرهم فإنّ استخدام لغة البلين بدأ يقل عندهم بمرور الزمن.

- بسبب اضطراب الحياة في مناطقهم فإنّ كثيراً من أبناء البلين كغيرهم هاجروا إلى خارج إرتريا وخاصة السودان ودول الخليج ولاحقا إلى أستراليا وأوربا وأمريكا وكندا وإن الجيل الأول منهم قد يحافظ على لغته مع تعلمه لغة البلدان التي هاجر إليها إلاّ أنّ الجيل الثاني قليل منهم من يفهم لغته الأصلية، وإن التجارب الإنسانية أثبتت أن الجيل الثالث من المهاجرين في الغالب يفقد صلته بلغة أجداده ما لم تكن هناك جهود كبيرة لتعليم لغة الأم من الجاليات المعنية والاهتمام بالزيارات للبلد الأصل وقد لا يكون ذلك سهلا في الوقت الحالي لكثير من المهاجرين الإرتريين بسبب الظروف السياسية السائدة هناك.

- إن صُوَر التمدن التي لحقت بشباب البلين كغيرهم أثّرت وستؤثر على أَسلوب حياتهم في المأكل والمشرب والملبس وفي المظهر العام مثل طريقة تصفيف الشعر وأشكال الزينة والتخلي عن العادات والتقاليد بما فيها اللغة والنظر إلى هذه الأمور على أنّها مظهر من مظاهر التخلف فإنّ هذا السلوك بلا شك سيؤثر سلباً في اللغة.

- التحول من طبقة إلى طبقة أخرى وإن كان هذا قد لا ينطبق على الكل إلا أن البعض عده من الأسباب المؤثرة في اللغة على سبيل المثال فإن المهاجرين ولأسباب اقتصادية ووظيفية قد يركزون على لغة البلد الجديد دون لغتهم الأصلية لتحسين وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، والمعروف أن المهاجرين في

الغالب يجدون أنفسهم في السلم الاجتماعي الأدنى في البلد الجديد[٢٣٢] وبهذا سيكون هذا الجيل آخر من يتحدث لغته الأصلية في تلك البلدان.

- ومن عوامل ضعف لغة البلين أنّها غير مستخدمة في المؤسسات الرسمية وفي الوسائط الإعلامية المختلفة إلا ما ندر أوفي الأدبيات السياسية والثقافية والدوريات العلمية وغيرها وهذه الأمور تحد من نموها، يضاف إلى ذلك ضعف الإدارات الأهلية والمؤسسات المهتمة بالتراث التي كانت أحد عوامل المحافظة على اللغة في السابق.

بناءً على ماسبق تناوله يعتقد أن لغة البلين مهددة بقلة عدد المتحدثين بها وضعف المؤسسات الأهلية التي حافظت عليها عبر التاريخ، وهجرة البلين بأعداد كبيرة خارج البلاد لأسباب سياسية واقتصادية، وتعرض مواقعهم الأصلية لزحف التجري والتجرنية عليها. من كل ذلك يبدو لي أن لغة البلين اليوم أمام ثلاثة سيناريوهات:

أ- المحافظة على مكانتها دون أن يطالها أي تغيير.

ب- أن يحصل فيها تغيير على شكل من الأشكال لاستيعاب تلك التطوّرات الجارية مع الحفاظ على كينونتها.

ج- تزيد ضعفا فوق ضعفها ثم تتعرض إلى الزوال وتحل مكانها لغات أخرى بعبارة أخرى تتقاسم أرضها التجري والتجرنية.

من منطلق التحليل المبني على التطوّرات التي مرت بها لغة البلين قوةً وضعفاً عبر التاريخ فإن السيناريو الأول والثالث يبدوان بعيدين في الأمد القريب، وإن السيناريو الثاني مع تعديلات هو المرشح والأقرب لحالتها. وبالرغم من الضغط المتزايد على لغة البلين، لكن

---

232 Ibid, p,6-7

بالمقابل أيضاً يلاحظ تزايد وعي البلين على الأقل في العقدين الماضين بالمخاطر التي تحدق بلغتهم وبدأوا بمشاريع إحيائية في شتى المجالات كطرح مشاريع تطوير لغة البلين، والاشتراك في المؤتمرات بالأوراق العلمية وعقد ورش العمل في عدة أماكن على سبيل المثال في استكهولم، لندن، وسويسرا، وألمانيا. كما ظهرت عدة دراسات عن البلين من المتخصصين من أبناء البلين وغير البلين كما أن هناك جهودً مقدرة في مختلف وسائط الإعلام، وقد تزايد الاهتمام بالشعر والأغاني وأصبحت أغنية البلين اليوم تسجل بطريقة عصرية ومنظمة وتصل إلى أكبر عدد ممكن، كما أن التدريس بلغة البلين قد يكون له مثالب في التحصيل العلمي إلا أنّه في البعد اللغوي أفاد لغة البلين، و على الرغم من تلك الجهود المبذولة إلّا أنّه دون مستوى الطموح ولذا مطلوب من الجميع المزيد من الجهود بطريقة منظمة في شتى المجالات وربط بعضها ببعض بصورة تكاملية حتى تؤتي أكلها.

الدين في حلحل بقوص

إنّ تاريخ البشرية لم يخل من المفاهيم الاعتقادية سواءً أكانت هذه الاعتقادات وثنية أم طوطمية تعبد الأشجار والأحجار والحيوانات وغيرها، أو كانت تعبد الخالق، ولذا فإن المعتقدات في الحياة الإنسانية في الماضي والحاضر أمر فطري وأساسي لا غنى عنه.

في إرتريا توجد ثلاثة معتقدات: المسيحية، والإسلام، والوثنية، **الأولى** دين الأغلبية في المرتفعات الإرترية، و**الثانية** تشكل دين الأغلبية في المنخفضات الإرترية، أمّا **الثالثة** فتنحصر في عدد قليل وسط قومية البازا في غرب إرتريا. وبهذا تعتبر الديانتين الإسلامية والمسيحية هما السائدتين وسط قومية البلين، و ينقسم أفرادها بين الديانتين بنسب متفاوتة بخلاف القوميات الأخرى التي ينتمي غالبية أفرادها إلى إحدى الديانتين كما أن أراضي البلين من الناحية الجغرافية تقع في ملتقى المنخفضات والمرتفعات التي تنتشر فيها الديانتان ومن هنا يبدو جليا أنّ منطقة حلحل بقوص قد أثّرت وتأثرت دينيا، وثقافياً، وسياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً بالحضارة الإسلامية القادمة عبر الساحل ووادي النيل، والحضارة المسيحية

الحبشية الأكسومية عبر التاريخ، كل هذه الأمور مجتمعة ظهرت و تظهر انعكاساتها في المجتمع البليناوي.

أولا المسيحية في حلحل بقوص

إن دخول المسيحية إلى الحبشة يعود إلى شابين سوريين من مدينة صور في أرجح الروايات كان الشبابان في طريقهما إلى الهند في قافلة تجارية، وعند وصول القافلة إلى السواحل الإرترية تعرضت لهجوم فغرق جميع من فيها ما عادا الشابين فتم بيعهما إلى أحد ملوك أكسوم فاعتنى بهما، وجعل أحدهما مسؤولاً عن حساباته ورسائله، وجعل الثاني ساقيه الخاص[٢٣٣] "الأمر الذي ساعد الشابين على التغلغل في شئون بلاط الحكم، والتأثير على الأسرة الحاكمة إلى أن وصل (عيزانا) مرحلة الحكم، وأصبح ملكاً على الحبشة، وأعلن اعتناقه للمسيحية واتخذها ديناً رسمياً للدولة"[٢٣٤] وكان ذلك عام ٣٥٠م أي القرن الرابع الميلادي، وقد اعتنق الديانة المسيحية مع الملك عيزانا أقلية.

بدأت المسيحية تنتشر ببطء شديد وسط القبائل الوثنية خلال قرنين من الزمان[٢٣٥] شأن البلين في ذلك شأن المجموعات الأخرى في المنطقة إذ تسربت إليهم المسيحية وإن كان تاريخ اعتناق البلين للديانة المسيحية بالدقة غير معروف إلا أنه يعتقد كان مبكراً، وأن أقدم أثر يدل على اعتناق البلين المسيحية وجد في منطقة عراتوخ في حلحل وهي عبارة عن آثار كنيسة ومعالم أخرى، ويعتقد أنهم كانوا أرثودكس وبقوا على ذلك إلى القرن التاسع عشر الذي تحول فيه بيت طوقي وجزء من الترقي إلى الإسلام، والقسم الآخر من الترقي تحول إلى المذهب الكاثوليكي على يد المبشرين الأوروبيين وبقي قليل منهم على مذهب الأرثودكس. يقول نايدل "حوالي ٥,٠٠٠ تحولوا إلى المسيحية الكاثوليكية، وعدد قليل تحوّل إلى المسيحية

---

٢٣٣ سبي، *تاريخ إرتريا*، مصدر سابق، ص ٣٤

٢٣٤ إيلوس، مصدر سابق. ص ٤٨

٢٣٥ سبي، *تاريخ إرتريا*، مصدر سابق، ص، ٣٤

البروتستانتية، على يد المبشرين، و لا تزال توجد في القبيلة أقلية مسيحية قبطية"[٢٣٦]
ويصف مارتيني اعتناق البلين للمسيحية بالتدين الشكلي دون علم ومعرفة بأساسيات المسيحية، ولا توجد لهم معابد ولا طقوس ولا يعمدون، ويقول : "معتقداتهم الدينية بدائية، لا معابد لهم ولاطقوس. يدَّعون بأنّهم من المسيحيين، وشأن كافة أهل الحبشة يفضلون الموت جوعاً على لحم ذبحه المسلمون، ولكي يكونوا مسيحيين ينقصهم شيء أساسي في الديانة المسيحية سر العماد يكرمون العذراء مريم ويجهلون أنها أم المسيح. عن المسيح ليس لهم فكرة واضحة، ينادونه إذا ما تأخر هطول المطر أو إذا تعرضوا لخطر ما".[٢٣٧]

من غير الواضح عن أي مرحلة يتحدث مارتيني، فإذا كان يتحدث عن وقت زيارته لإرتريا فإنّ المسيحية الكاثوليكية كانت قد توطّدت في كرن، وكانت هناك كنائس ومدارس وإرساليات تبشيرية نشطة؛ فمن غير المعقول مع كل هذه النشاطات أن تغيب عنهم أساسيات المسيحية مثل التعميد وغيره أو لعله كان يتحدث عن فترة سابقة لتلك الفترة، على العموم إن البلين في المنطقة مثلهم مثل المسيحيين الآخرين يعتريهم الضعف والقوة وعلى الرغم من ذلك حسب علمي إن البلين من القرن التاسع عشر أقاموا مؤسساتهم الدينية من كنائس ومدارس بمساعدة من الإرساليات الكاثوليكية تخرج منها عدد كبير من أبنائهم.

عن أسباب تحول بعض البلين إلى الكاثوليكية فإن الإرساليات الغربية المعروفة بإرساليات بقوص وغيرها لعبت دورا كبيرا في نشر المذهب الكاثولوكي وسط بلين ترقي وعلى رأسهم الأب استيلا وآخرون وقد وصل الأب استيلا ومعه سابيتو إلى بقوص عام ١٨٥١م بعد أن طردا من إقليم تجراي وأسسا بعثتهما في بقوص عام ١٨٥٢م ومما ساعدهما عدم وجود قساوسة منافسين لهما من أبناء البلد آنذاك[٢٣٨]. أمّا بالنسبة لأهل البلد فإن سبب قبولهم المذهب الكاثوليكي كان بسبب سوء العلاقة بين البلين والزعماء المسيحيين في الهضبة

---

٢٣٦ نايدل، مصدر سابق. ص ٤٦

٢٣٧ فرديناندو مارتيني، مصدر سابق. ص، ١١٥

238 Michael Ghaber , Op.Cit.p.١٩-20

الحبشية والحاكم المصري في التاكا الذين كانوا يقومون بغزو مناطق البلين بين حين وآخر وقد جاء قبولهم في هذا السياق طلباً للحماية من تسلط تلك القوتين، يقول جلال الدين محمد صالح "حدثني الأستاذ فسها ناير وهو ممن تلقى تعليمه في الإرساليات الكاثوليكية بكرن: إن اعتناق بعض البلين للمذهب الكاثوليكي إنما جاء هروبا من هيمنة سلطة الأرثودوكس في الهضبة الحبشية، وهيمنة السلطة الإسلامية في مملكة الفونج"[٢٣٩].

أصبحت كرن المكان الذي ينصب ويقيم فيه راعي الكنيسة الكاثوليكية في عموم إرتريا، وإن كان قد حدثت بعض المحاولات لأخذ هذه الصفة من مدينة كرن ليكون مكان التنصيب والإقامة للراعي في المرتفعات الإرترية، الأمر الذي لم يقبله البلين وثاروا ضده، بل هددوا بالانتقال إلى الإسلام وتحويل الكنائس إلى مساجد إلى أن تدخل الفاتيكان واقترح حلا وسطا بينهما وهو بقاء عملية التنصيب في كرن، أما الإقامة في سكن الراعي حيث شاء[٢٤٠] هكذا استطاع البلين أن يبقوا هذه المزايا الدينية في مدينتهم. من أشهر الكنائس في كرن الكاتدرائئة الكاثوليكية في وسط كرن، وقدوس مكائيل، والقديس انتونيو، وكذلك تمثال مريام طنقولاحس المقدسة لدى البلين الكاثوليك، وللأرثودكس كنيستان، القديسة مريم، ومدهاني ألم، ومثلهم أيضاً هناك كنائس للطائفة البروتستانتية هذا في مدينة كرن أمّا في ضواحيها فتوجد كنائس في كل من عيلابرعد، وحليب منتل، وشنارا، ورورا بيت قبرو، وجلاس، وبقوا، وحقات، وأشرا، كما توجد هناك كنيستان صغيرتان في مناطق بيت طوقي في جنقرين في قرية عد أبدا، وفي حلحل لمجموعة صغيرة من عد حربوي. وأشهر رجال الدين المسيحيين من البلين أبا تخلي ماريام سمهراي، القسيس تسفاماريام بدهو، أبا كفلي ماريام فازقا وآخرون.

---

٢٣٩ جلال الدين محمد صالح، مصدر سابق. ص ٤١٢

٢٤٠ جلال الدين محمد صالح مصدر سابق، ص، ٤١٣

وصل المبشرون الغربيون إلى بقوص على الأقل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي من فرنسا وإيطالية و لاحقا من دول أخرى، ومن أشهر المبشرين الأب استيلا الذي وصل إلى بلاد بقوص عن طريق المنسع وكان معه سابيتو وأسسا بعثة بقوص ١٨٥٢م كما سبقت الإشارة إليهما، وكان الأب استيلا كاثوليكيا وبدأ دعوته وسط بلين الترقي ويعتقد أنه أول من أدخل المذهب الكاثوليكي إلى بقوص وتبعه رهبان فرنسيون آخرون وقد تزايد نشاطهم في كل من بقوص وأكلي قوزاي، واستمر نشاطهم دون توقف حتى وصول الإيطاليين الأمر الذي كان قد تضايق منه بعض رجالات إيطاليا في المستعمرة مثل أدولفو روسيني ومارتيني[٢٤١] ولاحقا عملوا على إخراج العازاريون الفرنسيون من إرتريا، في نظر الإيطاليين فإن العازاريين قد ساءهم ذلك ولذا حرضوا بهتا حقوص للتمرد عليهم. يقول في ذلك مارتيني "يقال إن العازاريين الفرنسيين هم الذين أثاروه ضدنا، وقد ساءهم إخراجهم من إرتريا وهذا ممكن لأنّ بهتا حقوس كان يحب العازاريين الذين اعتنق على أيديهم الديانة الكاثوليكية. وكان قد ساهم في بناء كنيسة لهم في الأكرور. وكان يزورهم باستمرار"[٢٤٢] ومهما يكن من الأمر فإن البعثات الفرنسية قد تركت وراءها المؤسسات التي أقامتها في بقوص وقد استفاذ منها أبناء البلد وما زال البعض منها قائما إلى يومنا هذا على سبيل المثال مدرسة قدوس مكائيل في كرن لعالاي وغيرها.

مثل التبشيريين الفرنسيين فإن البعثات الإيطالية الكاثوليكية كانت قد نشطت في بقوص وسبقت مجئ الاستعمار الإيطالي بعشرات السنين فقد وصل الأب استيلا وصاحبه سابيتو بقوص عام ١٨٥٢م وأسسا بعثة بقوص وكانا قد قدما من منطقة التجراي لعدم الترحيب بهما هناك فجعلا بقوص منطقة انطلاق نشاطهما، بمرور الزمن تزايد نشاط

---

٢٤١ أدولفو روسي، *إرتريا اليوم، مذكرات رحلة بعد معركة أغوردات*، ١٨٩٤م، ص ٨٢. فرديناندو مارتيني، مصدر سابق، ص ١٢٣

٢٤٢ فرديناندو مارتيني، مصدر سابق، ص١٠٤-١٠٥

البعثات الإيطالية في بلاد بقوص وأنشئتت عدة مدارس في أوقات مختلفة مثل سانتا انتونيو، ومجموعة لاسالي في كرن لعالاي، كذلك ظهر لاحقا في بلاد بقوص وجود للمذهب البروتستاني الذي كان مقره في رورا منسع وكان له فرع في كرن، وقد تكون هناك بعثات أخرى في كرن لم يتم ذكرها.

إنّ كثيراً من هذه البعثات قد واصلت نشاطها في المرحلة الفيدرالية وفي فترة الاستعمار الأثيوبي نذكر من مؤسسات هذه البعثات على سبيل المثال مدرسة قدوس مكائيل، مدرسة بادري، مدرسة الصم والبكم، دار رعاية الأيتام والمشردين التي أسسها مستر هيو وغيرها، كل هذه المدارس والمؤسسات الأخرى ساهمت في تجذر الديانة المسيحية وفي تزايد وعي المعتنقين للديانة المسيحية من البلين وغير البلين في المنطقة، وتخرج منها عدد كبير من القساوسة من أبناء البلد، كما ساهمت أيضاً في تعليم أبناء البلد الذي أدى بدوره إلى تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي لهم.

الإسلام في حلحل بقوص

لا يمكن الحديث عن الإسلام في منطقة حلحل بقوص دون التعرض لتاريخ العلاقة بين شعوب الجزيرة العربية وشعوب المنطقة الحبشية بشكل عام وإرتريا على بشكل خاص، كانت الموانئ الإرترية تستقبل الهجرات العربية المتجهة صوب البر الإفريقي، كما أنها كانت نقطة إلتقاء لتجار الشاطئين الشرقي والغربي للبحر الأحمر، ويؤكد ذلك ما بلغنا من أخبار العصر الجاهلي كإشارات طرفة بن العبد البكرى إليها وإلى سفنها في معلقته العصماء، وتغنى شعراء الجاهلية برماحها السمهرية التى كانت بمثابة الصواريخ في العهود الغابرة [٢٤٣] وجاء في كتب التاريخ كلام مطابق للشعر الجاهلي إذ يقول اليعقوبي "ولم تزل العرب تأتي إليها

---

٢٤٣ برحتو، محمد سعيد. *دراسات إرترية نحو ميثاق التحرر الوطني*. الخرطوم: المركز الإفريقى للدراسات والإعلام، ١٩٩٠، ص. ٢٠

للتجارة، ولهم مدن عظام وساحلهم دهلك"[٢٤٤] أمّا الطبرى فيقول: "ولقد كانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، ويجدون فيها رفاغة من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً"[٢٤٥].

يفهم مما تقدم أنّ جزيرة العرب كانت ترتبط بعلاقات تجارية مع الحبشة عبر التاريخ، وكان العرب على علم بأحوالها السياسية، والتجارية، ولعل هذا ما شجع الرسول ﷺ أن يأمر أصحابه بالهجرة إليها، هرباً بدينهم من أذى كفار قريش لهم، وقال لهم ﷺ إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وأرضها أرض صدق، فهاجر إليها الصحابة رضوان الله عليهم فراراً بدينهم وما أن حلت أقدامهم أرض الصدق حتى لاقوا مقاما طيباً بجوار النجاشي، وعاشوا في كنفه حتى عادوا منها في السنة الثامنة للهجرة[٢٤٦]. هكذا دخل الإسلام إلى إرتريا قبل أن يدخل إلى المدينة المنورة، وإن كان لايعرف إلى أي مدى أثَّرَتْ هذه الهجرة على سكان الحبشة بما فيها المنطقة الإرترية وذلك لقلة الوثائق التاريخية في الفترة الواقعة بين القرن السابع إلى القرن الثاني عشر الميلاديين ما عدا أخبار قليلة هنا وهناك، وعلى قلتها اتسمت بالعمومية وبعدم الدقة والوضوح، إلا أنّ الشيء المؤكد أنّ هذه الهجرة تركت أثراً إيجابيا في علاقة الإسلام مع الحبشة تاريخيا حتى أنّ المسلمين استثنوا الحبشة من أرض الجهاد دون سواها.

دخلت السواحل الإرترية تحت نفوذ الدولة الإسلامية في فترة الحكم الأموي، مما هيأ لهجرات أخرى إليها من المنطقة العربية لأسباب مختلفة، أهمها: العامل الاقتصادي لما كانت تجود به المنطقة الإرترية، ومنطقة الحبشة بشكل عام من مختلف الثروات الطبيعية، وهجرات أخرى كانت اضطرارية لعوامل سياسية كالمجموعات التي هربت من بطش الأمويين، والعلويين المعارضين لحكم العباسيين، وغيرها من الانشقاقات التي شهدتها الدولة الإسلامية التي تسببت في هجرة بعض الفرق الإسلامية، أو القبائل هرباً من اضطهاد واقع أو

---

٢٤٤ اليعقوبي. *تاريخ اليعقوبي* ج١ .بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢،ص ١٩٣

٢٤٥ الطبري. *تاريخ الرسل والملوك* ج٣ .مرجع سابق، ص ٣٢٨

٢٤٦ ابن كثير. *البداية والنهاية* ج٣. مصدر سابق، ص ٦٩-٧١

محتمل.[247] كما أنّ بني أمية قد اتخذوا جزيرة دهلك الإرترية منفى للعناصر التي سخطوا عليها وذلك لبعدها، وشدة حرها، كنوع من العقاب[248] وكان من هؤلاء المهاجرين شعراء، وقادة سياسيون، وفقهاء استقروا مع السكان الأصليين في المدن الساحلية الإرترية، وانفتحوا عليهم وصاهروهم، ونشروا الإسلام والثقافة الإسلامية بينهم[249] وأقاموا سلطنات إسلامية مزدهرة في دهلك والشواطئ الإرترية الأخرى منذ القرن الثامن الميلادي كما يقول كونتي روسيني وجسمان جاسلو وآخرون[250] وكانت هذه المدن الساحلية الإرترية محطة انطلاق لتوغل المسلمين إلى عمق الحبشة، وعبرها توغلت المجموعات التي أسّست أول مملكة إسلامية في شوا عام ٨٩٧م، و المجموعات الأخرى التي أقامت مملكة إيفات الإسلامية التي أصبحت فيما بعد من أقوى ممالك الطراز الإسلامي في ديار الحبشة.

من ناحية أخرى فإنّ انتشار الإسلام في إرتريا لم يكن مقصوراً على البوابة الشرقية فحسب، بل بدأ ينتشر فيها من المنخفضات الشمالية والغربية عبر قبائل البجة التي تمكن الإسلام فيها، في عهد الحكم العثماني لتلك المناطق وحكم الأسرة السليمانية في الحبشة و التي سعت الأخيرة منذ البداية للسيطرة على شواطئ البحر الأحمر وطرق التجارة فيها، سواء كانت وحدها أو بالتحالف مع ملوك أوروبا، الأمر الذي أدخل المنطقة في صراع دولي وخاصة بين البرتغال والدولة العثمانية واللتين دخلتا في حروب في المنطقة، وتمكّنت القوات البحرية العثمانية عام ١٥٥٧م من السيطرة على السواحل الإرترية وطرد البرتغال نهائيا، ودخلت هذه المناطق مباشرة تحت نفوذها والتي تنازلت منها لاحقاً للإدارة المصرية مقابل ضريبة سنوية.

في ظل الإدارة المصرية ازداد تقدم الإسلام ونموه في إرتريا، وقامت الإدارة المصرية بإصلاح شؤون القضاء والافتاء في إرتريا، واستقدمت لهذا الغرض علماء شرعيين من مصر

---

٢٤٧ أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الاسلامي**، ط٣.(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨). ص١٨٥

٢٤٨ ناود، ***العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي***. مصدر سابق ص ١٤١-١٤٢، وانظر حاشية رقم ٣ لليعقوبي، ***البلدان***، بيروت : دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢. ص١٥٥

٢٤٩ ناود، ***العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي***، مصدر سابق ص ١٤١-١٤٥

٢٥٠ سبي. **تاريخ إرتريا**. مصدر سابق، ص١١٢

والسودان، وربطت المسلمين الإرتريين بمحيطهم الواسع، أيّ بمسلمي وادي النيل، وسهلوا لهم الالتحاق بالمؤسسات العلمية الرائدة فيها كالأزهر الشريف، والمؤسسات الأخرى. ترافق مع ذلك تدفق التجار المسلمين، ورجال الدين من الحجاز، وحضرموت ودول أخرى إلى إرتريا[٢٥١] ومن هنا يبدو جليا أنّ المجتمعات القاطنة في المنطقة الإرترية قد أثّرت وتأثرت ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعيا بالجزيرة العربية، وبمسلمي وادي النيل، وبالدولة الحبشية التاريخية (إثيوبيا) عبر التاريخ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

كل هذه الأمور مجتمعة أثرت في تطوّر الإسلام والمسلمين في إرتريا، ومع ذلك فإن قوة التأثيرات الخارجية لم تحل دون إيجاد مؤسسات إسلامية ذات طابع محلي، كأنشطة شبكة الطرق الصوفية، والأسر الدينية، وكان أشهر هذه الأسر عد شيخ[٢٥٢] في الساحل، وسيدنا مصطفى في بركة، وعد معلم وعد درقي في غرب وشمال إرتريا، وعد شيخ إبراهيم الخليل في طيعوا دنكاليا، وعائلة كبيري في الهضبة وغيرهم[٢٥٣]، وقد لعبت هذه البيوتات الدينية، والطريقة الختمية دوراً رائداً في نشر الإسلام ونهضته في إرتريا، وخاصة في النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي، وهي الفترة التي شهد فيها الإسلام انتشاراً واسعاً وسريعاً، فتحولت قبائل الحباب بفروعها الثلاثة "بيت أسقدي، وعد تكليس، وعد تماريام"، وقبائل المنسع، والماريا، وبيت جوك، ومن البلين قبائل بيت طوقي، وفروع من الترقي إلى الإسلام، وأصبح للمسلمين الجبرتا وجود واضح وقوي في الهضبة، وما أن حلت نهاية القرن التاسع عشر حتى أصبح جميع سكان المنخفضات الإرترية مسلمين باستثناء الكوناما وجزء من البلين[٢٥٤].

---

٢٥١ ميران، **نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا**، مصدر سابق، ص ٦ – ٧

٢٥٢ إن كلمة "عد" بلغة التجري تعني "آل" فلان أو بلدة كذا

٢٥٣ ميران، ***نظرة تا ريخية عامة على الإسلام في إرتريا***، مصدر سابق، ص ٢. و سبي، ***تاريخ إرتريا***، مصدر سابق، ص ١١٨

٢٥٤ ميران، ***نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا***، مصدر سابق، ص ٤

يمكن عزو تحول البلين إلى الإسلام في تلك الحقبة إلى سوء العلاقة بين المجتمعات في المنخفضات الإرترية بما فيها البلين والزعماء المسيحيون في الهضبة الذين كانوا يقومون بغزو هذه المجتمعات بين حين وآخر، فإن قبول بيت طوقي للإسلام وقبائل كثيرة من المتحدثين بالتجري جاء في هذا السياق يقول جوناثان ميران وهو يتحدث عن تلك القبائل وعلاقتها بالزعماء المسيحيين في الهضبة : "كان الزعماء المسيحيون لشمال إثيوبيا يقومون بغزو هذه المجتمعات على فترات متقطعة لكن بدأب ومثابرة في محاولة منهم لاخضاعها سياسياً، واستغلالهم اقتصادياً، فالتحول إلى الإسلام ورسوخه في أوساط المجتمعات المتحدثة بالتجري جاء في هذا السياق، وقد أكسب هذه المجتمعات إلى جانب الهوية الجديدة، قوة السيطرة والهيمنة المضادة، كما أكسبها أيديولوجيا شكلت لها مصدرا للسلطة ومنحتها المشروعية السياسية"[٢٥٥]. ما قاله ميران في التجري ينطبق أيضاً على قبائل البلين وخاصة قبائل بيت طوقي، كما أنّ كثيراً من السنحيت تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي وهو خلاف المذهب الأرثودوكسي الذي كان وما زال سائداً في الحبشة الأمر الذي يوحي بقدرة البلين على التكيف والتعامل مع المخاطر التي كانت تحدق بهم بدأب ومثابرة مع الحفاظ على كينونتهم فقد استطاعوا تجاوز تلك المراحل بكل انكساراتها وانتصاراتها.

بدأ الإسلام ينتشر في بلاد حلحل بقوص منذ النصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي وبمرور الزمن رسخ الإسلام وسط هذه المجموعات وأكسبهم شعور الانتماء إلى أخوة عالمية، من دون أن يكلفهم ذلك الانسلاخ من بيئتهم وعاداتهم التي كان الإسلام يتسامح إزاءها مالم تتصادم مع أساسياته، كما مزج الإسلام بين المجموعات المسلمة المختلفة في إرتريا الأمر الذي نتج عنه تكوين هوية جديدة ذات وعي بالذات الإرترية المسلمة تعمل لأهداف مشتركة

---

٢٥٥ ميران، *نظرة تاريخية عامة على الإسلام في إرتريا*، مصدر سابق، ص ٤.

Negash, Tekeste *Eritrea and Ethiopia: The Federal Experience*. op.cit, p 18

أدت إلى تحديد ملامح الهوية الإرترية ودفعت إلى تأسيس الحركة الوطنية في مرحلة تقرير المصير في الأربعينيات والكفاح المسلح في ستينيات القرن الماضي.

على العموم فإنّ الاتجاهات التي ساهمت في انتشار الإسلام في حلحل بقوص هي الطرق الصوفية المتمثلة في البيوتات الدينية والطريقة الختمية لا سيما المراغنة الذين سبقت الإشارة إليهم، الخلاوي القرآنية، خريجو مراكز الإشعاع الإسلامي مثل أَلْقَدِينْ، المساجد وحلقاتها العلمية، وحلقات الذكر (المديح)، و الاحتفال بالمناسبات الدينية كالأعياد والمولد والمعراج وعاشوراء وشهر رمضان واحتفالاته (العاياد)، من منظور إطعام الطعام في رمضان، والعيد وزيارة الأهل و الأقارب والأدعية التي تقال في العيد، وما يعمل في الأتراح والأفراح المرتبطة بالثقافة الدينية، وغيرها أمور كثيرة يصعب تناولها بالتفصيل في هذه المساحة المحدودة، ولاحقاً لعبت المعاهد والمؤسسات الإسلامية في إرتريا والسودان والأزهر الشريف والجامعات السودانية والسعودية وجامعات الدول العربية الأخرى، كل هذه المؤسسات والممارسات التي سبقت الإشارة إليها لعبت دورا كبيراً في ترسيخ الإسلام في حلحل بقوص.

مراكز الإشعاع الديني في حلحل بقوص

إنّ العناصر التي ساهمت في الإشعاع الديني في منطقة حلحل بقوص عبر التاريخ كثيرة ويمكن ذكر الأهم، منها: المسجد ودوره في نشر الثقافة الإسلامية، الخلاوي القرآنية، المعاهد الإسلامية، دور الدعاة والمعلمين.

المساجد

إنّ المساجد تلعب دوراً كبيراً في بث الوعي والثقافة الدينية إضافة إلى الصلوات تعقد فيها غالبا حلقات الذكر (المديح) والاحتفال بالمناسبات الدينية كالأعياد والمولد والمعراج وعاشوراء وغيرها، والمساجد الموجودة في حلحل بقوص كثيرة ففي كرن فقط يوجد أكثر من

اثني عشر مسجداً تقام فيها الجمعة والجماعة، من أقدمها مسجد كرن العتيق الذي بني في وسط القرن التاسع عشر الميلادي، و أكبرها مسجد الصحابة وهو مسجد جديد بني على نفقة دولة قطر قبل سنوات قليلة، والمساجد الأخرى موزعة في أحياء كرن المختلفة، ويوجد عدد من المساجد في مدينة حقات، وثلاثة مساجد في أنجونا في حلحل، ومسجد في كل من متكلأبي، ومسجدان في ماي أوالد، ومسجد في قبي ألبو، وفي ليبنا، وفي دادو، وحبوب، وبركنتيا، وفي عيلابرعد، أجربب، رورا بيت فبرو، لنشيا، إنطيناق، حرستاي، فردقي، وغيرها.

الخلاوي القرآنية

الخلاوي القرآنية هي أحد أهمّ المحاضن الإسلامية في المجتمع المسلم و إرث ثقافي عريق يتوارثه الناس أبا عن جد، ويحرص الآباء على إرسال أبنائهم إليها، وهي تعتبر المحطة الأولى لتربية النشء، يشرف عليها وجهاء القوم، ويقوم بالتعليم فيها مشايخ كرام، وقد أبلى مشايخ الخلاوي في حلحل بقوص بلاءً حسناً في تعليم النشء القرءاة والكتابة وكيفية قراءة القرآن بطريقة صحيحة ؛ ولذا طلاب الخلاوي لا تواجهم صعوبة في مراحلهم التعليمية اللاحقة ؛ فإن أوّل ما يتعلمه الصبيان في الخلوة كتابة الحروف، وبعد إتقانهم للحروف يبدؤون الكتابة في اللوح الخشبي بدءاً من سورة الناس وكلما أكمل جزءاً يعمل صدقة (شرافة) حسب استطاعته من الأكل يقدمها لزملائه في الخلوة، ويذبح القادرون منهم شاة عند إتمامه الربع الأول من القرآن، ويذبح الميسورون منهم ثوراً عند ختم القرآن كاملا، ويزين اللوح بنقوش مزخرفة شبيهة بالتي في المصحف عند سورتي الفاتحة والبقرة ولا تمسح النقوش حتى إكمال صورة البقرة ومن ثم يقام احتفال مهيب يحضره الأقارب والجيران وطلاب العلم.

سأذكر هنا بعض الخلاوي حسب المعلومات المتوفرة لديّ دون ترتيبها بزمن أو أهمية، وعلى وجه التقريب فتح الخلاوي بدأ في مناطق البلين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ففي البداية جلبوا الشيوخ من المناطق المجاورة لهم وبعد فترة وجيزة أصبح من يقومون بهده المهمة أبناؤهم، من هذه الخلاوي خلوة عد مجذوب في عونا في منطقة عد

قبشا، خلوة عد سماير في عد سمرعين، خلوة ود شقراي في منطقة عد حزباي، خلوة سيدنا إدريس ادم في قبي ألبو، خلوة سيدنا جمع سليمان كامل في إنجونا، خلوة جامع حلحل في إنجونا التي كان يشرف عليها فقه عثمان إبراهيم إضافة إلى خلوته التي افتتحها في داره في قلاي و قد لحق الباحث بخلوة جامع حلحل في ثمانينات القرن الماضي وكان شيخها آنذاك صالح إبراهيم علي طوراي، خلوة فقه ادم عمر سمرالعون في ماي كلم وكان الباحث أيضا أحد طلابها في ثمانينيات القرن الماضي، خلوة صالح همجاي في ماي أوالد، خلوة يس حامد في قلاي، خلوة محمد نور سفاف في أرإس، خلوة محمد عبد الله حاج إبراهيم في عنجوت، خلوة موسى إبرهيم علان في متكلأبي، خلوة محمد عبده الشيخ أيضاً في متكلأبي، خلوة إدريس محمد موسى نصر الدين في سافلخ، خلوة فقه ادم أسناي في سروا، خلوة حمد دامريب وأيضا خلوة محمد عمر عبد النور في سروا، خلوة محمد نور علي محمد درملي في شيراروا في ششة، خلوة محمد علي محمد أمحراي في يب كرخ، خلوة طعد كرخ التي تناوب عليها كل من عبد الله بخيت درار و إسماعيل عثمان ادم وحسن شوماي، خلوة يس حاج على إزاز وحسن مسعود في شرالوا ودقي عد حربا، خلوة صالح انصرا في ترنقو، خلوة ادم حاج في أفطروق، خلوة شيخ عمر في حبوب، خلوة الشيخ محمد عثمان صالح في قارسقر والتي درست فيها لعام كامل في بداية ثمانينيات القرن الماضي وخلاوي أخرى في كل من طروم، أردا، معركي، بركنتية وحبوب، وزرون وغيرها. أما الخلاوي في مناطق السنحيت فتوجد خلوة في كل من رورا بيت قبرو، أخور كدانة، انطيناق، فردقي، لنشيا، حرستاي، وعيلابرعد، وحقات، وعدد كبير من الخلاوي في مدينة كرن وغيرها.[٢٥٦]

---

٢٥٦ يعود فضل جمع أسماء الخلاوي و شيوخها لمحمد جمعة اسماعيل في منطقة حلحل، وحسب الله حدقاي في منطقة جنقرين وبرهان جابر وحامد محمد إبراهيم في منطقة السنحيت.

المعاهد الإسلامية في حلحل بقوص

من المعاهد التي نشطت في تعليم الأجيال في المنطقة معهد الدين الإسلامي بكرن، ومعهد أصحاب اليمين في كرن، ومعهد عنسبا في كرن، ومعهد الضياء الإسلامي بكرن، ومعهد السلف الصالح في حقات، أما عن فتح المعاهد في حلحل وعنسبا في ستينيات القرن الماضي فيقول صالح كسوراي إنه قد فتح عام ١٩٦٩م معهد بمنطقة متكلأبي وكان الطلاب يأتون إليه من أرإس ومتكلأبي وانجونا، وبعد مناقشة المسؤولين في المنطقة وخاصة محمد على عبيلوا الذي كان المسؤول المالي في المنطقة الثانية، ولفتح المزيد من المعاهد في المنطقة قد اختير كل من أحمد حامد سعد الله بقرية جنقنيت، وأحمد محمد على فرج الله بقلاي بأرإس، ويونس محمد نور عشكراي بمنطقة عد حزباي، ومحمد حامد أبوبكر يونس بماي أوالد، حسب الله محمد على بخيت بأفطروق عنسبا ليقوموا بهذه المهمة، واستمرت هذه المؤسسات بالتدريس لعامين وتوقفت بسبب تعرض المنطقة للحرائق والإبادة من قبل الجيش الإثيوبي، وفي عام ١٩٧٦ تمت إعادة فتح معهد متكلأبي، في عام ١٩٧٧ افتتح المعهد الإسلامي في حلحل والذي واصل في أداء رسالته إلى عام ١٩٨٨م الذي فيه تعرضت المنطقة لتدمير للمرة الثالثة من النظام الإثيوبي وقد رحل سكانها ولم يعودوا إليها إلا بعد التحرير، وفي عام ١٩٩٢ تمت إعادة فتح المعهد تحت اسم معهد الضياء الإسلامي بحلحل لكنه توقف لاحقا[٢٥٧]، اعتقد أيضاً أن معهد أفطروق فتح مرة أخرى ليواصل رسالته وكان يدرس فيه حسب ما أذكر الأستاذان ادم حاج ويس حامد نور، ومثله كانت هناك معاهد أخرى مثل المعهد الإسلامي في ليبنا، والمعهد الإسلامي في دادو، ومعاهد أخرى غيرها، الجدير بالذكر أن كل هذه المعاهد قد أغلقت أبوابها بسبب الظروف الذاتية وأخرى مفروضة عليها ما عدا تلك الموجودة في مدينة كرن.

---

٢٥٧ حديث الأستاذ صالح على بخيت كسوراي يوم ١٠-٥-٢٠١٧

الدعاة والمعلمون

الجيل الأول من الدعاة الى الله في بيت طوقي حسب بعض المعلومات الشفهية ظهروا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي فمثلا من الأوائل الذين طلبوا العلم الشرعي محمد حمد فكاك المعروف بمحمد جحل و يقال لقب بالجحل نسبة لسمرة بشرته الشديدة، تعلم في مناطق بركة والسودان عندما عاد إلى أهله افتتح خلوة وجلب لها شيخا وقام بالإمامة وتعليم الناس لأمور دينهم، وأعطيت له الخلافة من المراغنة ليكون الخليفة في أهله عد حزباي، وحج إلى بيت الله الحرام في ذلك الوقت وذريته اليوم معروفون بعد جحل أو عد خليفه أو عد حاج[٢٥٨] ، ومثله أيضاً إبراهيم فكاك دمساس والمعروف بخليفة طلب العلم في منطقة القدين والسودان ثم عاد إلى أهله بعد أن أخذ قسطا من العلم الشرعي وعين على أهله عد تسي خليفة من قبل المراغنة، من الجيل الثاني تقريبا في أوائل القرن العشرين وعلى رأس هؤلاء، ادم عثمان مركي ويعرف بحاج يقال كان فقيها ضليعا طلب العلم في بركة والسودان و ذهب للحج مشيا على الأقدام، وسيدنا حمد داير كان عالما وفقيها وكان أول مأذون شرعي في أورطة العرب الشرقية ومقر رآستها كان في شرق السودان.

وآدم أبوبكر نتاباي الذي درس القرآن مع والده ثم انتقل إلى خلاوى ألقدين في عام ١٩١٨ ثم سبدرات وفيها حفظ القرآن ومنها إنتقل إلى منطقة أم شجرة في القضارف ودرس الفقه المالكي ومن ثم عمل قاضيا في مدينة القضارف ثم جند في قوة دفاع السودان في عام ١٩٢٤ ضمن أورطة العرب الشرقية وبعدها عاد إلى كرن ثم حلحل منطقة قنو وفيها فتح خلوة ودرّس فيها القرآن والفقه المالكي لأبنائه وأهل تلك المنطقة وكان حريصاً على تعليم أبنائه فألحقهم في الأربعينيات بالمدارس العربية التي فتحت في كرن.[٢٥٩]

---

٢٥٨ حديث حفيده محمد أبوبكر جحل المقيم باستراليا

٢٥٩ المصدر مقابلة مع حفيده عبد الله إسماعيل آدم بتاريخ ٢٠-٩-٢٠١٧.

سيدنا إدريس آدم كانت له خلوة لتعليم القرآن في قبي لبو وكان يقوم بالإرشاد والدعوة في أهله، سيدنا جمع سليمان كامل طلب العلم وحفظ القرآن وهو كبير السن، ثم عاد إلى أهله وفتح خلوة وكان يقوم أيضاً بمهة الدعوة والإرشاد، ومثله في طروم إدريس أمحراي أكتي الذي درس في ألقدين، وسيدنا أحمد محمد عثمان في إردا.

وسيدنا محمد جمع على طروم منعاي عاش ودرس في إقليم ولو في إثيوبيا وتزوج هناك ثم عاد إلى حلحل وأصبح أوّل إمام لجامع حلحل الكبير وهو يعتبر من الدعاة المصلحين في حلحل، حارب كثيراً من العادات الجاهلية في القبيلة والتي لها صلة بالوثنية والمسيحية في الزراعة وفي الأعراف الاجتماعية في الأفراح والأتراح، وكان قد وجد احتراماً ودعماً من كوليري عبي في كثير من برامجه الإصلاحية وشجعه وحمل الناس على الأمتثال لتوجيهاته كان معروفا بالورع يقضي ليله في العبادة ونهاره في تعليم الناس.[٢٦٠]

فقه عثمان إبراهيم بدأ مشوار تعليمه في خلوة آل مجذوب ثم هاجر إلى السودان لطلب العلم واستقرّ به المقام في خلاوي عطبرة فقرأ القرآن وجلس في الحلقات العلمية المختلفة للتفقه في الدين هناك وبعدها عاد إلى أهله ثم أصبح مشرفا على خلوة جامع حلحل في إنجونا ثم فتح خلوة أخرى في داره في قلاي، وكان إمام وخطيب المسجد العتيق في حلحل لزمن طويل، وكذلك كان مأذونا شرعيا يعقد عقود القران، ومعلما في معهد حلحل كما كان مرشداً اجتماعيا يحل الخلافات ويقدم النصح للجميع [٢٦١] إن كاتب هذا السطور تتلمذ على يده في النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي في معهد حلحل وعرفه عن قرب فقد كان نقي السريرة سليم اللسان متواضعاً يحب الخير للجميع رحمه الله رحمة واسعة.

عثمان بره موسى من العلماء المتفقهين في الدين وكان مفتياً في كل حلحل تقريبا.

---

٢٦٠ المرجع محمد جمعة اسماعيل طلوق وعبد الله إسماعيل آدم.

٢٦١ المصدر ابنه محمد الفكي عثمان ١٠-٥-٢٠١٧.

أمّا في منطقة رورا بيت قبروا وحواليها يقول حامد محمد إبراهيم، كان لعد الشيخ محمد عثمان القادمين من الساحل دور كبير في الجانب الدعوي والتعليم التقليدي فيها فكان الشيخ محمد أحمد محمد عثمان ومعه من أهل البلد الشيخ إدريس جمع أري ينشطان في المنطقة الواقعة من قزباند إلى مقارح و الشيخ حامد محمد عثمان في هضبة رورا بيت قبروا والشيخ الأمين محمد عثمان في منطقة حقات وحواليها، أما في منطقة انطيناق كان ينشط فيها محمد جمع نقاسي خليفة المراغنة في تلك المنطقة، وفي بقو كان الشيخ خليفة عمر عامر وهو أيضاً خليفة المراغنة في المنطقة وكان رجلا حكيما بليغا يحسن الكلام ويجذب مستمعيه.[٢٦٢]

من علماء البلين وأعلامها القاضي أبوبكر صالح عبد الله قبرماريام درس في أم درمان وبعد تخرجه عاد إلى كرن ودرّس في المعهد الديني الإسلامي وبعدها أصبح قاضياً وانتقل إلى مناطق مختلفة في إرتريا وكان فقيها ضليعاً في المذاهب الأربعة وبحراً في اللغة العربية، وكان له أسلوب جذاب في التدريس وكان شجاعاً لا يخاف لومة لائم في الحق والباحث يذكر ذلك من واقع معايشته وتتلمذه على يده في معهد الدين الإسلامي بكرن لسنوات طويلة.

الشيخ محمد آدم هو من أهلنا الزاقر من مواليد حلحل وترعرع في مدينة حقات درس في أم درمان ثم عاد إلى إرتريا ونشط في الدعوة العامة يتنقل من منطقة إلى منطقة داعياً إلى الله، وكان رجلاً حكيماً عالماً وخطيباً فصيحاً لا يبارى، له أسلوب جذاب، فكان له قبول عند الناس على مستوى إرتريا. وكانت محاضراته العامة محطة اهتمام الناس الذين تكتظ بهم، وغالبا كانت تنظم في مساجد أسمرا وكرن ومصوع وغيرها وفي المناسبات العامة كالمولد والحوليات والمناسبات الأخرى، وكان المحتل يتضايق منه لأنّه كان من الشخصيات العامة وذات الشهرة في إرتريا ولذا تعرض الشيخ محمد آدم للسجن فاحتج الناس على سجنه على رأسهم مفتي الديار الإرتري آنذاك الشيخ إبراهيم المختار الذي كتب رسالة إلى السلطات

---

٢٦٢ حامد محمد إبراهيم بتصرف من المادة التي أرسلها للباحث بتاريخ ١٨ -٣-٢٠١٧.

يطلب فيها إطلاق سراح الشيخ محمد آدم، خرج الشيخ محمد آدم من السجن لكنه قتل لاحقا على يد الحملات الإثيوبية في حرقيقو في أقليم سمهر.

ومن الدعاة الذين أبلوا بلاء حسنا في إرتريا الشيخ إدريس حامد سعد الله الذي بدأ القراءة والكتابة على يد الشيخ حبيب من آل معلم في منطقة إنقرني، ثم هاجر إلى السودان طلبا للعلم وتنقل بين خلاوي أم ضواً بان وشندي، ثم قصد حلقات العلم في كل من أم درمان وقرية النوبة والمسعودية ينهل من العلم في شتى ضروب المعرفة، ثم غادر إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف وتخرج في كلية الشريعة والقانون، وأثناء الدراسة كان عضوا نشطا في اتحاد طلاب إرتريا في القاهرة، وبعد تخرجه عاد ليعلم أهله و نشط في النواحي الثقافية من خلال إدخال المصاحف والكتب الإسلامية إلى داخل إرتريا وتوزيعها في قرى إرتريا المختلفة مثل عد فكاك، قرصت، عدردي، كرن، حلحل، أسماط، و غيرها قرى كثيرة في إرتريا، وواجهته في سبيل ذلك مشاكل وصعوبات جمة من التعرض إلى السجن والمضايقات في أوقات مختلفة ومازال الشيخ إدريس يحمل همّ الدعوة والتعليم في إرتريا فكان يتنقل من أجل ذلك إلى مناطق مختلفة في إرتريا ليشجع ويساعد الناس على تأسيس الخلاوي والمساجد، كما أنّه من البداية ركز في المجال التعليمي النظامي فكان مديراً لمعهد أصحاب اليمين في كرن ومن بعده و إلى يومنا هذا مديراً لمعهد الضياء الإسلامي بكرن، ومن صفات هذا الداعية أنّه رجل يحب الخير لكل الناس، متواضع، نقي السريرة، طيب المعشر، يوصي ويشجع الناس دائما بالتعليم والانفتاح على جميع التخصصات ومجالات العلم المختلفة.

ومن الداعاة الذين درسوا في الأزهر الشريف إدريس أبوبكر بره وبعد تخرجه نشط في الدعوة في مناطق اللاجئين الإرتريين في شرق السودان وعمل مدرسا في مدارس جهاز التعليم الإرتري في قرية سالمين بمنطقة سمسم.

وأيضاً من الذين طلبوا العلم في الخمسينيات وأوائل الستينيات في مصر إبراهيم إدريس أدقوي المعروف بإبرهيم بليناي و آدم محمد علي أكتي اللذان نشطا في العمل السياسي

فكانا من المؤسسين لجبهة التحرير الإرترية في القاهرة ١٩٦٠م وأصبح آدم أكتي عضوا في المجلس الأعلى، وإبراهيم أصبح من الكوادر النشطة المتقدمة في الجبهة كان من أوائل من زاروا الميدان برفقة عثمان صالح سبي عام ١٩٦٣م واستمرا أكتي وإبراهيم يعملان في مختلف هياكل الجبهة فإبراهيم قضى نحبه في فترة الكفاح المسلح في صفوف قوات التحرير الشعبية وأمّا أكتي فينتظر ومابدل تبديلا .

ومحمد حامد يعقوب الذي تخرج أيضاً في مصر وبعد تخرجه عمل مدرسا في ليبيا لفترة طويلة وبعد تحرير إرتريا عام ١٩٩١م عاد إلى إرتريا واستقرّ في العاصمة أسمرا وكان يعمل معلما في مدرسة الجالية العربية إلى أن وافته المنية في أسمرا قبل سنوات قليلة.

ومثله حسب الله أكتي الذي تخرج في الأزهر الشريف وبعد تخرجه عاش في السودان ومارس مهنة التدريس هناك وبعد الاستقلال عاد إلى إرتريا وعمل لفترة وجيزة معلما في معهد الضياء الإسلامي بكرن حتى وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه.

ومن أبناء البلين الذين درسوا وتخرجوا من مصر صالح إبراهيم رطي وكان عضوا نشطا في جبهة التحرير الإرترية، وبعد تخرجه توجه إلى الخليج للعمل ومازال يقيم في المملكة العربية السعودية وهو من الناشطين في العمل الأهلي الخيري وفي مساعدة أبناء جلدته.

ومن أبناء البلين الذين طلبوا العلم في السودان الحسن الفقه آدم عمر الذي تخرج من جامعة أم درمان الإسلامية وبعد تخرجه عمل في الشؤون الدينية والأوقاق في السودان وكان مدير الأوقاف في الدويم ما يقارب من أربعين عاما.

ومن الشخصيات التي ساهمت في تعليم أبناء البلين من بداية سبعينيات القرن الماضي وحتى اليوم الشيخ محمد إدريس محمد علي بره الذي بدأ مشوار تعليمه من خلوة الشيخ جمع سليمان كامل وفي عام ١٩٦٣م هاجر إلى السودان ومكث فترة وجيزة في خلوة أم ضوأ بان وبسبب المرض عاد إلى حلحل ثم التحق بمعهد الدين الإسلامي بكرن ودرس فيه عامين ثم

هاجر مرة أخرى إلى السودان عام ١٩٦٦م وتنقل بين خلاوى الجزيرة ودرس المرحلة المتوسطة في معهد التي والثانوي بمعهد أم درمان العلمي، وبعدها انشغل بتعليم أبناء أهله. ففتح خلوة ألتي عام ١٩٧١م، ثم سافر إلى البلد لجلب الطلاب على التوالي عام ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٦ وأحضر معه في كل سفرة أعداد كبيرة من الطلاب. وأصبح يوزعهم في الخلاوي التي كان يشرف عليها (ألتي، المسيد، المسعودية) أو الخلاوي الأخرى في الجزيرة. وأصبح الشيخ يرسل الطلاب من خلاويه الثلاثة (ألتي، المسيد، المسعودية) إلى معهد التكينة الإسلامي بالإتفاق مع الشيخ عبد الرؤوف حامد. كما أرسل بعضاً من طلابه إلى معاهد سمسم. وفي عام ١٩٨١م أفتتح الشيخ محمد إدريس خلوة ود بسري كما افتتح خلوة التكلة بالاتفاق مع أهل القرية، ثم أنشأ لاحقا مركزاً لتحفيظ القرآن الكريم للبنات في ألتي، وما يزال هذا المركز قائماً ويعمل فيه الشيخ. وكان الشيخ محمد إدريس يستوعب في تلك الخلاوي الطلاب القادمين من إرتريا. وبعد أن يتعلموا القراءة والكتابة ويحفظون ما تيسر لهم من القرآن في مراكزه يوزعهم على المعاهد والمدارس في السودان لمواصلة دراساتهم فإن الكثير منهم واصل تعليمه إلى المراحل العليا في السودان أو في الدول العربية الأخرى. وقد استفاد من خلاوي الشيخ خلال مسيرته الطويلة آلاف الطلاب من الجنسين[٢٦٣].

الشيخ موسى إدريس عشكراي الذي بدأ حياته الدعوية في مطلع الستينيات في منطقة على قدر التي أقام فيها خلوة لتحفيظ القرآن وانتقل منها إلى قلوج وأقام بها أيضاً خلوة لتحفيظ القرآن وعندما دخل إلى كسلا السودان أقام خلاوي كثيرة في حي السبيل وفي قشلاق البوليس وفي المربعات ومكرام، وفي دبت خلف جبل مكرام وفي منطقة فاتو قرية الشكرية وفي منطقة كبرى البطانة وفي مستورة قرية الرشايدة وفي قرية السروبة على نهر عطبرة وكان بينه وبين الشيخ علي بيتاي تعاون وتنسيق من مطلع السبعينيات في فتح الخلاوى في شرق

٢٦٣ محمد جمعة إسماعيل عثمان طلوق هو أحد تلامذة الشيخ محمد إدريس محمد علي بره.

السودان كما كان إماما وواعظاً في عدد من مساجد كسلا ومرشداً دينياً في مدرسة البوليس[٢٦٤].

ومن الذين نشطوا في التعليم أيضا الأستاذ حسنين عافة كان في البداية قد عمل بالتدريس في المدارس الحكومية ومنها انتقل ليعمل مديرا لمعهد دار السلام لأصحاب اليمين بكرن وكان له دور كبير في تطوير المعهد علمياً وإدارياً وقد درست في هذا المعهد أجيال كثيرة من أبناء البلين مع غيرهم ومنه انطلقت تلك الأجيال إلى شتى ضروب العلم والمعرفة الواسعة.

ومثله الأستاذ إدريس آدم حمد دين الذي درس في كرن وبعد تخرجه من معهد الدين الإسلامي في كرن في سبعينيات القرن الماضي عيّن معلما في المعهد ولاحقا أصبح مدير المعهد الذي ما زال يعمل فيه إلى يومنا هذا. والباحث كان أحد تلامذته، وهو رجل خلوق إداري ناجح، قليل الكلام لكنه بليغ إدا تحدث، منظم ويحب النظام في كل شيء، تخرجت على يده أجيال كثيرة وما زال مواصلاً في أداء رسالته.

الأستاذ أحمد محمد علي فرج الله من الذين درسوا في السودان ورجع وعمل بالتدريس في معهد حلحل والباحث درس في هذا المعهد مراحله الأساسية في النصف الأول من الثمانينيات في القرن الماضي. عهدته مدرسا لمادة النحو العربي، وكان متمكنا من هذه المادة له أسلوب جميل ومبسط في تدريسه وإيصال المادة إلى وعي الطالب الأمر الذي مكنني من أخذ نواصي أساسيات وقواعد اللغة منه وكان ذلك خير زاد لي في المراحل التعليمية العليا لاحقا، جزا ه الله عنا خير الجزاء وكان الأستاذ أحمد جاداً وفي نفس الوقت بشوش الوجه حسن المظهر أنيق الملبس يتميز بقوة الشخصية وفصاحة اللسان.

---

٢٦٤ محمد جمعة إسماعيل عثمان طلوق وعبد الله إسماعيل آدم

الأستاذ صالح علي بخيت كسوراي بدأ مشواره العلمي بخلوة الشيخ فقيه آدم عمر بماي كلم ثم مدرسة حلحل الأولية والمتوسطة في كرن وبعدها قطع الدراسة لظروف الحياة، لكنه اجتهد في مطالعة الكتب الدينية كما يقول. ومنذ ١٩٦٠م نشطت في مسألة الدعوة العامة في المساجد والمناسبات العامة الخ--- إضافة إلى القيام بالدعوة العامة نشط الأستاذ كسوراي في الجانب التعليمي من أواخر ستينيات القرن الماضي تأسيسا وتدريسا في معهد متكلأبي وفي المعهد الإسلامي في حلحل وحتى الآن يعمل مأذوناً الشرعياً في منطقة حلحل[٢٦٥]. وإن كاتب هذه السطور كان أحد تلامذته أيضاً في ثمانينيات القرن الماضي في حلحل وكان قد درسني مادة الرياضيات والعلوم، والجغرافيا واللغة الإنجليزية. وكان أستاذاً مجداً وحازماً في تدريسه ومتابعاً للطلاب. وكان الأستاذ صالح قد تعرض لمحن كثيرة في مسيرة حياته ففي عام ١٩٧٠ قد فقد أسرته في مذبحة عونا الرهيبة، والدته وزوجته وأربعة من أبنائه ووجد اثنان من أبنائه أحياء وسط الجثث، لكنه قابل هذا الابتلاء بالصبر فعوضه الله بذرية من زواجه الثاني.

ومثله أيضاً درسني الأستاذ محمد عبد الله حاج إبراهيم مادة القرآن والفقيه وكان ذو خلق ودين ولا نزكي على الله أحداً، تخرج على يده وزملائه من الأساتذة الأجلاء أجيال من أبناء حلحل، إن معهد حلحل لعب دوراً مهما في ازدياد الوعي بأهمية التعليم ونتيجة لذلك وعوامل أخرى أصبحت أعداد المتعلمين من أبناء حلحل وحواليها في ازدياد. وإن نفراً غير قليل من طلاب المعهد تمكّن من مواصلة تعليمه في الجامعات المختلفة حول العالم والباحث أحد ثمار هذا المعهد المبارك.

ومن الشخصيات التي كانت لها مساهمات في مجالي الدعوة والتعليم في المنطقة الأستاذ محمد حامد عثمان إدريس هاكين من الذين درسوا في كرن وبعدها في الجامعة

---

٢٦٥ اعتمد الباحث على المادة التي أرسلها إليه الأستاذ صالح على بخيت كسوراي يوم ١٠-٥-٢٠١٧م عبر ابنه مختار.

الإسلامية في المدينة المنورة وبعد التخرج في بداية ثمانينيات القرن الماضي عاد إلى إرتريا ليكون داعيا ومعلما في بلده فكان يدرس في معهد الدين الإسلامي كما كان أحد المؤسسين لمعهد الضياء الإسلامي بكرن، وكان قد سخر علاقاته الواسعة لخدمة المؤسسات الإسلامية في بلده. رجل بشوش الوجه حسن المظهر أنيق الملبس شهم يساعد المحتاجين ويتفقد أحوال طلاب العلم. معتقل منذ عام ١٩٩٢م ولا يعرف مصيره حتى الآن.

إبراهيم جمع حامد من الذين تخرجوا من المعاهد الإسلامية في كرن ومارس مهنة التدريس في كرن في معهد أصحاب اليمين، ومنه انتقل ليكون مديرا لمعهد الضياء الإسلامي اعتقل عام ١٩٩٢م، وفي عام ١٩٩٤م اعتقل النظام أيضاً ابنه عبد الوهاب ولا يعرف مصيرهما حتى الآن.

محمد طاهر حامد أكد من الذين درسوا في كرن والمركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم ثم الأزهر الشريف في مصر وبعد عودته إلى إرتريا درّس في معهد أصحاب اليمين ثم في معهد الضياء الإسلامي في كرن، اعتقل من قبل النظام عام ١٩٩٢ وفي عام ١٩٩٤م أيضاً اعتقل شقيقه الأكبر التاجر جابر حامد أكد ومصيرهما مثل الآخرين مجهول حتى الآن.

ومن المعلمين أيضاً جمعة إبراهيم ديناي وهو من الذين درسوا في معاهد كرن ثم التحق بجامعة المدينة المنوّرة بالمملكة العربية السعودية، وبعد تخرجه منها عاد إلى كرن وعمل معلما في معهد أصحاب اليمين، ثم معهد الدين الإسلامي في كرن. اعتقله النظام بعد اعتقال الدفعة الأولى وقبل اعتقال الدفعة الثانية من المعلمين ولا يعرف حتى الآن مصيره.

ومن أساتذة معهد الضياء الإسلامي أيضا إدريس سعيد محمد على بره، وهو من الذين درسوا في خلاوي الجزيرة ثم المدارس السودانية، وقد عاد إلى إرتريا قاطعا دراسته بعد وفاة والده ليعول الأسرة، فأصبح مدرسا في معهد أصحاب اليمين لفترة طويلة ثم انتقل إلى معهد الضياء وكان مدير معهد الضياء عند ما اعتقل عام ١٩٩٤م ومصيره حتى الآن مجهول.

إدريس سعيد إدريس أري، من الذين درسوا في كرن ثم المملكة العربية السعودية وعند عودته درّس في معهد أصحاب اليمين ثم معهد الضياء الإسلامي في كرن واعتقل عام ١٩٩٤ م ولا يعرف مصيره حتى الآن كغيره من المعلمين.

ومن تلك الكوكبة أيضا الأستاذ نافع إبراهيم فكاك الذي درس في معهد أصحاب اليمين كما أكمل المرحلة الثانوية في المدرسة الحكومية في كرن. وعمل في البداية معلما في معهد أصحاب اليمين ثم انتقل إلى معهد الضياء الإسلامي في بداية تسعينيات القرن الماضي. كما كان يعمل في نفس الوقت في إدارات الأحياء في كرن "القبلي" وكان أيضاً عضواً في مجلس إقليم عنسبا عند ما اعتقل عام ١٩٩٤م ولم يعرف مصيره حتى الآن.

فرج أبوبكر حاج، درس الابتدائي في حلحل والمتوسطة والثانوية في معهد أصحاب اليمين وفي نفس الوقت أكمل المرحلة الثانوية في المدرسة الحكومية في كرن. في البداية عيّن مدرسا في عدردي ثم عاد ليدرس في معهد أصحاب اليمين بكرن ثم في معهد الضياء الإسلامي في كرن اعتقل عام ١٩٩٤ ولا يعرف مصيره حتى الآن.

حسن على نور درس القرآن الكريم مع شيخ موسى إدريس عشكراي في كسلا ثم خلاوى همشكوريب ومن بعدها التحق بمعهد كسلا العلمي المتوسط فمعهد أمدرمان العلمي الثانوي وتخرج من كلية الآداب جامعة أم درمان الإسلامية، وقد عاد بعد استقلال إرتريا إلى كرن وكان مدرسا في معهد الضياء الإسلامي في كرن وبعده أصبح نائبا لمفتي الديار الإرترية وممثلا لأقليم عنسبا في دار الإفتاء، اعتقل مع المعلمين في عام ١٩٩٤م ولا يعرف عنه أي شيء حتى الآن.

آدم إبراهيم جمع خريج جامعة أم درمان الإسلامية عاد إلى إرتريا بعد التحرير وعمل معلما في معهد الضياء الإسلامي في كرن واعتقل في عام ١٩٩٤ وخرج من السجن قبل فترة بعد أن لبث فيه سنين عدداً.

محمد حسن إبراهيم عمر طروم من الذين درسوا في كرن ثم في السودان حتى تخرج من كلية الشريعة والقانون جامعة أم درمان الإسلامية، وعادا إلى إرتريا بعد التحرير وعمل سكرتيرا لمفتي الديار الإرترية اعتقل في العاصمة أسمرا يوم ٢٩-٩-١٩٩٧ م وفي عام ١٩٩٨ اعتقل أيضاً شقيقه الأكبر محمود حسن الذي كان يعمل في إدارة مدينة حقات ولم يعرف مصيرهما حتى الآن.

عثمان محمد على قدم وهو من حفظة كتاب الله درس في معهد الدين الإسلامي في كرن، وعمل معلما في المعهد الإسلامي في أفعبت ولاحقا أصبح معلما في معهد الدين الإسلامي بكرن وإماما وخطيبا للمسجد الكبير في كرن، اعتقل عام ١٩٩٤ م ولم يعرف مصيره حتى الآن.

محمد نور عبده الذي درس في معهد الدين الإسلامي في كرن وبعد تخرجه منه أصبح معلما فيه ودرس فيه لزمن طويل إلى أن اعتقل عام ١٩٩٤م ولم يعرف مصيره كزملائه حتى الآن

ومن معهد عنسبا يس نافع وعبد الله دار كلاهما من خريجي الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة وتم اعتقال الأخ الأصغر لعبد الله دار، حسن دار معهما وكان يومئذ شاباً يافعا دون الثامنة عشرة من العمر وكغيرهم لم يعرف مصيرهم من ١٩٩٤ إلى يومنا هذا

ومن التجار اعتقل أبوبكر عافة شيخ ١٩٩٤م وجابر حسين ومحمود محمد بيني وأبوبكر عافة منفعوت وعبد الكريم محمد زرئ قابر عام ١٩٩٧ م وفرج محمود جيواي عام ١٩٩٨ م وآخرين وجميعهم لا يعرف مصيرهم حتى الآن. ومن الذين نجوا من الاعتقالات الأستاذ حامد محمد إبراهيم.

ومن الذين نشطوا في مجال التعليم وما زالا يمارسان نشاطهما حتى الآن الأستاذان أحمد محمد على أقدوباي والأستاذ صالح إدريس آدم كلاهما كانا مدرسين في معهد أصحاب اليمين ومعهد الضياء الإسلامي. والأستاذ صالح هو من حفظة كتاب الله بعدة قراءات

وتخرجت على يده أجيال من حفظة كتاب الله في مدينة كرن. وإن كثيراً من طلابه يشاركون باسم إرتريا في المسابقات الدولية للقرآن الكريم ويحرزون مراتب متقدمة.

ومن الذين نشطوا في المجال التعليمي وما زال فرج محمد جمع سمهراي وهو من الذين درسوا في معهد أصحاب اليمين في كرن تخرج من جامعة الإمام محمد بن سعود فرع أبها المملكة العربية السعودية وبعد تخرجه عاد إلى كرن وعمل معلما في معهد أصحاب اليمين، وسمعت مؤخراً أنّه أنشأ خلاوي لتحفيظ القرآن الكريم في كرن.

ومثله الأستاذ إدريس حسن الذي درس مراحله الأولية في كرن ثم درس المرحلة الجامعية في المملكة العربية السعودية وعاد بعد تخرجه إلى كرن وأصبح مدرسا في معهد أصحاب اليمين.

وآخيراً أريد أن أنبه هنا إلى أمرين: أحدهما أنني أوردت هنا فقط نماذج ولم أتناول جميع الدعات والمعلمين ومثلهم المعتقلون منهم ولذا أطلب العذر ممن لم ترد أسماؤهم وهم كثر وثانياً لم يكن أبناء البلين وحدهم الذين تعرضوا للإعتقال بل اعتقلت معهم أعداد كبيرة من القوميات الأخرى ولم أتناولهم هنا حتى لا تخرج الدراسة من سياقها المحدد.

الفصل السابع

العادات والتقاليد والأعراف.

- عادات الشنقالي

- الخطوبة، المتلو، الزواج

- الولادة، العقيقة، الطلاق،

- المراسم المتبعة عند الوفاة والمأتم،

- الأعراف والقوانين المنظمة للحياة.

العادات والتقاليد والأعراف.

إنّ التراث الشعبي والعادات والتقاليد هي تلك العلوم والفنون والآداب والمأثورات الشعبية التي تعكس إرث شعب أو قوم أوجماعة من الناس من معتقدات دينية وطقوسها والأثاثات المنزلية وأدوات وأطباق الطعام وطريقة تحضيره و الملابس المستخدمة والحليّ والمصنوعات والزخارف والرسوم وآليات الحرث والقتال والتراث الشعبي من الأمثال والشعر والغناء والموسيقى وألوان الرقص والألعاب والمهارات والقصص والحكايات والأساطير البطولية، وطرق معالجة المرضى، ومراسم الأتراح والأفراح[٢٦٦] ونحو ذلك من الرموز الإيحائية كرمز العين الزرقاء لدرء الحسد والسمكة لرغبة التكاثر والطاؤوس للحظ السعيد وغيرها. ويصعب تناول هذه الأمور كلها هنا لسبب محدودية المساحة في هذه الدارسة. ولذا سوف أتناول باختصار أهمّ معالم العادات والتقاليد وما يصحبها من التراث الشعبي للبلين. وهذه العادات هي عادات الشنقالي، الزواج وما يسبقه من خطوبة و" متلو" الولادة، السماية، الطلاق وما يتبعها من الأعراف والعادات والتقاليد، والمراسم المتبعة عند الوفاة والمأتم، والأعراف والقوانين المنظمة للحياة.

عادات الشنقالي عند البلين

عادة الشنقالي وتعني الرشد لها علاقة ببلوغ الفتيان لمرحلة الشباب سن البلوغ ويكون مؤهلا للخطوبة والزواج وهذه العادة تسمى الشنقالي وهي تعني أن الشاب وصل إلى سن الرجولة ويسمح له بالمشاركة في مجالس الكبار ويعلن الشاب بلوغ سن الرجولة بأداء هذه العادة وإنّ كل شاب من البلين كان يؤدي هذه العادة إلاّ أنّ مراسيم أدائها كانت تختلف بين بيت الطوقي والترقي.

---

٢٦٦ عبد الغني عماد، العادات والأعراف والتقاليد والتراث الشعبي في العلوم الاجتماعية، ص،٤٠ -٩ www.tourathtripoli.org

الشنقالي عند بيت طوقي

يتميز مجتمع البلين ببعض الأعراف المميزة في البناء الاجتماعي فالأطفال الذين بلغوا سن الثلاثة عشرة سنة يعرفون "بالوجَراتْ"، وعند هذا السن يعرف الطفل أقرانه، وعند بلوغهم الخامسة عشرة يعرفون "بالقَلْجِيتْ" وعند بلوغهم سن السابعة عشرة يعرفون "بالمندليتات"، وعند بلوغهم سن العشرين يعرفون "بالمكليت"، يجتمع الشباب الذين وصلوا إلى سن البلوغ في المنطقة وفي الغالب يكونون في أعداد كبيرة، ويشترون ملابس جديدة وموحدة في الشكل ويحضرون العصي من شجرة تسمى (لشم) وتقوس بعد تعريضها للنار لتستوي من الإعوجاج ويتم عقنها من المقبض و تسمى (عقنا) وهي للزينة والتباهي ودلالة على سمو المنزلة والمحافظة عليها أمر لازم وتعلق في واجهة المنزل مقابل المدخل وهي من العادات الفرعونية التي تخص الأسرة الكوشية وبالتحديد توت عانخ أمون.

الملابس تشمل القميص، السروال، الصديري، والسماديت (الوشاح)، وحذاء مصنوع من الجلد يسمى (المداس) الصندل ومنديل أحمر لربطه في الرقبة وهو بمثابة علم للمجموعة، وخيوط جلدية تربط على الكتف تسمي (الهرد) وشئ من السكسك يسمى (الهرد) وشيء من الخرز يربط على اليد يسمى (سوميت) وهو حجر كريم يكون مستديرا في استطالة أبيض فيه سواد من الجهتين وهي تدخل ضمن التراث المشترك للشعوب الكوشية، ويأخذ كل واحد منهم هذه الملابس جاهزة ومرتبة في بداية الشهر القَمَرِي إلى خاله فيحلقه خاله من قفاه في مؤخرة الرأس وعلى شكل دائرة ثم يكسوه الملابس الجديدة، ويبارك له ويُهديه رأساً من الماشية، ويلقب الفرد منهم بمندلاي والجماعة بمندليتات، ومن هذا التاريخ يعتبر أنّ الشاب قد انتقل من هيئة الصغار إلى هيئة الكبار ويعتبر نفسه أنه عسكري، و في اليوم التالي تجتمع المجموعات كلها وتقسم إلى فرق ويمثل فيها كل فرع بفصيلة إذا لم يكن عددهم قليل، وفي هذا اللقاء يتم اختيار مسؤولي الفصائل ونوابهم والرئيس العام على شكل التشكيلات العسكرية ثم تقرأ وتنشر الأعراف التي يجب أن تراعى إلى تمام المدة وهي ستة

أشهر، و أي شخص يحيد عنها في تلك المدة يحاسب ويعاقب حسب تلك القوانين الصادرة[٢٦٧].

بعد تقسيمهم إلى مجموعات أو فصائل يتجولون في زيارة أقاربهم ويستقبلونهم ويعد لهم أكل جماعي ويكرمونهم بما يستطيعون، كما يقضون أوقاتهم في اللهو من الرقص والغناء خلال تلك الفترة ويمدحون كل من أكرمهم ويذمون من لم يفعل ذلك، ويسمح لهم بأخذ الأكل الجاهز والشرب وقت الحاجة حتى بدون إذن من أصحابه ويمنعون منعا باتا من لمس أي شئ آخر غيره، عرفياً يعتبرون أنّ كل الرجال أباؤهم والنساء أمهاتهم، وينتقلون من منطقة إلى أخرى على شكل جماعي وهيئة عسكرية مسلحين بالرماح السيوف وغيرها. في الغالب كل مجموعة تمثل أحد العموديات ويقابلهم مثلهم من العموديات الأخرى، وبعد انقضاء المدة المحددة تلتقي الفرق وتجري مبارزات بينهم ويشاهد هذا التنافس أعيان قبائل الفرق كحكام ويعلنون الفائز ويفصلون بين الفرق حتى لا تحصل احتكاكات بينهم ولا يتركونهم حتى تعود كل فرقة إلى منطقتها. وبعد إكمال المدة تجمع العصي وتربط مع بعضها البعض ويختار لها من بينهم أشخاص يجيدون السباحة للدخول بالعصي في بئر عميق ويبحثون في داخله عن مكان فيه أحجار ثم يخبئون فيها العصي حتى لا يجدها أحد. وفي الشهر التاسع تجتمع الفرق مرة أخرى وتجتمع معهم الفرق التي كانت قبلهم ويعد لهم الأكل والشراب وهذه المناسبة تعتبر يوم السماية للفرقة الجديدة، وإن الفرقة القديمة تعطي اسماً للفرقة الجديدة حسب أدائهم وأخلاقهم فإذا كان أداؤهم ممتازا أو جيداً يعطون لقباً جميلا، وإذا كان أداؤهم متواضعا فيعطوهم لقبا عاديا أو بما يليق بهم وإن هذا اللقب جماعي وللأبد، وإذا حدث وفاة لأحد المندليتات قبل البدئ أو أثناء الاستعدادات قد يؤجلوه للعام القادم حزنا عليه[٢٦٨] ومن الأمور الغريبة التي سمعتها في هذه الحالة إذا كان الشاب

---

٢٦٧ حديث الأستاذ صالح على بخيت كسوراي وهو من آخر مجموعة مارست هذه العادة في بيت طوقي، مصدر سابق، ومحمد نور فايد، مصدر سابق، ص. ٩٨-٩٩

٢٦٨ حديث الأستاذ صالح على بخيت كسوراي، مصدر سابق

المتوفي قد بلغ سن البلوغ ولم يمارس عادة الشنقالي تجرى لجنازته مراسيم الشنقالي قبل دفنه ولا أدري إن كانت هذه العملية تمارس في إطار واسع أو ضيق وسط البلين بعبارة أخرى ما إذا كانت تمارس في الطوقي والترقي أم في أحدهما؟

الشنقالي عند الترقي

عند ما يبلغ الشاب الثامنة عشرة من العمر يطلب المباركة من والده لأداء الشنقالي، ثم يختار على الأقل سبعة من أقرانه الذين هم في سنه ليصاحبوه مدة أداء هذه العادة، وبعد سبعة أيام تقوم الأسرة بتبليغ أحد أخواله لاستقبال ابن أخته ويبارك له، يأتي الشاب إلى بيت خاله ومعه ملابس "حيما" وهي ملابس إمرأة هي الزوجة الأولي لزوجها والقصد هنا التفاؤل بها و عند وصول الشاب إلى بيت خاله يستقبل بالترحاب والبهجة ثم يقوم الخال بحلق شعر ما فوق رقبة الشاب بعد بلها بالماء المخلوط باللبن والذرة وأوراق شجرة السدر إضافة إلى عشب يعرف محليا (برمادي) ثم يخلع الملابس القديمة ويلبسه ملابس الحيما ويبارك له ويهديه ما تيسر له من بهائمه.[٢٦٩]

بعد هذه المراسم لا يتحدث الشاب إلا للضرورة، بعدها يتناول وجبة الطعام مع أصحابه ثم يقوم بزيارة أقاربه من جهتي الأب و الأم، وهو في كل هذه الفترة يغطي جميع جسده بالثوب ما عدا قدميه الحافيتين ويكشف عن يديه فقط أثناء تناول الطعام ويقضي هو وأصحابه أيامهم هذه بالمرح والفرح والغناء والرقص ويمدحون كل من أكرمهم سواء كان بالذبائح والهدايا، ولاختبار شجاعة وصبر الشاب يرمونه بالشوك ويتحدونه أن يتحمل هذا الشوك إلى أن يصل إلى المحطة القادمة وأمور أخرى غيرها وفي اليوم السادس تشترى ملابس جديدة للشاب ويشمل اثني عشر مترا من الثوب وسروال طويل، وقميص، وصديري مشكل وحذاء من الجلد يسمى (مداس) و يحضر قرط (تلال) ليعلق في الأذن اليمنى وهو حلية نصف دائرية من الذهب تتم استعارته من النساء، وحبة سكسك، و خيزران وهي عصا

---

٢٦٩ محمد نور فايد، مصدر سابق، ٩٦-٩٨

مقوسة، يذهب الشاب وأصحابه إلى واد فيه ماء فيغتسلون ويغسلون ملابسهم وبعدها يذهب الشاب وأصحابه ومعهم الملابس الجديدة إلى خال له آخر فيلبسه الملابس الجديدة ويبارك له ويعطيه هدية ويضع الشاب التلال ويعود إلى أهله وهو فخور بأداء العادة بالنجاح وينال بذلك التقدير والاحترام من المجتمع."[٢٧٠]

مما سبق يفهم إنّ القصد من وراء عادة وعرف الشنقالي هو واحد بين الطوقي والترقي إلا أنهم يختلفون في تفاصيل أدائها، فعند الطوقي كان الطابع الجماعي هو السائد في أدائها بينما في الترقي يغلب الطابع الفردي عليها.

مهما يكن من الأمر فإن هذه العادة قبل توقفها في نهاية الخمسينيات القرن الماضي قد لعبت دورا إيجابيا في إعداد الشباب نفسيا واجتماعيا وجسديا للانتقال إلى مرحلة الرجولة بغرس قيم الرجولة فيهم، كما كانت تعدهم لتحمل مسؤوليات وواجبات وحقوق تجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم يقول الأستاذ محمد نور فايد : "ويلاحظ أنّ عادة الشنقلات التي كانت البلين تربي أبناءها عليها حتى أوائل الخمسينيات ربما قد لعبت دورا في تهيئة كثير من شباب البلين للانتقال إلى العمل المسلح عندما اقتضت الضرورة لحمل السلاح دفاعا عن الوطن"[٢٧١] فعلى سبيل المثال إنّ شباب بيت طوقي كانوا يلتحقون بالجبهة بشكل جماعي وكل مجموعة كانت تتشكّل من نفس المجموعة في الشنقالي وكانت تحمل اسم محدد يميزها عن باقي المجموعات، مثل المجموعة التي التحقت بالجبهة من أبناء بيت طوقي في عام ١٩٦٤ سميت بالإخوان المسلمين وبعض أفرادها ما زالوا أحياء مثل إسماعيل جمع وآخرين، والمجموعة التي التحقت بالجبهة في عام ١٩٦٦ كانو يسمون بالنايلون، ومجموعة عام ١٩٦٧ سموا باللاجئين، ومجموعة ١٩٦٨م بالكمندوز وغيرهم مجموعات أخرى، بشكل عام وكما

---

٢٧٠ المصدر السابق، ص، ٩٦-٩٨

٢٧١ المصدر السابق، ص، ٩٩

سبقت الإشارة إلى ذلك، توقفت هذه العادة في نهاية خمسينات القرن الماضي وتمارس إلى اليوم بعض أشكالها بطريقة مختصرة في يوم الزواج ولم يعد لها وجود بطريقتها السابقة.

عادات الزواج عند البلين

إن رابطة الزوجية هي مسألة فطرية في حياة البشر وتعبير طبيعي يقوم به الإنسان منذ أن خلق، فخلق الله ادم عليه السلام ثم أتبعه زوجته حواء، ليسكن إليها وتستقر نفسه بها. كما أن الزواج بين الجنسين هو السبيل الوحيد للتناسل وضمان استمرار تكاثر النسل البشري لتعمير الأرض، بعبارة أخرى إن المؤسسة الزوجية هي الضمان لبقاء جنس الإنسان في هذا الكون، وتتحقق بالزواج الطمأنينة والسكن والمودة والرحمة والاستقرار النفسي والسعادة بين الزوجين، وأن الأشخاص المتزوجين أكثر ميلاً للاستقامة في الخلق والسلوك على المستويين الاجتماعي والسياسي، وأقلّ تعرضا لمعاناة الأمراض النفسية. لذا نجد أن الانسان اهتم منذ القدم من حضارات السومر والبابليين والمصريين القدامى والحضارات القديمة في أوروبا وأسيا وأفريقيا بالزواج. كما أنّ الديانات السماوية حافظت على المؤسسة الزوجية ووضعت لها سياجا من القوانين والأعراف لتقوية مؤسسة الزواج وتقديس مكانتها وأمرت معتنقي الديانات بالالتزام والتقيد بها مع بعض الفروقات بين ديانة وأخرى في تفاصيل الزواج، على العموم عبر الزواج الإنسان يحقق إشباع حاجاته الإنسانية الفطرية، ويحقق مقصد التكاثر الذي تستمر به الحياة، وإن الزواج يساعد في تهذيب وإصلاح الفرد والمجتمع على السواء.

إنّ الزواج ليس مناسبة دينية فحسب بل هي أيضاً مناسبة اجتماعية تربط الأسر بالمصاهرة لينتج عنها وشائج صلة الرحم بينها، وأمّا مراسيم الزواج فتختلف من مكان ومن مجتمع لآخر، فإنّ الكل يجريها حسب عاداته وتقاليده الخاصة فشأن البلين في ذلك كشأن سائر الشعوب الأخرى لهم أعرافهم وتقاليدهم التي يتميزون بها عن غيرهم، أمّا فيما يخص خطوات الزواج وأنواع الزيجات فلا يختلفون كثيراً عن الشعوب التي تجاورهم.

أنواع الزواج عند البلين تنقسم إلى:

- الزواج العادي وهو الغالب الأعم ويتم ذلك برضا الطرفين وسيأتي تناوله بالتفصيل.
- والثاني الزواج الاضطراري وهو نادر كأن يتزوج الرجل مخطوبة أو زوجة أخيه بعد وفاته، أو أن تتزوج البنت مكان أختها المتوفية وفي مثل هذه الزيجات للطرفين خيار القبول والرفض مبدئيا وإن كان من الناحية الاجتماعية الرفض غير مستساغ.
- والنوع الثالث من الزواج إن الرجل إذا حملت منه إمرأة بطريق غير شرعي ففي العرف يتحمل الرجل المسؤولية فيتزوجها أو يدفع لها المهر (القبؤ).
- والنوع الرابع هو تزويج أهل القاتل بنتهم لأهل المقتول مع دفع الدية حتى تحدث المصاهرة بين الأسرتين.

والنوع الأخير من الزواج يساعد على نسيان ما حدث بين الأسرتين بمرور الزمن نتيجة التداخل والتوالد فيما بينهما وبهذا تكون المرأة قد ساهمت عمليا في معالجة القضايا والمعضلات الاجتماعية المعقدة داخل القبائل بإبطالها عملية الثأر والثأر المتبادل التي كانت تستمر لأجيال بين المجموعات، أمّا على المستوى الشخصي فإن هذا الزواج زواج غير طبيعي وقد تنتفي فيه مسألة المودة والرحمة بين الزوجين كما أنّ المرأة لا تطلق ولا تملك حق الخلع وهذا مخالف لمفاهيم الشرع في الإسلام، صحيح أنها محمية بسياج من القوانين حتى لا تتعرض للظلم، لكن كل هذه القوانين تهتم بالبعد المادي ولا تأخذ في الحسبان الجوانب النفسية والعاطفية والشعور بالطمأنينة فإذا لم تتحقق الغاية السامية من الزواج أي الارتياح الداخلي مع الأمور المادية فإنها سوف لا تعيش حياة كريمة وهذا ظلم لهذه المرأة لجريرة ارتكبها غيرها مهما تكون قرابتها له. من هنا يمكن مراجعة هذه المسألة في عرف بيت طوقي وعرف مقارح وخاصة هناك الآن قوانين مدنية متطوّرة تتعامل فقط مع الجاني ولا تتعدى إلى أسرته أو أقاربه بعبارة أخرى تمنع هذه القوانين المدنية عملية الثأر والثأر المتبادل بين القبائل التي كانت سائدة في السابق.

على كل حال فالزيجات الاضطرارية وتزويج البنت مع الدية هي زيجات نادرة وقليلة، والزواج السائد في وسط البلين هو الزواج العادي. يكون الزواج والمصاهرة في الغالب في إطار البلين من ذوي القرابات، وسبق أن أشرت إلى أن البلين في السابق كانوا لا يحبذون تزويج بنتهم خارج البلين وذلك لدواعي الحفاظ على العادات والتقاليد واللغة لاعتقادهم أنّ الأم هي المستودع الأمين لهويتهم الخاصة.

هذا ما كان سائداً في وسط البلين في السابق مع استثناءات زيجات ذات طابع اجتماعي وسياسي مع أسر من بيوتات الحكم في قبائل التجري، فعلى سبيل المثال لا الحصر إن كبرت بنت فايد عد تسأن تزوجت من زعيم ماريام طلام فأنجبت منه شوم ردئي وشوم إزوز، ومثال آخر مصاهرة تايدوس والد حزباي مع المنسع حيث تزوج تايدوس من أميرة ولت (بنت) محاري وهي من أقدم المصاهرات الاجتماعية وتعود لما قبل ثلاثة قرون تقريباً والقصة فيها شيء من الطرافة وتعكس أيضاً متانة الأعراف الاجتماعية لدى هذه القبائل حيث كانت تتمسك بها ولاتحيد عنها، والرواية تقول إن سيم أحنس خطب لأخيه تايدوس من المنسع وبعد الخطوبة بدا لهم أن يتراجعوا عن ذلك وكانت الأعراف لاتسمح برفض الزواج بعد الموافقة فرأوا أن يضعوا شرطا تعجيزيا في المهر (المندق) فقالو إن المندق المطلوب هو فيل فما كان من تايدوس وأخيه سيم أحنس إلا أن اصطادا فيلاً وأحضراه فتمت الزيجة وأنجبت أميرة حزباي. كما صاهر كنتيباي الحباب البلين، ومثله صاهر آل نائب في حرقيقو آل كنتيباي فكاك زعيم عد تسأن، وغيرها من مصاهرات أخرى مع المنسع والبيتجوك، وربما كانت الحالة أيضاً مماثلة بالنسبة للبلين السنحيت المسيحيين مع زعامات الهضبة كما كانت هناك مصاهرات قليلة مع الأجانب من الذين سكنوا وسط البلين مثل مونزنجر السويسري وعدد من الإيطاليين والحضارمة اليمنيين وغيرهم.

على العموم إنّ البلين يهتمون كغيرهم بمسألة الزواج ويحاربون العنوسة لذا في السابق لا تجد بنتاً تجاوزها قطار الزواج إلا نادراً ويكون الزواج في الغالب في نهاية العقد

الثاني وبداية العقد الثالث من عمر الفتاة وقليلا ما كان يتجاوز ذلك بسبب ظروف اقتصادية أو صحية ونحو ذلك وإن مراسيم الزواج تبدأ من أهل الولد بالبحث عن بنت مناسبة لابنهم مكافئة له من ناحية النسب ومواصفات الجمال وغيرها وبعد الحصول على البنت المناسبة يكون في البداية الخطوبة ثم "المتلو" وأخيراً الزواج.

مراسم الخطوبة

عندما يصل الشاب سن البلوغ يبدأ أهله في البحث له عن خطيبة ومن أهمّ معايير اختيار الخطيبة في عرف البلين سلامة النسب والأدب والأخلاق وإلى حد ما الجمال، والخطوبة يطلق عليها بالبلين "حطي" وعادة يكون اختيار الخطيبة من قبل الأهل، عندما يصل ابنهم سن البلوغ، وإن الحالة الاقتصادية للأسرة تلعب دوراً كبيراً في الزواج المبكر. وقد يختار أو يحدد الخطيب خطيبته بنفسه لكن يحتاج إلى موافقة والديه وإلاّ يتراجع عن ذلك الاختيار. هناك نوع آخر من الخطوبة وهو تعاهد بين الوالدين كأن يقول أحدهما إن بنتك فلانة سوف تكون زوجة لابني فلان أو إذا انجبت بنتا تكون زوجة لابني...الخ والخطيب والخطيبة في سن الطفولة أو في البطن وإن دخول الأبوين في وعد شفهي يلزم الوفاء به عرفا وهذا النوع من الخطبة "فيه دلالة على سلب الفتاة الناشئة، أو الفتى الناشئ إرادتهما، في اختيار الزوج أو الزوجة، واعتبارهما في حكم الأسرى، لا خيار لهما في أمر يتعلق بمصيرهما، أخذ فيه أبواهما القرار، دون استشارتهما، وفي حالة طفولتهما، وقصورهما عن الإدراك "[٢٧٢] و إن كان هذا النوع من الخطوبة نادر في وسط البلين إلا أنه قد يتسبب في تعريض الطرفين أو أحدهما للظلم لأنّ اختيار بعضهم البعض لم يتم بإرادتهما.

الغالب في الخطوبة في عرف البلين يكون عن طريق الأهل، الأم والأب وقد يشاركهم إخوان و أخوات الخطيب في التفاكر وفي استعراض البنات من الأقارب والمعارف فيختارون من يرونها مناسبة لابنهم و بعد موافقة الابن على الاختيار يذهب أبو الولد أو أحد أقارب

---

٢٧٢ جلال الدين محمد صالح، مصدر سابق، ص، ٤٣٠

الولد ويكون في الغالب ممن يعرفون باللباقة والفطنة إلى أهل البنت ويسمى بالبلين "جربخ" فأهل البنت إذا كانوا لا يرغبون في الولد والأسرة أو طلب يد البنت شخص آخر قبلهم فيكون رد الأسرة أن بنتهم مطلوب يدها من شخص آخر ويكررون هذا الكلام حتى إذا تردد إليهم طالب البنت مرات عدة[٢٧٣] أمّا إذا كانت الأسرة قابلة أو لا تمانع في ذلك فلا تظهر ذلك من الوهلة الأولى حتى يتأكدوا من جدية الطلب ويتأكد ذلك من تردد الطالب إليهم، والأسرة تقول في هذه الحالة من البداية نتشاور ونرد لكم ويتشاورون مع جدود البنت والأعمام والأخوال وبعدها تتم الموافقة وحينها يحدد الطرفان يوما للخطوبة يسمى بالبلين "حطي" وتكون المناسبة في دار أهل البنت يحضرها الأقارب والجيران ويأتي الأهالي بما يستطيعون من الواجب في جراب ويسمى "حشكل" و يحتوي على دقيق وسمن، أو دقيق فقط، ويجمع الحليب من ملاك البقر ويتعاون الأهالي في جمع الحطب واستجلاب الماء لهذه المناسبة [٢٧٤].

في اليوم المحدد يأتي أهل الولد وهم في الغالب في حدود العشرة أشخاص من كبار السن والوجهاء لإتمام الخطوبة، ويستقبلهم أهل البنت بالحفاوة والترحاب وزغاريد النساء من داخل البيت كتعبير للفرح والسرور ويدخلونهم في المكان المعد لهم سلفا ويسمى "داس" أي مجلس ويأتي إليهم اثنان من كبار السن من أهل البنت ويرحبون بهم ويقولون لهم الحمد الله على سلامة وصولكم ويرد عليهم أهل الولد بالقول أيضاً الحمد الله وجدناكم بخير فيرد عليهم أهل البنت "إمَّ جابرايا كارا" معناها استريحوا في مجلسكم ويرد عليهم الضيوف "جابرا تكيا" أي نشكر كم على ذلك ثم يخصص أهل البنت أشخاصاً لخدمة الضيوف كما

---

٢٧٣ محمد جمعة اسماعيل عثمان طلوق وهو من الشخصيات القليلة الذين يعرفون تفاصيل أنساب وأعراف وتقاليد بيت طوقي. وقد أعتمد الباحث في كثير من الاعراف والتقاليد في بيت طوقي على المادة التي أرسلها إليّه بتاريخ ٣-٣-٢٠١٧م أوعبر النقاشات المستمرة معه في مختلف الأوقات.

٢٧٤ المصدر السابق.

يخصص لهم رجل لبق ممن يتمتعون برجاحة العقل يتفقد ما يلزمهم من واجب الضيافة ويسمى "قشخ" [٢٧٥]

عندما يأخذ الضيوف مجلسهم يقدم لهم الحليب ليشربوا منه ويسمى (مبرهوت) المخْضُ بفتح الميم وهو اللبن الخالي من الماء وذلك لأنّ البلين يتفاءلون بتقديم الحليب في مناسبات الأفراح، ولا يوجد في تراث قبيلة بيت طوقي عادة شرب الخمر وصناعته بخلاف السنحيت المسيحيين، ثم تقدم لهم الجبنة "القهوة" فالأكل عصيدة بسمن ومن ضمنها عصيدة خاصة تعدها الحماة تسمى "كالا تنشينيرخ".

بعد الانتهاء من الأكل والشرب يجلس الحضور من الرجال في حلقة دائرية في مقدمتهم كبار السن والوجهاء من الطرفين ويكون قد حدد سلفا كل طرف متحدثا باسمه في الجلسة يسمى "ونتسخ" ويبدأ الحديث المتحدث باسم أهل البنت بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ويقول الحضور اللهم صل وسلم عليه ثم يرحب بالضيوف ويرد الضيوف بالثناء والشكر لهم، يتوجه المتحدث باسم أهل البنت بكلامه مباشرة إلى المتحدث باسم أهل الولد يناديه بكنيته مقرونة باسمه فيقول له اطلبوا ما جئتم من أجله فيرد المتحدث باسم أهل الولد جئنا راغبين في مصاهرتكم وطالبين يد بنتكم فلانة بنت فلان لابننا فلان بن فلان ونطلب منكم توضيح المطلوب من المهر ويقال ذلك حتى لو كان الخطيب والخطيبة أبناء عمومة ليكون المهر معلناً ومعروفا للجميع، [٢٧٦] يرد المتحدث باسم أهل البنت إن صداقنا معروف ومحدد، وهو :

- حق القبول " قولة الخير"
- حق الأم،
- شوال عيش "كيس فري"

---

٢٧٥ المصدر السابق

٢٧٦ المصدر السابق

- وطاقة من القماش،
- وبقرة تسمى " أللا فتح ري أو أللا أندري "
- ٢ خلخال من الفضة "حجل" وسوار من الفضة "وانطه" لكن إن الحجل والوانطه لا يوجداني حاليا
- وحق العمدة "جبت"
- وحق المسجد أوالكنيسة "سقادت"
- وحق مكان المناسبة "داس"
- وبهيمة من الماعز تسمى " مندق"
- ومتلو
- ودرار
- وصداق العروس أثنى عشرة بقرة " تقيم نصفها بمبلغ رمزي ويؤتى بالنصف الباقي منها " أو أوقيتان من الذهب.

يرد إليه المتحدث باسم أهل الولد قبلنا ما ذكرتم من الصداق وندعو الله أن يبارك في الخطوبة ومن ثم يبدأ أهل الولد بتسليم ما عندهم من "الأفتحات" والهدايا لأهل البنت.

يتقدم رجل من بين الحاضرين ليقف وسط الدائرة فيكون مناولا بين الطرفين ويستعرض المتحدث باسم أهل الولد كل ما معهم من متطلبات الخطوبة واحدة تلو الأخرى والرجل الواقف يأخذ منه ما يسميه من نقود أو ملابس فيسلمها للمتحدث باسم أهل البنت ويقول المتحدث باسم أهل البنت عند استلام المبلغ أو الملابس "قبقخ أونتت" أي معناه الله يعطيكم من خزائنه الواسعة، ويعطي أهل الولد في هذا اليوم هدايا كثيرة، فيكسون أم العروس وجداتها وعلى الأقل واحدة من عماتها وخالاتها وأخواتها. وزوجة العم وزوجة الأخ

ويلبسون أهل الأب والأم مبلغا من المال ويلبسون الخطيبة، ويمكن التوسع أو التقليل في هذه الأمور حسب الاستطاعة والرغبة معا.

ينهي المتحدث باسم أهل الولد حديثه بأبي فلان هكذا اكتفينا فأنتم أهل الأصول لا طلاب مال، ويرد عليه المتحدث باسم أهل البنت يكفينا اكرمتمونا أكرمكم الله ويذكر إجمالي المبلغ الذي وصلهم فيرد المتحدث من أهل الولد نعم هو المبلغ المسلم إليكم ويذكر ذلك من باب الإعلان والإعلام للحاضرين، ثم يختم المجلس بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام [٢٧٧] وبهذا تكون قد أعلنت الخطوبة وشاعت وسط الناس ويعرف المجتمع أن هذه البنت مخطوبة لفلان و من ذلك اليوم تكون حذرة من أي أعمال تؤثر على سمعتها وتستفز خطيبها وتحتجب البنت من خطيبها إلى يوم الزواج كما أنّها تحتجب من والده "نخاخ" وإخوانه الكبار وأعمامه وأخواله الكبار "أررنغ" كما أنّ أم العروس لا تقابل خطيب بنتها وتسمى بالبلين "التنشيني" وبين الخطوبة والزواج هناك بعض الأعراف مثل أن يقدم أهل العريس لأهل البنت بهيمة ماعز لذبحها في عيد الأضحى ويرد إليهم أهل البنت دقيق مالح معمول بطريقة معروفة ومعه سمن وغيره.

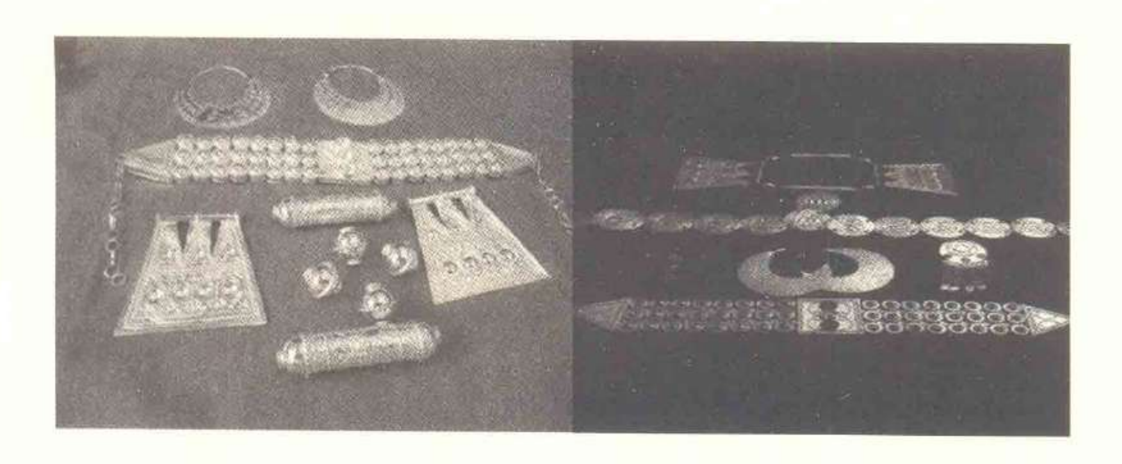
المتلو في عرف البلين

سبق أن أشرت إلى أن إجراء الزواج يبدأ بالبحث عن البنت ثم الخطوبة فالمتلو وهو يوم استلام الصداق من أهل العريس ويكون ذلك في يوم محدد يتفق عليه الطرفان، ويحضر هذه المناسبة الأقارب والجيران وكالعادة يأتون بسالفهم من الدقيق والسمن والحليب أو بمبلغ من المال وتكون المناسبة في دار أهل العريس ويأتي أهل البنت إليهم وغالبا للمبيت ويستقبلون بالترحاب من الرجال والزغاريد من النساء ويستضافون في المكان المعد لهم سلفا ويقدم لهم الحليب والقهوة والشاي وتذبح لهم الذبائح وتقدم لهم العصائد بما فيها عصيدة " كالا التنشيني" ويكون ملاحها من السمن فقط بقدر كاف وهي تقدم للوجهاء

---

٢٧٧ المصدر السابق

والكبار في مناسبات الخطوبة والمتلو أما في الزواج فيأكلها العريس ووزراؤه كما سيأتي بيانه لاحقا، ومن العادات أنّها لا تؤكل كلها حيث إنّ كبار السن من النساء يأكلن المتبقي منها، ومع طلوع الشمس يأتي أهل العريس بالأبقار أمام الجميع وهي سبعة أوستة رؤوس محددة العمر والنوع من الذكور والآناث، وإن لم يكن العدد المطلوب من البقر كلها متوفرة للأسرة يكملون الباقي بسبع من الغنم مقابل كل بقرة وأما الستة الباقية فتقيم بمبلغ رمزي كما سبق الإشارة إليه في الغالب تترك واحدة أو اثنين من البقر لأبي العريس كمساعدة له وتخصص اثنتان منها للبنت لتؤسس بها حياتها بعد الزواج وتؤخذ الثلاثة لتجهز بها البنت للزواج من ذهب ولوازم الزواج الأخرى. هذا ما كان في السابق أمّا الآن فإن صداق البنت في الغالب أصبح يدفع بالذهب أو ما يعادله من المال. وتنتهي مراسم المتلو بالصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم.[٢٧٨]



أشكال من الذهب والفضة التي تدفع كمهر للمرأة

مراسم الزواج عند البلين

بعد الخطوبة ومناسبة المتلو يحدد موعداً للزواج باتفاق الطرفين بالشهر واليوم وغالبا يكون في مواسم الحصاد لتوفر الذرة والحليب وتنهمك أسرة العريس للاستعداد ليوم الزواج، كما تنهمك أسرة العروس في تجهيز بنتها بمستلزمات الزواج من البروش "حندك" وهي سبعة من البروش يغطى بها البيت الذي تدخله العروس في أشهرها الأولى ويسمى

---

٢٧٨ المصدر السابق

"أبلورة" وأخرى للفرش والتزيين في الداخل بألوان مختلفة مثل "فرش السرير المحلي أرق، دنقا، حقاق، مشكيت، علجت للعريس، ومجرابب، وحربت، وكرار "وحاب، وحبسات، وعشينت سطور، وشابر، وقبار، ومقلعيت، وغيرها، و تجهز بالأدوات المنزلية الأخرى، كالكؤوس، الفناجين، الطشت، و الأكواب، وصحون، والأباريق، والسجاجيد، والمكحلة، ونوع من الطيب يسمى "قديت" وكل ما يلزمها من مستلزمات الزواج حسب المستطاع. هذا ماكان في السابق أما الآن فقد اختفت الكثير من تلك العادات الجميلة وجاء عوضا عنها الأدوات الحديثة مثل غرفة النوم وغيرها.



هذه بعض من المستلزمات التي كانت تأتي بها العروس في السابق

من ناحية أخرى فالأسرة تهتم بصحة العروس فيسقونها السمن وسنا مكة ويهتمون أيضاً بوجباتها الغذائية وتختار أو يختار لها وزيرة تصاحبها وتقوم بخدمتها في خلال السبعة أيام الأولى من الزواج.

وقبل الزواج باسبوع تبدأ ليالي الفرونتر في منطقة قريبة من دار أهل العروس وأخواتها وأقاربها وجيرانها واصحابها من الإناث والذكور يقومون بإحياء هذه الليالي الساهرة بالطرب الغنائي يشترك فيه الحضور بأداء الرقصات والمطارحات الشعرية والأغاني ويشمل ذلك "السعسعيت، ووسوميا، وقوليا، ومعشو" في غالبها تكون بلغة البلين وأحيانا بلغة التجري والآلة المستخدمة في القوليا تسمى بالبلين " كلمبورا" وبالتجري " كبرو" " ويعد (الكبرو) الآلة الوحيدة المستخدمة في أغاني هذه الليالي، وهو عبارة عن طبل مغطى من

جهتيه بقطعة جلدية مشدودة ومدبوغة يدق بالأكف و يؤتى بأحسن أنواعه سلفا"[٢٧٩]. إن مسألة الطرب أو " القوليا" في مناطق البلين والمناطق المجاورة لها قوانين وأعراف يتقيد بها الجميع وهي تدار بواسطة "الربعت" وهي عبارة عن مجموعة مكوّنة من الشباب الراشدين برآسة أحدهما يسمى " أب ربعت"

ومعظم الأغاني في هذه المناسبة تدور حول الفرح والسرور بالزواج، ومدح العروس ومرارة فراقها، ويمدحون الذين يتصفون بالفروسية والمزايا الحسنة من الشجاعة والكرم والمروءة و عموم الأخلاق الحميدة في المجتمع، كما تعكس الأغاني المزاج العام من حزن وفرح وتتطرق إلى السياسة تصريحا أو تلميحا، كما تتناول القضايا الاجتماعية بالمدح للجوانب المضيئة وبالذم للعادات السلبية فيها حتى يتعظ مرتكبوها ويعودون إلى صوابهم وتحذيراً مسبقا للآخرين من الوقوع فيها. يقول في ذلك الأستاذ محمد نور فايد : " إن البلين ومن خلال أغانيهم كانوا يعالجون مشاكلهم الاجتماعية ويعبرون عن معاناتهم ويشجعون على التخلق بالأخلاق الرفيعة، مثال ذلك إذا انحرف شخص منهم في أخلاقياته واتصف بأخلاق غير محمودة في المجتمع نظموا فيه أبياتا وتغنوا معيبين عليه وناصحين له ومحذرين الآخرين من الانزلاق إلى مثل تلك الأخلاق المشينة وقد كان هذا الأسلوب في معالجة القضايا الأخلاقية ناجعا، حيث كان يعظم على الناس أن يتناولهم شاعر بقصيدة أو مغن بأغنية معيبة فيكون ذكرهم عند كل الناس مذموما كما أنّ الشعراء والمغنين دأبوا في نظم الشعر والغناء في مدح صاحب الخلق الحسن وصاحب الفضيلة مما حدا بالناس للتسابق إلى تحسين الذكرى الحسنة عند الناس"[٢٨٠] وتنتهي ليالي الفرونتر بصبيحة يوم العرس، و الذي لا ينكر في هذه الأعراف واللعب أنها من صميم الفلكلور الشعبي تسعى لإظهار الفرح وهي عادات محمودة مالم يخالف فيها الشرع، و أحسب أن بعضها كان يحدث فيها ما يخالف الانضباط الشرعي.

---

٢٧٩ جلال الدين محمد صالح، *كرن الأصالة والتراث*، مصدر سابق، ص، ٤٣٤

٢٨٠ محمد نور فايد، مصدر سابق، ص، ٩٥

بالعودة إلى الأسرتين فإنّ كل منهما يجهز ما يلزم ليوم الزواج من الأكل والشرب كالدقيق والقهوة والشاي والحليب والسمن وإحضار الماء والحطب وتجهيز أماكن استقبال الضيوف، إضافة إلى ذلك فإنّ أهل العريس يحضرون نوعاً من الخشب الرطب الذي يجهز به بيت العريس يسمى "رقي" وآخر لتجهيز السرير المحلي " أرق" ويتولى جلب ذلك من الغابة وزراؤه وأقاربه وجيرانه في يوم محدد قبل الزواج بفترة ويسمى "رقي سقرنا" والمطلوب سبع من أشجار السدر اللين.

السمد في صبيحة يوم الزواج

السمد يكون في صباح يوم الزواج وهو إلباس العريس ملابس العرس بعد صلاة الفجر مباشرة، يجلس العريس في سجادة جديدة معدة لهذا الغرض "سقادة سمدخ" ويجلس معه ولد صغير يسمى "حيمخرا " وهو ابن الزوجة الأولى لوالده، و "حيمخرا " له مدلول اجتماعي في عادات البلين وهو يدل على التفاؤل بالزواج الناجح وبغضهم للطلاق، ومع العريس و"حيمخرا" يجلس رجل كبير من الأقارب أو المعارف يسمى "سمدخ " وتكون معه ملابس العريس وهي:

- سروال وقميص وصديري وطاقية وعمامة
- وثوب كبير يسمى سماديت.
- وحذاء صندل.

يبدأ الشخص الذي يلبس العريس ببسم الله ثم يناوله الملابس واحدا واحدا على الترتيب المذكور أعلاه وسط زغاريد الحاضرات من النساء بصوت منخفض، وبعد الانتهاء من اللبس تتقدم الأم أو من تقوم مقامها فتضع على المعصم الأيمن للعريس سوار من الفضة يسمى "بخيرة" وتلبسه عقداً من السكسك على صدره يسمى "سوميت"، ومن الأمور التي تلازم العريس من وقت السمد سيف وسوط عنج إذا كان قد مارس عادة الشنقالي و عصا (عقنا)

بدل السوط إذا لم يكن ولا يفارقه أحد وزرائه إلا في حالات قضاء الحاجة وعند دخول بيته للنوم طيلة أربعين يوما في السابق ولاحقا تغيرت إلى أسبوع فقط، ومن العادات أيضاً لا يسمى باسمه بل يكنى بالعريس أو كنتيباي طيلة تلك الفترة. ويحضر مراسم السمد الأب والأم والأعمام والأخوال والخالات والإخوان والأخوات والجيران، والكل يدعون له بالتوفيق والخير والبركة والذرية الصالحة والرزق الوفير والوفاق والوئام في حياته الجديدة وبعد طلوع الشمس يفطر العريس والحضور ويستعدون للتحرك إلى أهل العروس، ومثل ذلك أيضاً إن أهل البنت يقومون بعادة السمد لبنتهم في أجواء من الفرح والسرور وعادة ما يقوم بذلك كبار السن واللبيبات من النساء والمعروفات بالصلاح منهن و ذلك تفاؤلا وتيمنا بهن لتكون العروس مثلهن في حياتها الزوجية و قد يكون ذلك في الصباح أو وقت الظهيرة تغتسل العروس وتلبس أحسن ما عندها من الملابس والزينة وتجلس في السرير المحلى "أرق" لأمها وبعد فترة من طلوع الشمس يستعد أهل البنت لاستقبال أهل العريس وهم يأتون في الغالب في عدد كبيرة كلهم من الرجال يكون فيهم كبار السن والوجهاء والشباب يتم اختيارهم من قبل أهل العريس ويكون معهم من الدواب مثل الجمال والأحصنة وغيرها وذلك لحمل العريس والعروس والأدوات المصاحبة للعروس، كما يكون مع موكب العرس السيوف والرماح والدروع وغيرها.

يسوق أهل العريس معهم شاة تسمى "مندق" (ويؤدون) الهوريا في موكب العرس في الذهاب و العودة وهو ترديد مقاطع من الشعر الشعبي تعكس الفخر بالأعمال المتعلقة بالفروسية و الأخلاق المحمودة، يستعرض الشباب أمام العريس اللعب بالسيوف والرماح على شكل مجموعات تسمى بلغة البلين "برجدنا"، عند وصول الموكب إلى أهل العروس يستقبلهم الرجال وقوفاً والنساء من داخل البيت بالزغاريد، ويقف أهل العريس تاركين مساحة بينهم وبين أهل العروس، ويقوم أشخاص منهم يجيدون الاستعراض بالسيوف "برجنا" في حدود عشر دقائق تقريبا بالاستعراض وبعدها يقومون بأداء مدحة لا إله إلا الله

لا إله إلا الله محمد رسول الله ومفتاح الجنة، وبعد الانتهاء من المدحة يدخل أهل العرس إلى المكان المخصص لهم ويأتي إليهم رجلان من أهل البنت ويرحبان بهم على النحو الذي سبق تناوله في الخطوبة والمتلو ويقدم لموكب العريس الحليب ثم القهوة ووجبة الأكل وبعد الانتهاء من الأكل يجلس أهل العريس والعروس في حلقة على شكل دائرة وبعد تبادل الترحاب والشكر تبدأ مراسم عقد القران ويرسل المأذون رجلين من أقارب العروس للتأكد من رضائها وبعد أن يأتي إليه الرجلان بالخبر اليقين يبدأ بعقد القران بالطريقة الشرعية المعروفة بالنسبة للمسلمين والمسيحيين يعقدون القران في الكنيسة ويكون غالبا في يوم السبت ويكون حفل الزواج في يوم الاثنين ويكون في عقد القران عند المسلمين كل شيء معلن من اسم الزوجة والزوج والمهر والشهود والولي...إلخ، بعد الانتهاء من مراسم عقد القران يدعو الجميع للزوجين بالبركة والوفاق والذرية الصالحة ويختمون بالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، بعدها يقدم أهل العروس هدايا للعريس والعروس قد تكون بقرتين أو بقرة أو أي شيء تستطيعه الأسرة، كما تقدم هدايا لأهل العريس من جهة الأم والأب وغيرها من المسائل الأخرى التي مررنا على ذكرها في الخطوبة والمتلو، إلّا أن الفرق في الهدايا في الزواج تأتي من أهل البنت وتكون للرجال والنساء بينما كانت في الخطوبة والمتلو من أهل الولد وتكون للنساء.

بعد الانتهاء من جلسة الرجال يذهب وزراء العريس إلى النساء ليستلموا منهن الهدايا المقدمة للعريس وأهله من جهتي الأب والأم ووزرائه، والهدايا في الغالب سجاجيد وبروش مثل "علجيت" الوزير أو مبلغ من المال، كما يستلم الوزراء الأغراض المصاحبة للعروس ويحملوها على الدواب التي جاءت معهم لهذا الغرض وتتحرك الدواب المحملة قبل موكب العرس حتى تصل إلى دار العريس قبل وصول موكب العرس أو معه، بعد ذلك يطلب الوزراء من النساء تجهيز العروس لهم للتحرك، ومن العادات أن تطلب النساء مبلغا من المال لتسليم العروس يسمى "رفعيت" ويتم التفاوض عليه مع وزير العريس، وبعد استلام المبلغ الذي تمّ الاتفاق

عليه تجهز النساء العروس ويطلبن ذبح "المندق" لاستلام العروس، والمندق شاة تذبح أمام البيت التي توجد فيها العروس في السابق يدخل أحد الرجال من أهل العريس ويحمل العروس التي يغطى كامل جسمها بالثوب تماما من السرير المحلي للأم "أرق" ويتخطى بها الذبيحة ثم يضعها في المركب المجهز لها جملاً أو حصانا وإذا كان الطريق وعراً أو المسافة قريبة يتبادل الشباب في حملها، لكن في الفترة الأخيرة أصبحت العروس تخرج بنفسها ومعها وزيرتها وعدد من النساء والبنات. والعروس تبكي أو تتباكى لفراق أهلها وإن كانت هذه الأمور بمرور الزمن أصبحت تختفي ويودعها أهلها بالأهازيج والأغاني ويوصون زوجها عبر بعض الأغاني حتى يقوم بخدمتها في كل ما تحتاج إليه، و يذهب الشباب والشابات من أهلها مع موكب العريس إلى مسافات لتوديع العروس وتحدث في بعض المرات مطارحات شعرية بين شباب وبنات أهل العروس وشباب وبنات أهل العريس بالبلين أو لغة التقري تدور حول مدح من يستحق المدح والذم بمافيهم العريس وأهله ذلك بدون موارية، وقد يكون وصفاً للمنظر العام أو الرد على الطرف الآخر أو من باب الطرفة أو الفكاهة... إلخ، وبعد ابتعاد موكب العريس من أهل العروس يعود شباب وشابات أهل العروس، ويواصل موكب العريس وهم يؤدون الهوريا بطريقة منسقة وجميلة مع الاستعراض بالسيوف والرماح والدروع وعند اقترابهم من دار العريس يقال " انتخن دلوا ينكن دلوا" فتستقبلهم بنات وشباب أهل العريس وهم يغنون "قدونا قدونا أتيونا قدونا سرقي انترونا "، عند الوصول يستعرض الشباب بالسيوف لمدة عشرة دقائق تقريبا وبعدها يدخل موكب العرس المكان المعدلهم سلفا لتناول وجبة العشاء ويشرب القهوة والشاي وتدخل العروس إلى بيت أم العريس حتى يغطى " الأبلورة" بالبروش من الخارج ويفرش ويزين في الداخل بالأغطية التي جاءت مع العروس.

العيطيوت

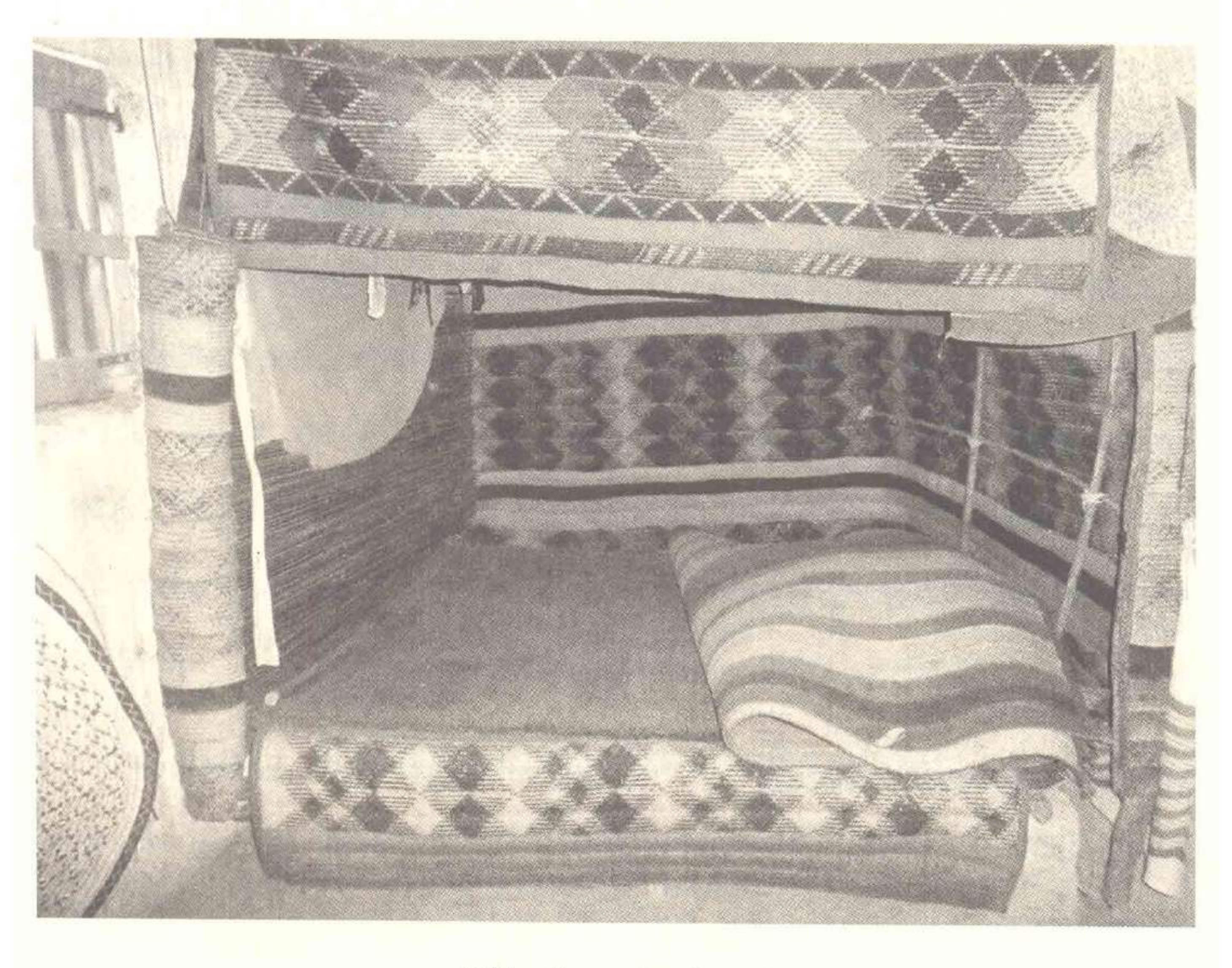
قبل غروب الشمس يقوم أهل العريس بعادة تسمى "عيطيوت" والعيطيوت يكون في كوخ صغير يكفي لشخصين فقط يغطى بالبرش من الخارج ويوضع فيه برش في الداخل لتجلس عليه العروس، ويؤتى بالعريس معصوب العينين فيدخلونه إلى عروسته ويطلبون منه أن يضع يده اليمنى على مقدمة رأسها ويمرر يده عليها حتى السرة. ثم يتم إخراج العريس من قبل وزرائه وهو ما زال معصوب العينين ويعطونه المصحف ويأمرونه أن يفتح المصحف ثم يفتح عينينه عليه ويقرأ ما تيسر له من السورة المفتوحة، وإذا كان العريس أمياً لا يقرأ يكفيه النظر في الآيات المفتوحة للتبرك بالقرآن.

عادة العشل

يجلس العريس ومعه طفل صغير "حيمخرا" ومعناه أن تكون أمه الزوجة الأولى لوالده كماسبق الإشارة إليه في أكثر من موضع في هذه الدراسة، ويتحلق حول العريس بعض الناس من أقاربه ووزرائه ويرش العريس بالعشل وهو ماء مخلوط ببعض الأعشاب منها ورق السدر. ويعمل بنفس الطريقة للعروس من قبل النساء بعد إدخالها في بيتها ويسمى "أبلورة"، ومن العادات ترفض العروس ووزيرتها تناول الشراب أو الطعام فيتم استرضاؤهما بالهدايا ويكون ذلك بالتفاوض بين الوزيرة وقريبات العريس من النساء. ومن العادات والتقاليد أيضا أن الأمهات يوصين العروس بعدم تمكين زوجها من نفسها بسهولة في الليلة الأولى لتختبر قوته وقدرتها وهي عادة غير سوية ومن العادات أيضاً أن العريس ووزيره في يوم العرس أو اليوم الثاني يسلم على الرجال الكبار ويطلب منهم الوزير الدعاء للعريس بالخير وتقديم هدايا له "كشرى" فيهدونه ما تيسر لهم وخاصة إذا كان من الأقارب أو معنيا بإعطاء الهدية ربما لدين سلف أو غيره يسمى ما يريد إعطاء العريس من الغنم أو البقر أو الإبل يحددها بالاسم

والعمر أو يدفع مبلغا من المال في الحال والذي لايستطع يكتفي بالدعاء له بالخير والبركة والرزق الواسع والذرية الصالحة.

على العموم ينقسم "الأبلورة" من الداخل إلى قسمين يفصل بينهما بستار تجلس العروس ووزيرتها في السرير المحلي في الجزء الداخلي والعريس ووزراؤه وأصحابه يجلسون في الجزء الآخر.



السرير المحلي المعروف بالبلين " أرق"

من اليوم الثاني يبدأ في أكل " كالا ماسخ في الأبلورة " إلى اليوم الثامن، وكالا ماسخ معناها أكل وجبتين في داخل بيت العريس يأكلها أصحاب وأصدقاء العريس من الشباب وكل وجبة يقوم بها أحد أقارب أو معارف العريس وتسمى "درار ماسخ" وهي عبارة عن عصيدة

تعد بطريقة جيدة وتملح بالسمن و تعمل بمقاييس محددة من الدقيق والسمن، بعد أكل الوجبة يتحدث أحد الوزراء أو من ينوب عنه بصوت عال ويعدد محاسن أو مساوئ العصيدة التي أكلوها وبناء عليه يكيل المدح أو الذم للمرأة التي جهزتها، بعدها الوزير الثاني يحدد بعض الناس من الحضور لجلب الماء والحطب ويكون ذلك بالدور. من الأمور الملفتة هناك قوانين صارمة " للماسخ" ويعاقب من يخالف هذه القوانين المعمول بها، في أسبوع "الماسخ" وفي خلال الأسبوع يكون اللعب وأغاني الفرح متواصلة في مكان قريب من مكان العرس.

الوزراء في الغالب عددهم يكون ثلاثة وهم من أصدقاء العريس يساعدونه في التجهيز للعرس ويقومون بخدمته إلى اليوم الثامن من العرس، فالوزير الأول يسمى "مادا بخيروخ" وهو حافظ سر العريس ومسؤول عن الشؤون الداخلية "للأبلورة" ويذبح البهيمة المعروفة "بإسرات" كانت في السابق بقرة لكن تحولت في اللاحق إلى شاة يأكلها فقط العريس والعروس، أمّا الوزير الثاني فمسؤول عن شؤون الدار مثل إحضار الماء والحطب وغيرها من أمور الدار في خلال الأيام الثمانية، أما الوزير الثالث فيقوم بحراسة ومرافقة العريس طوال الفترة العرس.

ومن العادات أن يتحين الشباب أي فرصة أو غفلة من الوزير ليفوزوا بشيء من أغراض العريس مثل السيف والسوط والنعال ليخبؤوها ثم يقومون بشكوى الوزير بتهمة الإهمال في حماية العريس وتعقد جلسة لمحاكمته في داخل "الأبلورة" ويحكم عليه بعقوبة مناسبة حسب الجرم الذي ارتكبه فيغرم شاة أو سكراً مع الشاي أو غيره، وفي اليوم السابع تذهب بنات القرية والوزيرة إلى المعطن (المورد) لغسل ملابس العريس والعروس والوزراء، ويذهب معهن العريس والوزراء وأصدقاء العريس وهم يؤدون الهوريا، وبعد الانتهاء من الغسيل يرجعون أيضاً وهم يقومون بنفس الاستعراض ويقوم العريس بقطع غصن من السدر بسيفه إيذانا بإعلان ختام أسبوع العرس، وفي السابق كان يواصل العريس ووزراؤه

لأربعين يوما يزورون فيها الأقارب والأصدقاء وهؤلاء بدورهم يستقبلونهم بالترحاب ويكرمونهم لكن هذه المدة تقلصت لاحقا إلى أسبوع واحد.

تبقى العروس في بيتها "أبلورة " حتى مجئ الخريف أو موسم الأمطار ثم تنقل إلى البيت الجديد وهي في هذه الفترة لا تعمل أي شيء حتى الأكل يجهز لها من قبل أم العريس أو من يقوم مقامها ويغسل ملابسها أخوات العريس أو بنات القرية إن لم يكن له أخوات، ويزورها أقاربها خاصة البنات ومعهن "رنبوت" وهي نوع من "الإنجيرا " تعد بطريقة محددة لهذا الغرض كما أن أهلها يرسلون إليها سبع مرات من "الرنبوت" وكل رنبوت فيه "سبعة إنجيرا" تعطى ثلاثة للعروس والأربع لأم العريس، ومن العادات أن أمها لا تزورها في العام الأول إلا مرة واحدة تسمى " أتيوت " ويأتي معها عدد من النساء ويحملن معهن سبعة ربعاع من الدقيق المالح و لترين اثنين من السمن وكيلو من السكر وما تتزين به المرأة في مقدمة رأسها وهي من الذهب تسمى بلغة البلين "جابرا" و هدايا أخرى، و يستقبلنهن أهل العريس بالترحاب ويكرمونهن بالذبيحة وبعد ستة أشهر تقريبا ترجع العروس إلى أهلها "بلسوت" فإن كانت حاملا تلد في بيت أمها وإن لم تكن حاملا فتعود إلى بيتها بعد فترة، وبعد العودة تتحمل جميع المسؤوليات من رعاية زوجها وبيتها و هكذا تستمر الحياة الزوجية .

عرف الطلاق في مناطق بيت طوقي

إن الاستمرار في الحياة الزوجية هو الغالب في مناطق بيت طوقي دون أن يعني ذلك عدم وجود طلاق، إنّ الطلاق يحدث في هذه المنطقة والمناطق الأخرى لعوامل عدة مثل عدم الانسجام بين الزوجين، أو لمشاكل أسرية، أو لعدم الإنجاب، أو لموانع طارئة مثل مرض أحد الزوجين وغيرها. أمّا طريقة الطلاق في هذه المنطقة فتتم عبر عدة طرق، منها : أن يطلقها شفاهة بثلاث طلقات يسمى بالبلين "سيخو سي بارخنك" ثم يرسلها إلى أهلها وهو أمر يتعارض مع المفهوم الشرعي فمن السنة أن تبقى في بيت الزوجية وتتزين لتغري زوجها وكأنّه لم يحصل شيء، ومتى ما لامسها عادت زوجته كالسابق وتأمر السنة أيضاً أن يكون الطلاق

في طهر لم يواقعها فيه، الحالة الثانية الخلع يسمى بالبلين "دادنا" من طرف الزوجة ويحصل ذلك عند ما يصل بها الأمر إلى مرحلة لا تطيق العيش في بيت الزوجية في هذه الحالة بإمكانها أن تخلع وتعيد للرجل ما دفع لها من المهر، حالات الطلاق بهذه الطريقة نادرة في مجتمع بيت طوقي، الحالة الثالثة الطلاق قد يحدث بسبب عجز الرجل عن أداء واجباته الزوجية. في هذه الحالة يحق للمرأة أن تطالب بالطلاق بسبب عدم أهلية الرجل، وقد يتم الطلاق في هذه الحالة إما بتقرير طبي أوتسريح بإحسان، وفي هذه الحالة لم تلزم المرأة بدفع أيّ شيء وتأخذ معها كل ما تملكه من المال إلى بيت أبيها، الحالة الرابعة اختفاء الزوج لفترة معينة دون عذر معلوم تتحدد الفترة حسب كل حالة في هذه الحالة لها الخيار أن تطلب الطلاق عبر القضاء أو أهل الزوج يسرحوها بإحسان بعد فترة انتظار وقد تكون هناك طرق وأسباب أخرى للطلاق غير الذي ذكرت.

السماية في عرف بيت طوقي

من العادات والتقاليد إن المرأة تكتم حملها وخاصة إذا كان الحمل أول حملها لكن القريبين منها يعرفون ذلك من مظاهر الوحم، بعد تأكدها من الحمل تعلم بذلك أكثر المقربين إليها مثل زوجها وأمها أو أختها وغيرهم، وأما الآخرون فيعرفون بالحمل عند ما يظهر للعيان. المرأة الحامل لا تذهب للسالف إلا للضروريات القصوى وتخفي بطنها من الناس وخاصة من الرجال وإذا كان هذا الحمل هو الأوّل فإنّها تنقل إلى بيت أبيها وأمها في أشهرها الأخيرة لتلد هناك، ويزودها زوجها بمستلزمات الحمل والولادة وكان في السابق يُعْمَل للحامل في شهرها السابع من الحمل عصيدة تسمى بالبلين "كالا سنفؤخ" ويدعى لتلك الوليمة الأقارب والجيران من النساء والأطفال ولا يحضر الرجال هذه المناسبة، وعند ما يقترب شهرها يجهز لها ما تحتاجه يوم الولادة ومدة النفاس من قبيل الملابس، والبن، والسكر، الزنجبيل، والدقيق المجهز بطريقة معينة، والسمن، و شراب القِشِرْ، وبطانية خاصة تسمى بالبلين "سمير"، ومهد مصنوع من الجلد و أرجوحة "هللي" للطفل وتصنع من سعف الدوم

وتعلق بالطرفين في شيء مرتفع ثم يوضع فيها الطفل ثم يهز الهللي بطريقة تناسب الطفل وهذه العملية تساعد الطفل على الاسترخاء والنوم العميق.

على كل عند ما تصل الحامل شهرها الأخير للحمل لا تترك لوحدها لأن المخاض يتوقع أن يأتيها في أي وقت، وعندما يبدأ وجع المخاض يؤتى بالقابلة "الأمولد" وعادة في كل قرية توجد "أمولد" وتكون معروفة للكل وهي تكون قابلة بالخبرة والتجارب لا بالتعليم والتدريب المسبق، وهي تساعد المرأة في الولادة وتقطع حبل السرة من المولود ويدفن في مدخل البيت أو تحت شجرة السدر، بعد اكتمال الولادة بالسلامة تستقبل الأسرة المولود الجديد (بسبع زغارودات) للذكر وثلاث للأنثى، إذا كان هذا التفريق في عدد الزغرودات من أجل الإعلام وليس انتقاصا من مكانة المولودة أمر لا بأس به، وإذا كان من منظور التفاضل فهو من عادات الجاهلية و أمر مذموم من الناحية الدينية، وبعدها تعمل عصيدة بالسمن "كالا سنيخ" يأكلها الحضور بما فيهم القابلة ويشربون القهوة والكل يبارك للأم والأسرة المولود الجديد، ويدعون للمولود بالصلاح وبر الوالدين و تكرم القابلة "الأمولد" عرفا في يوم السماية فتعطى هدايا مثل مبلغ من المال، شيء من لحم العقيقة، دقيق، وسكر، وبن، وصابون... قدر المستطاع.

يستعد والد المولود من وقت الولادة ليوم السماية وهي اليوم السابع فيجهز الدقيق، الحليب، البن السكر، الزنجبيل، والشطة، وملابس للمولود وشاة العقيقة، وفي اليوم السابع تذبح العقيقة ويسمى الطفل و طرق اختيار الاسم كثيرة كأن يختار جد المولود الاسم أو من يظن بصلاحه من الأسرة وآخرين من الأقارب وقد يسمى باسمين أحدهما من قِبَلَ أبيه و الآخر تختاره أمه وفي حالة كثرة الأسماء يتم إجراء قرعة فيسمى المولود بالاسم الذي وقعت عليه القرعة و يثبت اسم واحد في الوثائق الرسمية، كما أن في هذا اليوم يحلق شعر الطفل ويختار للحلاقة البكر في الأسرة من الرجال ويترك البعض الأدنى من مؤخرة رأسه يسمى "حرورا" وهو القزع وهو أمر منهي عنه في الإسلام والبعض الآخر يترك هامة الرأس من

الحلاقة كما تعمل له في هذا اليوم التميمة لتعلق في رقبته لتحفظه من العين والسحر ويحضر هذه الوليمة الأقارب والجيران ومعهم سالفهم حسب المستطاع فمنهم من يأتي بالدقيق أو العيش أو مبلغ من المال وهناك من يأتي بالحليب وآخرون يأتون بحطب الدخان "كان تديو" والمقصود بالدخان (حمام بخار) هو حرق نوع معين من الحطب في داخل حفرة مجهز لهذا الغرض، وتجلس المرأة فوق هذه الحفرة التي يخرج منها الدخان بعد أن تجرد من ملابسها وتلبس بطانية خاصة تسمى بالبلين " سمير، وبالتجرى "شمت" ويعتقد أن هذه العملية تزيد من نضارة بشرة المرأة، وتتخلص من الجراثيم العالقة و الأملاح الزائدة في جسمها عن طريق العرق الشديد وتحسن رائحة الجسد وتعطي الجسد النشاط المطلوب.

ومن وقت الولادة تجلس الأم على السرير المحلي "أرق" ولا تتحرك منه لمدة أربعين يوما إلا لقضاء حاجتها، وتجد كل الرعاية والعناية من أمها أو من يقوم مقامها طوال مدة النفاس، وهي أربعون يوما، تشرب الحليب الدافئ، والقشر، والحلبة، وتروى من النشا (مديدة الذرة) مثل الدخن ويصنع لها المرق حسب الاستطاعة، ومن العادات الجميلة التي تظهر التكافل الاجتماعي في أعراف وتقاليد البلين كل شخص في القرية له بقر أو غنم لها حليب، خاصة في موسم الصيف حيث يقل الحليب يرسل منها حليباً إلى النفساء، وإذا كان هناك أي ذبيحة في القرية لأغراض مختلفة فيخصونها بالقسمة منها، إن تحديد مدة لأربعين يوما للنفساء عند أهلنا وإن كانت أتت من خلال التجارب والعادات والتقاليد إلاّ أنها الآن أصبحت موافقة للحقائق الطبية، فأخصائيوا الولادة يقولون إن رحم المرأة يرتخي بسبب الولادة وحتى يعود إلى طبيعته يحتاج إلى أربعين يوما، وأن أي عمل شاق أو رياضة عنيفة ستعرض رحمها إلى مخاطر صحية ولذا يوصون بالراحة خلال الأربعين يوماً الأولى من الولادة.

من العادات أن لا يدخل الرجال إلى بيت النفساء خلال الأربعين يوما وعند اكتمال الأربعين تخرج من البيت مع الفجر وتتخطى نار موقدة ممسكة بعصى من الحديد أو أي شئ

من الحديد وتصاحبها إمرأة من النسوة المتواجدات، ولعلهن يعتقدن في الحديد أنه يطرد الجن وما شابه ذلك، لكن لا أعرف الاعتقاد من وراء تخطي النار لعل ذلك من العادات الوثنية الباقية في مجتمعاتنا.الأم في منطقتنا ترضع طفلها حولين كاملين ثم ترعى النمو التدريجي لابنها طوراً بعد طور من الحبو والمشي وتعليم الكلام وتدريبه على أساسيات الحياة حتى يشتد عوده ويعتمد على نفسه ومع تلك المسؤوليات العظيمة والعادات والممارسة الجميلة، فإنّ المجتمع في منطقتنا أيضاً يمارس بعض العادات الضارة اعتقادا منهم أنّها نافعة لكن هي في الحقيقة ضارة للطفل مثل عادات الشلوخ "وهي تلك الجروح البارزة على شكل خطوط مستقيمة على خدي الطفل، ثلاثا، ثلاثا، ويزعم أنّها تحد من جحوظ العينين، أو تضفي على الوجه جمالا، وللتوضيح فعادة الشلوخ هي من العادات المشتركة لشعوب البجة وصدق من قال: إفريقيا عدوة الوجه،"[٢٨٢] كما أنهم يُعَرِّضُون البنت للختان الفرعوني وهي عملية ضارة بصحتها كما أنها تعرضها للمتاعب أثناء الولادة و في أوقات الدورة الشهرية وكم من النساء مُتْن بسبب تعسر الولادة من تأثير الختان الفرعوني،، وهي تمارس حتى لدى المسيحيين من أبناء هذه الشعوب ويقوى من فرضية أنها عادة وثنية ثم انتقلت مع هذه الشعوب حتى بعد انتقالهم إلى المسيحية و الإسلام، أمّا عادة الختان فكانت ومازالت تمارس في إطار أوسع في الشعوب القاطنة بالمسميات الحالية السودان، إثيوبيا، الصومال، إرتريا، وبين أفراد قومية البلين المسلمين والمسيحيين على السواء، وهذه الممارسة غير مقبولة نقلاً وعقلاً وخير ما فعلت الحكومة الإرترية باصدارها قانون يمنع الختان الفرعوني ويجرم كل من يقوم به في البلاد في الوقت الحالي.

الوفاة والمأتم عند بيت طوقي

تعتبر المراسم والطقوس بمختلف أنواعها سواءً كانت المتعلقة منها بالأفراح أو الأتراح مثل مراسم التتويج وطقوس الختان، وحفلات الغناء، وإجراءات التنفيذ للأنشطة وأسلوب

---

٢٨٢ المصدر السابق، ص، ٤٥٩

التعامل مع الأحداث وغيرها من الأمور التي تعكس رمزية العادات والتقاليد كل هذه الأمور وغيرها مجتمعة تطبع سلوك المجتمعات البشرية عبر العصور، وما يهمنا هنا هو تناول ما يمارس عند الاحتضار والموت وكيفية التعامل مع الجنازة وما يصاحبها من ممارسات في مجتمع بيت طوقي. وذلك من خلال تناول تلك الطقوس مع التفريق المختفي منها بسبب التطوّرات الدينية والسوسيولوجية أو تداخلهما، والمتبقي منها إلى يومنا هذا بعبارة أخرى سأتناول الأمور الآتية:

ما يفعل للإنسان عند الاحتضار في مجتمع بيت طوقي، كيفية تجهيزه بعد الموت، مراسم الدفن وما يصاحبها من أعمال، أيام الفراش أو التعازي، وما يقال في التعزية، التضامن الاجتماعي مع أسرة الميت، عدة المتوفى عنها زوجها، طريقة تقسيم الميراث، احترام الناس للمقابر واعتقاداتهم فيها.

على العموم فإن الدين الإسلامي يلعب دوراً محورياً في تلك الأمور عند بيت طوقي كما سيأتي. في هذه الحالة لا يترك المريض وحده بل تجلس بجواره أسرته وأقاربه وجيرانه من كبار السن، وعند الاحتضار يلقن الشهادتين. ويقرؤون عليه سورة يس إذا كان فيهم من يقرأ ويمد المريض بطريقة جيدة في السرير ويغمدون عينيه وفمه ويساوون رجليه ويديه ومن المعروف أن ذلك سهل قبل خروج الروح من الإنسان لكن بعد خرج الروح يتعذر تسويته. وبعد التأكد إنّ المريض قد فارق الحياة يغطى بثوب ويجلس حوله كبار السن حتى الصباح إذا مات بالليل وحتى يجهز إذا مات بالنهار، ولا يجوز التحدث في وجود الجنازة إلاّ للضرورة ويكون ذلك بصوت منخفض.

يستنفر شخص أو شخصان لإخبار الأقارب يسمى بالبلين "موع" وعند وصول أو وصولهما إلى المكان المقصود يقفان في مكان مرتفع وسط القرية أو القرى ثم يصرخ أحدهما ثلاث مرات بصوت عال وعند سماع الصراخ يخرج أهل القرية ويرد عليه أحدهم بالقول: ماذا حدث لك؟ فيرد الآخر بأن فلان بن فلان أو فلانة بنت فلان زوجة فلان بن فلان قد مات

أو ماتت، ويوضح في الغالب وقت ومكان الدفن[٢٨٣]، فإذا حدثت الوفاة بالليل فإن الدفن يكون في الصباح، وأمّا إذاكان قبل غروب الشمس في الغالب يدفن في نفس اليوم، وإن أهل منطقة بيت طوقي لا يدفنون موتاهم بالليل إلا للضروريات كأوقات الحرب وحالات الخوف التي يتعذر فيها الدفن أثناء النهار مثل الخوف من هجوم الكمندوز أو الطائرات الحربية الإثيوبية في عهد الثورة على سبيل المثال.

من العادات كل من سمع خبر الوفاة يترك عمله ويتوجه إلى مكان الوفاة رجالا ونساءً، ومن العادات أن الرجال لا يبكون أو لا يظهرون ذلك لأنّ البكاء عند الرجال يعتبر عيباً من الناحية الاجتماعية ولذا يكبت الرجال أحاسيسهم وعواطفهم وهذا من المفاهيم الخاطئة لأنّها مخالفة للطبيعة البشرية التي يلازمها السرور والحزن والضحك والبكاء سواء أكانوا رجالاً أو نساءً حتى إن الدين الإسلامي لا يرى بأساً في البكاء مالم يخالف الضوابط الشرعية مثل العويل والندب...

أما النساء عكس الرجال فمسموح لهن بالبكاء بل إن التي لا تبكي من النساء توصف بقاسية القلب والخلو من الرحمة لذا حتى التي لا تبكي حقيقة تحاول أن تتباكى، وإن النساء يذهبن إلى بيت الميت وهن يبكين ويندبن الميت ويتغنين بذكر مآثره بصورة مبالغ فيها في كثير من الأحيان، ويزيد ذلك إذا كانت من بينهن قريبة الميت، عند الاقتراب من بيت الميت يخلعن أحذيتهن ويدخلن الدار وهنّ حفايا والبعض منهن يلقين أنفسهم على الأرض "حربطن" وأُخريات يَحثين التراب على رؤسهن، كل هذا يتم مع الصراخ والعويل وتشترك في البكاء معهن كل الموجودات من النساء في بيت المتوفى[٢٨٤] ويكون الحزن أشد في الذي أو التي وافته أو وافتها المنية في عمر الشباب وفي الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية في أهله. وإن البكاء ليس محرما في الإسلام فإن القلب يحزن وإن العين تدمع عند فقد عزيز فتلك رحمة كتبها الله في

---

٢٨٣ محمد جمعة إسماعيل عثمان طلوق، *المأتم عند بيت طوقي*، مادة أرسلها إلى الباحث بتاريخ ٢٣-٣-٢٠١٧

٢٨٤ المصدر السابق

قلوب عباده فإن المنهى عنه هو النياحة والصراخ وشق الجيوب ولطم الخدود... وكان في السابق يكثر في النساء الصنف الثاني إلا أن هذه الأعمال في الوقت الحالي كادت أن تتلاشى بسبب تزايد الوعي الديني في وسط المجتمع.

على كل بعد إحضار الكفن يغسل الميت ويكفن بثوب الكفن ويطيَّب ثم يغطى بثوب آخر فوق الكفن يؤخذ منه الأخير وقت وضعه في القبر، ويكون أشد البكاء على الميت وقت خروج الجنازة من البيت ويزيد الصراخ و البكاء بل هناك من تحاول من النساء التعلق بالسرير المسجى عليه الميت، فيمنعن ويزجرن عن فعل ذلك من قبل الرجال،[٢٨٥] وكان في السابق إذا كان الميت في مقتبل العمر أو سيد قومه تتبع جنازته مجموعة من النساء من أقاربه كاشفات الرأس وهن يضربن الدف "الكلمبورة" تأخذ زوجة المتوفي سيفه وتلبس ملابسه و إذا لم يكن متزوجا ترتدي ثيابه أخته أو أمه، ثم تتمايل بالسيف ويندبن الميت بأشد أنواع الندب ويحثين على رؤسهن التراب ويبكين الميت ويذكرن مناقبه بطريقة ملحنة كانت تسمى تلك العادة بالبلين "بالهيبو" وبموازين الشرع الإسلامي فإن تلك الممارسات تعتبر من عادات الجاهلية ومنهي عنها لما فيها من نياحة وعويل ولطم الخدود وشق الجيوب وغيرها من الأعمال التي تخالف النصوص الثابتة في السنة [٢٨٦]. إلاّ أنّ هذه العادة اختفت منذ فترة طويلة من مجتمع بيت طوقي وإن الباحث لم يشاهد تلك الممارسات في حياته لأنّها كانت في زمن ماض وسابق له.

بالعودة إلى الجنازة بعد تجهيزها تؤخذ إلى المقبرة في سرير محمولة على أكتاف الرجال ويسبق الجنازة مجموعة من الناس لتجهيز وإعداد القبر ويعمل في الحفرة اللحد "ود اللحد" ويصلى على الجنازة ثم يدعوا الحضور للميت رافعين أيديهم، ثم يوضع في الحفرة فيدفن.

---

٢٨٥ المصدر السابق

٢٨٦ المصدر السابق

من المعروف عند بيت طوقي أن كل أسرة أو فخذ لها مقابرها الخاصة ولا يدفن فيها غيرهم إلا بعد موافقة أصحاب المقابر.

أيضاً من العادات التي كان معمولا بها في السابق أن أهل الميت يذبحون بقرة يوم الدفن من أبقارهم وإذا لم يكونوا يملكون بقراً فيشترونها وتسمى بالبلين "سوك" وإذا كان الميت من علية القوم تذبح عليه أبقار كثيرة من أسرته وأقاربه ويأكلها الضيوف وقد تكون هذه الأبقار من حق الورثة وقد تكون عليهم دينا وهذا الصنيع لا تجيزه الشريعة الإسلامية لأنّ فيه تحميل أهل الميت بالتكاليف مع مصيبتهم، وكذلك تشتري أسرة الميت أيضاً البن والزنجبيل والسكر والدقيق. من العادات الجميلة فإن الأقارب والجيران يشاركونهم في تلك التكاليف كإحضار الدقيق أو العيش أو مساهمات مالية كنوع من العمل التضامني.

مدة الفراش في السابق سبعة أيام وقلصت إلى ثلاثة أيام في الوقت الحالي، وتتوافد الجموع للتعزية في هذه الأيام وعند وصول المعزي لمجلس العزاء يرفع يديه ويقول الفاتحة ويرفع معه كل الجالسين أكفهم ويقرؤون الفاتحة ويدعون للميت، ومن بعده يتقدم المعزي ويصافح أقرباء الميت ويدعون لهم بالصبر ويقولون لهم بالبلين "جَارْ، صَبِرْ، أُونْتَتْ، نِي، أَثَرْ، كِيدِنْتَلْ" الله يلهمكم الصبر ولا يريكم من بعده مكروها، ويرد عليهم أهل الميت "مُقْلَ، قَالِقْ" لا أراك الله مكروها ويقرأ الناس في مجلس العزاء ما تيسر من القرآن والهدف من القراءة هو إهداء أجر ما قرئ من القرآن للميت "والراجح من أقوال أهل العلم، جواز إهداء ثواب أجر تلاوة القرآن للميت، لأنّ الميت ينتفع بعمل الحيّ، وإن لم يكن من سنن السلف فعل ذلك على هذا النحو المعمول به عندنا"[٢٨٧] ، يرفع الفراش في اليوم السابع في السابق والثالث في الوقت الحالي. إذا كان المتوفى رجلا وله زوجة تواصل عدتها ومدتها هي وفق الشريعة الإسلامية أربعة أشهر وعشرة أيام وبعد إكمال المدة هي في حل من أمرها تستطيع أن تتزوج وتمارس حياتها العادية، كما يتم تقسيم الميرات على الورثة وفق الشريعة الإسلامية ما عدا حالات قليلة وهي

---

٢٨٧ جلال الدين محمد صالح، كرن الأصالة والتراث، مصدر سابق، ص. ٤٧٩.

إن البنت لا ترث من الأراضي الزراعية بحجة أنّها ستذهب إلى بيت زوجها وهذه العادة هي من العادات الجاهلية وفيها ظلم للمرأة ومخالفة للشريعة الإسلامية.

على العموم إن أهل هذه المنطقة، واعتقد كل المناطق الإرترية، يحترمون المدافن فلا يقطعون شجرها ولا يأخذون منها الحجارة كما أنهم لا يمشون فوقها ولا يعبثون بشيء في داخلها، وهذا ما لاحظه فرديناندو عند زيارته لهذه المنطقة إذ يقول "البقوس يحتفظون باحترام خاص للمدافن، وقد يرجع هذا إلى حضارتهم القديمة، أو إلى محبة بعضهم بعضا، وهم يقسمون اليمين عند المدافن، عدا ذلك هم لا يتجرؤون على الاقتراب منها "[٢٨٨] وبناءً ذلك تنسج خيالات لتخويف الناس حتى لا يعبث بالمقابر كأن يقال إن شخصاً نام في المقابر فضربه الشيطان، أو أهل المقابر يتحدثون في الظلام، أو تطارد أشباح الموتى الإنسان في رؤياه وأحلامه. وكل هذا نابع من فكرة "العالم السفلي"، "سقودو" بالبلين "وسب تحت" بالتجري. فإدا مرّ الإنسان بالمقابر صدفة فالذي له شيء من الفقه يدعو للساكنين فيها، وأمّا الآخرون فيتجاوزونها مسرعين وغير ذلك.

عرف بيت طوقي في فض النزاعات

أقصد هنا بعرف بيت طوقي القوانين الضابطة لسيرورة الحياة بينهم وهي قوانين مميزة متوارثة أبا عن جد عبر التاريخ ولا يُعرَف متى بدأ سنها وتطبيقها، هذه القوانين تتميز بالشمول لمناحي الحياة كافة ومحققة فيها روح العدالة وآلياتها التنفيذية، ويمثل هذه المؤسسة العدلية مجلس أعلى يسمى مجلس أولاد طوقي وهو يتكوّن من شخصيات متزنة تتمتع برجاحة العقل وسداد الرأي، ولها معرفة ودراية بتفاصيل عرف بيت طوقي (طوقيقر فلخ أو أثر طوقي) وهم تسعة ممثلين من كل عمدة في بيت طوقي وسأذكر منهم هنا فقط للتوضيح بعضاً ممن كانوا أعضاء في هذا المجلس وليس كل من عمل في هذا المجلس.

---

٢٨٨ فرديناندو مارتيني، إرتريا في إفريقيا الإيطالية، مصدر سابق، ص، ١١٧

أشهرهم من عد سمرعين في هذا المجلس حامد محمد داير، التسأن حامد أكد ثم يوسف حزوت، قبشا صالح فكاك محمد ثم ابنه إبراهيم، طفع صالح إدريس أسفداي ثم قربل عجيل، لامديري على طروم ألمداي ثم ابنه محمود، حريش سعد حرشوي، جنقرين إدريس عافه على نور ثم إدريس أري، دانشيم حامد محمد بارياي ثم محمد على حزوت، طنفاي صالح محمد طراي ثم إبراهيم طراي.

هذا المجلس كان يحكم في كل صغيرة وكبيرة في وسط الطوقي، وبعبارة أخرى كان يحكم في القضايا المدنية المختلفة وفي القضايا الجنائية المتشعبة من أصغر جريمة مثل الشتم والقدح إلى أعلى جريمة كالقتل، ففي الأولى أي في القضايا المدنية يحكم "بالفتح" وفي الثانية الجنائية يحكم بواسطة أثر بيت طوقي "فلخ"، وفي كلا الحالتين القوانين مفصلة وغير قابلة للتأويل والتفسيرات المختلفة، والمحاكمة فيها تبدأ بإجراءات و تراتيب معروفة، فيبدأ النظر في القضية أولا وجهاء الأسرة والعشيرة وإذا تعذر حلها تذهب إلى الحصة وهو شيخ الفخذ ثم العمدة وإذا لم تحل في كل تلك المراحل تأتي إلى مجلس بيت طوقي.

المجلس هو بمثابة المحكمة العليا ينتهى الحكم إليها، يأتي الطرفان للترافع أمام المجلس ويعطى كل واحد منهما زمنا بالتساوى ليعرض قضيته أمام المجلس دون مقاطعة مالم يخرج من ضوابط المرافعة مثل الشتم أو معايرة الطرف الآخر في هذه الحالة ينبه من قبل المجلس وإذا لم يتقيد يوقف وتؤخذ ضده إجراءات عدم احترام المجلس، بعد سماع المجلس آراء الطرفين واستنطاقهما والسماع للشهود إذا كان هناك شهود واستكمال الأركان الأخرى للقضية ؛ يرفع أعضاء المجلس الجلسة لمدة زمنية للتشاور في اتخاذ الحكم ثم يعودون للمجلس للنطق بالحكم، والمجلس في الغالب لا يأخذ كثيراً من الزمن في القضايا العادية لكن يأخذ زمنا طويلا في القضايا المعقدة، ويكون الحكم فيها بالإجماع أو بالغالبية العظمى، وإذا كان هناك تباين بين أعضاء المجلس قد يكون في النوازل التي لم توجد فيها سوابق مماثلة وهي قليلة جيدا. الحكم الذي يصدر من المجلس ملزم للطرفين ونافذ وغير

قابل للاستئناف لكن من حق أي شخص أن يطلب منهم توضيح المواد أو الأثر الذي اعتمد عليه المجلس في حكمه في هذه المسألة، بعبارة أخرى يحق له أن يسأل إذا كان هناك سوابق حكم لمثل هذه الحادثة في عرف بيت طوقي وعلى المجلس توضيح ذلك إذا كان هناك سوابق وإذا لم يكن يقول المجلس إنّ هذه القضية من النوازل الجديدة وبناءً عليه يحكم فيها.

إن عدم القبول بالحكم يعتبر خروجا وتمردا على أعراف القبيلة وقد يتعرض صاحبها إلى الطرد من القبيلة، وتتم مقاطعته في أفراحه وأتراحه من الجميع، وإن هذه القوانين الاجتماعية الرادعة هي التي كانت تضمن نفاذ حكم مجلس بيت طوقي على الجميع دون تمييز، الأمر الذي كان يضبط إيقاع وسيرورة الحياة في وسط هذه القبيلة و إنّ كثيراً من العارفين يصفون تلك الأعراف والعادات والتقاليد بنظم إدارة محلية مميزة في المنطقة[٢٨٩] ويقول آخر : إن أعراف البلين متطوّرة وإنّ هياكل البلين الاجتماعية والسياسية توحي أنّهم كانوا من النبلاء والحكام،[٢٩٠] أما نايدل فيصف النظم الاجتماعية و السياسية للبلين بأنّها تعكس عاداتهم المتحضرة.[٢٩١]

أما في التسلسل الهرمي في إصدار الأحكام وفصل المنازعات في عرف بيت طوقي فيقول محمد جمعة إسماعيل " أي شخص يتعدى على غيره باليد أو اللسان تتم محاكمته ويلقى جزاءً محدداً في عرف بيت طوقي فلو شتم شخص شخصا ما يغرم حسب الشتيمة التي شتم بها غريمه لكن بشرط أن يقر الشاتم بالشتيمة أو يثبت عليه بالشهود على سبيل المثال فالقذف عقوبته لو قال له ابن الحرام يغرم ببقرة وتسمى "حشم" أي رد الشرف، ولو قال له "كان اسيخن اتكا" أي دخلت فيك عود يغرم ببقرتين بقرة في دخول العود، وبقرة في خروجه، أما الضرب سواء كان بعصا أو باليد فعقوبته محددة كذلك، فلو لطمه وظهر أثر الأصابع في الخد فكل إصبع يظهر أثره في الخد يحسب "شنرب" ضربة وغرامته جنيه، ومثله الضرب

---

٢٨٩ محمود إيلوس، مصدر سابق، ص،٤٢

290 Smidt , foot note. No 11. P.135

٢٩١ نايدل، مصدر سابق، ص،٤٧

بالعصا التي يظهر أثرها في الجسد ولم تسبب جروحاً، وإذا تسبب الضرب في سفك دم وخاصة في الرأس "مدا" فعلى الجاني "شموت وجلوط وقبتا عيش وبقرة" أي ما يقارب من أربع كيلو من السمن واثني عشر ربعاً من الذرة و شاة وبقرة. وتقام مناسبة في دار المجني عليه لتسليم تلك الأشياء وهذه البقرة لايأخذها المجني عليه لتتكاثر عنده ولكن إمّا ترد إلى أصحابها ويقولون "طلقنخ" عَفَوْنا أو تذبح بمجرد وصولها إلى مكان المناسبة أو تؤخذ وتباع والأمر يعود إلى المجني عليه. أما الكسر الذي شفي منه صاحبه فيعتبر في حكم الجرح الذي سبقت الإشارة إليه آنفاً، وإذا نتج عن الكسر عاهة مستديمة لكن لم يتعطل العضو من أدواء وظيفته الطبيعية فعليه ربع دية، أما إذا تسبب الكسر إلى بتر أو تعطيل العضو مثل اليد أو الرجل فعلى كل واحد نصف دية. أما إذا أزهق الروح فعليه الدية، والدّيّة عند بيت طوقي مائة وعشرين رأس من البقر وتنقسم الي قسمين يؤتى بـ ٦٠ رأس منها وتقيم ٦٠ الباقية بالمبلغ، فهي محددة الأوصاف والأعمار والقيمة والأسعار. فالأولى تنقسم على النحو التالي ١٥ بقرة "درقميري " وهي التي ولدت واحد أو اثنين، وإذا كان ذكراً يكون قد حرث سنة أو سنتين و١٥ ربعياً تكون قد أكملت ٣ سنوات وفي طور طرق الفحل و١٥ جدعياً وهي التي أكملت سنتين و١٥ "برا دادري" وهي ما قاربت السنة.

الستون الباقية تسمى "متت" أي تدفع مبلغا وبنفس التدرج المذكور أعلاه فعلى سبيل المثال ١٥ كل رأس يقيم بـ ٨٠ ريالاً، و١٥ كل رأس يقيم بـ ٦٠ ريالاً، و١٥ كل رأس يقيم بـ ٤٠ ريالاً، و١٥ كل رأس يقيم بـ ٢٠ ريالاً وتقيم قيمة الرأس متطابقة مع الفترة الزمنية والعملة المستخدمة في وقت الحكم بالدية.

دفع الدية تتحمله عاقلة القاتل فتقسم الدّيّة على أفراد الفرع الذكور البالغين ويسمى كل بالغ بالبلين "الشنقول"، ويدفع أهل الأم ثلث الدية إن كانوا من قبيلة أخرى أو فرع آخر،

ويدفع ولد البنت (أي أمه من القبيلة التي عليها دفع الدية) ثلث ما يدفعه "الشنقول"، ويدفع أفراد أهل الجدة ربع ما يدفعه "الشنقول" من الأسرة، وهذا لحفظ صلة القرابة".[٢٩٢]

الناظر إلى تلك المقاييس للدية يجدها تشبه المقاييس الشرعية مع بعض الفروق هنا أو هناك فهل كانت هذه المقاييس هكذا قبل دخولهم للإسلام أم أنّ أعراف بيت طوقي تتطوّر مع الزمن وأخذت في الاعتبار التطوّرات المستحدثة بسبب التحولات الدينية والتطورات الثقافية والتغييرات الطارئة في الهيكل الاجتماعي والتطوّرات السياسية.

---

٢٩٢ محمد جمعة اسماعيل عثمان طلوق، التسلسل الهرمي لبيت طوقي في إصدار الأحكام وفصل المنازعات، مقال منشور في ملتقى أبناء بيت طوقي بتاريخ ٩ سبتمبر ٢٠١٢ المصدر السابق.بشيء من التصرف

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة قضايا عديدة تتعلق بسكان هذه المنطقة في التاريخ الغابر من المجموعات النيلية والحامية والسامية وعلاقة بعضهم البعض من تداخل وتدافع وكان ذلك تأصيلاً لموضوع البحث الذي ركّزت عليه الدراسة وهو تاريخ البلين وأصولهم ومنحدرهم السلالي والموطني، ومناطق انتشارهم عبر التاريخ والشواهد والافتراضات التاريخية لترحالهم في هذه المنطقة في السابق وتطوّراتهم الاجتماعية وإسهاماتهم الثقافية والسياسية في مواقع تواجدهم الحالي، وما صاحب مسيرتهم من إنجازات وإخفاقات لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية. تناولت الدراسة ذلك في سياق التسلسل التاريخي وفق منهج علمي، حيث تناولت الدراسة في الفصل الأوّل تاريخ البلين القديم ومحطاته الرئيسية التى شكلت التسلسل التاريخى لهم في هذه المنطقة بصورة مختصرة.وركّزت في الفصل الثاني على التطوّرات التاريخية للبلين في حلحل بقوص والجغرافيا البشرية فيها حتى القرن التاسع عشر الميلادي وما تعرض له البلين من هجمات وغارات من وراء الحدود ومن الجيران في تلك الفترة وقد تتبعت الدراسة في الفصل الثالث حلحل بقوص في ظل الإدارة المصرية وما تحقق فيها إيجاباً وسلباً وصراع المهدية ورأس ألولا فيها بعد انسحاب المصريين منها وفي الفصل الرابع تناولت الدراسة البلين في عهود الاستعمار الثلاثة الإيطالي، الإنجليزي، الإثيوبي وما لحقهم من غرم وغنم منهم بدرجات متفاوتة. ودور البلين ومواقفهم في مرحلة تقرير المصير في أربعينيات ومطلع خمسينيات القرن الماضي. وواصلت الدراسة في الفصل الخامس تناول دور البلين رجالاً ونساءً في الحركة الوطنية الإرترية التي خاضت نضالاً سياسياً وقتالياً متكاملا حتى وصلت القضية الإرترية مبتغاها بنيل استقلالها عام ١٩٩٣م. وعرجت الدراسة إلى المصادر الاقتصادية لحلحل بقوص وما لعبته في تلك التطوّرات.

وفي نفس المسار ناقشت الدراسة في الفصل السادس تطوّرات تعدادهم ولغتهم وتحولاتهم الدينية وتناولت الدراسة بشيء من التفصيل في الفصل السابع عاداتهم

وتقاليدهم وأعرافهم. وبناءً على المناقشات والتحليلات السابقة المترابطة زمناً وموضوعاً في سياق منهجي علمي فقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- أصول البلين ومنحدرهم السلالي والموطني، ومناطق انتشارهم عبر التاريخ قد عرفت افتراضات مختلفة عزت نسبتهم إلى هذا الأصل تارة أو ذاك تارة أخرى دون أن تتوافر شواهد أو سند يعزز تلك الافتراضات ولعل ذلك يعود إلى النظر للبلين كمجموعة عرقية وليست مجموعة لغوية يتنوع العرق فيها.

٢- بالنظر إلى الهيكل الاجتماعي والأعراف والقوانين والسلوك السياسي للبلين عبر التاريخ يمكن استنتاج أنّهم كانوا من النبلاء ويعرفون السلطة واستحقاقاتها.

٣- إنّ قوة البلين تكمن في ثلاثة أمور قوة الشعور الوجداني للانتماء إلى البلين وقدرتهم على التفريق بين الاعتقاد الديني والانتمائي إلى البلين. ولذا فالتسامح الديني الموجود بين أسر البلين قلّ ما يوجد في المنطقة نظير له فتجد في البيت الواحد مسلم ومسيحي دون أي حساسية بينهما. سلوك البلين والنظرة الإيجابية بعضهم لبعض لدرجة مبالغ فيها بعض الأحيان. فإنّ الشخص البليناوي إذا تحدثت معه بلغته أو عرف أنّك من البلين يتعامل معك بكل أريحية وثقة حتى إذا لم يكن له معك معرفة سابقة

٤- إنّ البلين كانوا يتعرضون باستمرار لهجمات من الزعماء المسيحيين في الهضبة الحبشية ومن اعتداءات الحكام المصريين في التاكا وكان أسوأها في أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر لإخضاعهم سياسياً، واستغلالهم اقتصادياً، إضافة إلى المشاكل الداخلية بسبب الحروب بين بعض فروع يبت طوقى في تلك الفترة. واستجابة لتلك التحديات جاء تحول قبائل البلين إلى الإسلام وخاصة البيت الطوقي وجزء من السنحيت كما أن كثيراً من السنحيت تحولوا إلى المذهب الكاثوليكي وهو خلاف المذهب الأرثودوكس الذي كان وما يزال سائداً في الحبشة. وأكسبت تلك التحولات البلين هوية جديدة مع تحالفات اجتماعية وسياسية واسعة مع المجموعات الأخرى على درجة من التجانس الديني

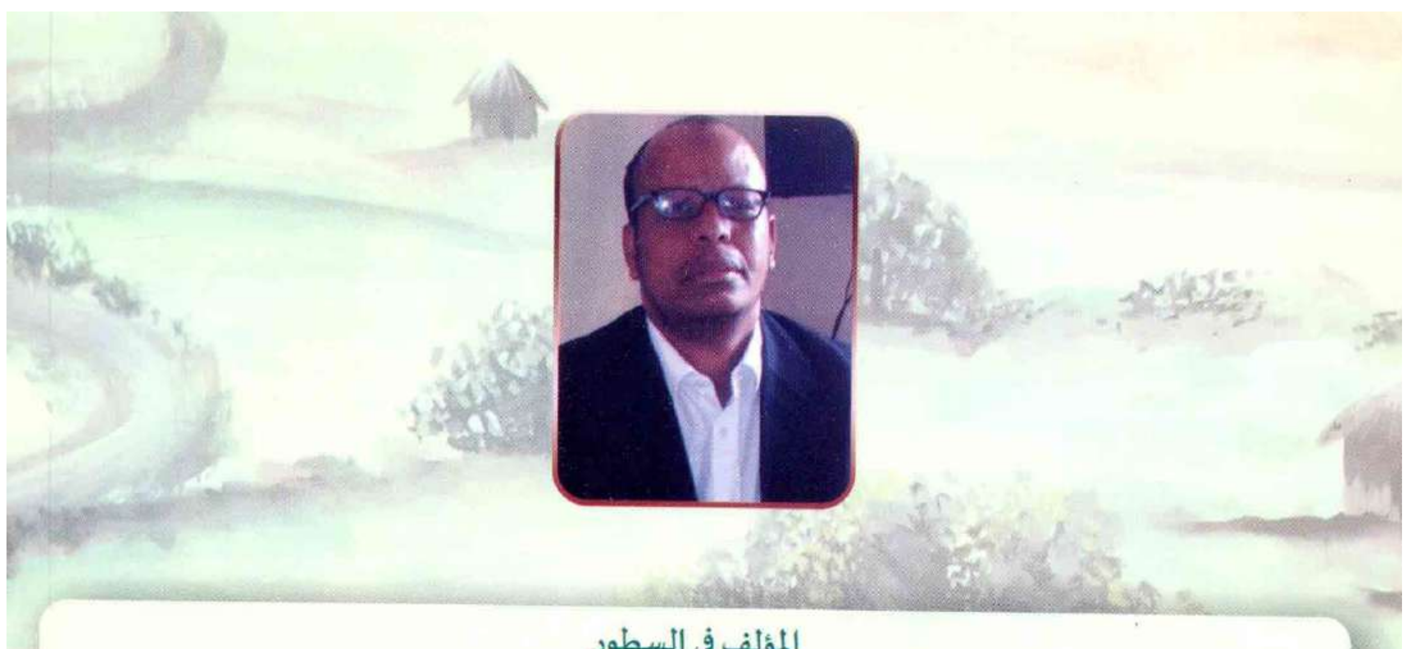
والثقافي وإنّ تلك التحالفات أيضاً أصبحت مصدر قوّة للمتحالفين، ومهدت للمشروع السياسي الذي تمّ الإفصاح عنه لاحقا في مرحلة تقرير المصير. وتعكس تلك التحولات قدرة البلين للتكيف والتعامل مع المخاطر التي كانت تحدق بهم من الجنوب والشرق والغرب بكل دأب ومثابرة مع الحفاظ على كينونتهم استطاعوا أن يتجاوزوا تلك المراحل بكل انكساراتها وانتصاراتها. ويعتقد الباحث أن البلين اليوم أيضاً في مرحلة انتقالية مفصلية تحتاج إلى معالجات تتلاءم مع متطلبات الواقع. وأقصد بالتحول هنا إن غالبية البلين اليوم متجهون من الحياة الزراعية إلى المدنية وأنّ هذه التنقلات في نمط الحياة تفرض عليهم عادات وتقاليد جديدة طبقا لتلك التحولات وتعرض المكتسبات القديمة من العادات والتقاليد والأعراف والقوانين واللغة وغيرها إلى الزوال ما لم يحصل فيها تغيير على شكل من الأشكال لاستيعاب تلك التطوّرات المتسارعة مع الحفاظ على كينونتها.

٥- دمج تلك المواضيع في دراسة واحدة ليس بالأمر اليسير نسبة لتفرعها وكل فرع من هذه الموضوعات يحتاج إلى دراسة مستقلة، لكن من باب مالا يدرك كله لا يترك جله حاول الباحث أن يضع دراسة عامة من حيث الموضوعات والمعلومات ليضع القارئ على الصورة العامة التي تتيح له التعرف على مجتمع البلين بشكل عام. وأملي أن تكون هذه الدراسة قد قدمت مساهمة مقدّرة، وفتحت آفاقا واسعة لدراسات قادمة وشاملة تتسم بالعمق والاستقراء التام لتلك المواضيع وغيرها.

٦- كما سبقت الإشارة آنفا أنّ هذه الدراسة ليست دراسة تفصيلية تستوعب مختلف جوانب الموضوع لذا توصي الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات والبحوث العلمية في المجالات الآتية:

- استقراء شامل لتاريخ البلين القديم والحديث
- الأعراف والقوانين المنظمة للحياة
- العادات والتقاليد التي يمارسها الإنسان البليناوي من الولادة إلى الوفاة

- دور البلين في الحركة الوطنية
- التحديات التي تواجه البلين في الداخل والخارج
- أعلام البلين من القيادات التقليدية والرموز الدينية والثقافية والزعامات السياسية والعسكرية والواجهات الاجتماعية.
- هجرة البلين بأعداد كبيرة وتأثيرها في الموطن الأصلي



المؤلف في السطور

- دكتور إدريس أبوبكر إبراهيم جميل
- درس الإبتدائي في حلحل والمتوسط في السودان والثانوي في كرن
- حصل على البكالوريوس في العلوم السياسية وبكالوريوس آخر في الفقه وأصول الفقه من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا
- نال درجة الماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا
- والدكتوراة من جامعة ملايا – ماليزيا في العلوم السياسية
- يعمل محاضراً بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية
- عمل ويعمل مع عدد من المراكز البحثية كباحث ومشرف على فرق بحثية
- نشر العديد من الدراسات الأكاديمية بلغتي العربية والإنجليزية

تناولت هذه الدراسة تاريخ البلين ومحطاته الرئيسية التى شكلت التسلسل التاريخى لهم، أصولهم ومنحدرهم السلالي والموطني، ومناطق ترحالهم و انتشارهم عبر التاريخ في هذه المنطقة، وتطوّراتهم الاجتماعية وأنماطهم المعيشية وتحولاتهم الدينية، وإسهاماتهم الثقافية والسياسية، وما نتج من تلاقح مع عناصر البيئة ومكوّناتها من أرض وبشر، وما نشأ بينهم وبين الآخرين من وئام وصراع في موقع تواجدهم الحالي، وما صاحب مسيرتهم من إنجازات وإخفاقات لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية. وبناءً على المناقشات والتحليلات السابقة المترابطة زمناً وموضوعاً في سبعة فصول في سياق المنهج التاريخي التحليلي قد خلصت الدراسة إلى نتائج وتوصيات.

